

الحركة العمرانية في قرطبة وضواحيها خلال القرن

الرابع الهجري / العاشر الميلادي



هنا عنترو ولي المزوري



www.darsafa.net



﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

الحركة العمرانية في قرطبة وضواحيها

خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي

الحركة العمرانية في قرطبة وضواحيها

خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي

هز عنترولي المزوري

الطبعة الأولى

2013م - 1434هـ



دار صفاء للنشر والتوزيع - عمان

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2011 / 11 / 4224)

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

حقوق الطبع محفوظة للناسر

Copyright ©
All rights reserved

الطبعة الأولى

2013م - 1434 هـ



دار صفاء للنشر والتوزيع

عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري - تلفاكس +962 6 4612190
هاتف: +962 6 4611169 ص.ب 922762 عمان - 11192 الأردن

DAR SAFA Publishing - Distributing

Telefax: +962 6 4612190 - Tel: + 962 6 4611169

P.O.Box: 922762 Amman 11192- Jordan

<http://www.darsafa.net>

E-mail : safa@darsafa.net

ردمك 3-416-978-9957-24 ISBN

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾

سورة يوسف: الآية 76

الإهداء

إلى والديّ الأعزاء....

وزوجي الغالي...

وأساتذتي الأحباء...

أهدي جهدي المتواضع هذا...

ثبت المحتويات

المقدمة 13

التمهيد 29

الفصل الأول

عوامل ازدهار وتقدم الحركة العمرانية في قرطبة

أولاً: العامل السياسي 45

ثانياً: العامل الاجتماعي 61

ثالثاً: العامل الاقتصادي 72

الفصل الثاني

العمارة الدينية

أولاً: المساجد الجامعة 85

أ. المسجد الجامع في قرطبة 85

ب. المسجد الجامع في الزهراء 106

ج. المسجد الجامع في الزاهرة 110

ثانياً: المساجد العامة 112

الفصل الثالث

العمارة العسكرية

أولاً: الاقاليم والحصون 130

ثانياً: الخنادق 138

ثالثاً: المدن الملكية 140

رابعاً: الأسوار والأبواب 144

خامساً: الأبراج 153

الفصل الرابع

العمارة المدنية

أولاً: القصور 160

أ. القصر الخلافي 160

ب. القصور الخاصة 165

ثانياً: دور العامة (المنازل) 172

ثالثاً: إنشاء المدن 175

أ. مدينة الزهراء 175

ب. مدينة الزاهرة 187

رابعاً: الخدمات العامة 191

أ. الأرصفة والطرق 191

ب. الأسواق 194

ج. الفنادق (الخانات) 197

د. الخدمات الصحية 199

1. مشاريع المياه 199

أ. الآقنية (قنوات الري) 200

ب. القناطر والسدود والمنابر 202

2. الحمامات 205

3. دور التطيب 208

4. المتنزهات السياحية 209

213.....	ز. دور العلم والمكتبات
217.....	هـ. دور الصناعة
217.....	1. دار السكة
218.....	2. دار البرد والطراز
220.....	3. دور صناعة التحف والالات المعدنية وغيرها
221.....	و. السجن (المطبق)
223.....	ي. المقابر
229.....	الخاتمة
233.....	المصادر والمراجع

المقدمة

يدرس هذا البحث تاريخ العمارة في قرطبة وضواحيها خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، مركزاً على العمائر والأبنية الإسلامية حصراً في إقليم قرطبة، في محاولة لدراسة أحد الجوانب المشرقة في تراثنا العربي الإسلامي العريق في الأندلس، لا سيما وأن هذا العصر في العالم الإسلامي عموماً، يشكل عصر النهضة في الإسلام كما أطلق عليه المؤرخ آدم متز⁽¹⁾.

وتهدف هذه الدراسة الى معرفة العوامل المحركة للنشاط العمراني إبان القرن الرابع الهجري، للوقوف على الأرضية المناسبة لنجاح وتطور الحركة العمرانية. كذلك محاولة استجلاء دور الخلافة الأموية باعتبارها صاحبة القرار، فضلاً عن دور المجتمع الإسلامي في قرطبة عاصمة الخلافة، في مساندة ومواكبة النهوض الحضاري الكبير الذي شهدته هذه المدينة خاصة والأندلس عامة.

وزيادة على ذلك يرمي البحث الى معرفة مجمل النشاط العمراني السابق لمدة البحث وما جرى عليه من تحديث وتطور خلال مدة الدراسة. ثم تناول أهم المستجدات والمستحدثات العمرانية التي حصلت في عصر الخلافة الأموية بشكل تفصيلي منذ بداية هذا العصر في مطلع القرن الرابع الهجري وحتى نهاية الدولة العامرية سنة (399هـ/ 1008م).

(1) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريذة، ط3، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957، ج1.

وعلى الرغم من توفر عدد من الدراسات التاريخية السابقة عن مدينة قرطبة قام بها عدد من الكتاب الإجلاء أمثال السادة عبد العزيز سالم، ومحمد عبد الله عنان وحسين مؤنس وعبد الوهاب خلاف وغيرهم من الكتاب المحدثين. عن هذه المدينة العريقة، باعتبارها إحدى القواعد الأندلسية الرئيسة فضلا عن كونها عاصمة الدولة الأموية لما يزيد عن قرنين ونصف من السنين. فإن إعادة الكتابة في الجانب العمراني لهذه المدينة وريفها يستحق الكتابة فيه، لأهميتها الحضارية بالنظر للدور الكبير الذي قامت به عبر عهود المسلمين كافة في الأندلس، ولاسيما القرن الرابع الهجري، الذي شهد نهضة شاملة في معظم نواحي الحياة الأندلسية تحتاج الى تقويم جديد. وكذلك إضافة ما استجد من دراسات ومعلومات تاريخية حديثة أغنت البحث العلمي⁽¹⁾. وزيادة على ذلك ان هذا البحث يدرس إقليم قرطبة أي المدينة وريفها في عصر الريادة الأموية او ما يصطلح عليه البعض (عصر سيادة قرطبة)⁽²⁾. وهذا يعني ان هذه الحقبة التاريخية المشرقة الواقعة بين عهدين من الاضطراب والفتن السياسية جديرة بالدراسة، للوقوف على العوامل المحركة لازدهارها وتطورها.

وقد ضم البحث على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة، ركز التمهيد على الجانب الجغرافي والتاريخي لمدينة قرطبة، لاسيما ما يتعلق بموقع قرطبة وطبيعتها

(1) ينظر على سبيل المثال: سلمى الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، جزءان، أوليفياري مي كونستبل، التجارة في الأندلس، ترجمة: فيصل عبد الله، الرياض، مكتبة العبيكان، 2002، وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، الأردن، الأهلية للنشر، 2005.

(2) إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ط5، بيروت، دار الثقافة، 1978.

الجغرافية في الأندلس مع دراسة ملامح التخطيط العمراني للمدينة وارباضها بشكل عام.

واحتوى الفصل الأول من الكتاب على العوامل التي أدت الى تقدم وازدهار الحركة العمرانية في قرطبة. وقد حددها البحث بثلاث عوامل رئيسة هي العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وتضمن الفصل الثاني موضوع العمارة الدينية الذي درس عمارة المساجد الجامعة في قرطبة والزهراء والزاهرة. وقد كان التفصيل في المسجد الجامع بقرطبة كبيراً لمكانة هذا المسجد في الأندلس، وتوفر المعلومات عنه بشكل وافٍ ولكنه يعتبر المعلم البارز ليس فقط على مستوى الأندلس وإنما في العالم الإسلامي قاطبة، وهذا لا يلغي دور بقية المساجد الجامعة الأخرى، وكذلك دراسة المساجد العامة التي بناها الخاصة والعامة لأغراض الأجر والثواب، فضلاً عن دراسة عمائر دينية أخرى يمكن ملاحظتها في متن الكتاب.

ودرس الفصل الثالث العمارة العسكرية بقرطبة مركزاً على أهم وسائل وعناصر العمارة الحربية كالأقاليم التي كانت بمثابة الثغور للمدينة، والحصون والأبراج والخنادق والأسوار والأبواب. فضلاً عن دراسة المدينتين الملكيتين (الزهراء والزاهرة) التي يسميها البعض بالقلع⁽¹⁾. فإنها لا تخلو من لمسات أمنية أو عسكرية لحماية ولاية الأمر من الأخطار الداخلية أو الخارجية المحدقة بقرطبة خاصة والأندلس عامة.

(1) شاكر مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، الكويت، ذات السلاسل للطباعة والنشر، 1988: 450/1.

وتطرق الفصل الرابع الى العمارة المدنية، وقد شمل عدة جوانب
عمرانية أهمها:

أولاً: دراسة عمارة القصور بفرعها القصر الخلافي مركز السلطة الأموية،
والقصور الخاصة التي اتخذها كبار رجال الدولة مستقراً لهم. فضلاً عن
بعض القصور التي بنيت لاستضافة كبار زوار الدولة وسفرائها من
الخارج.

ثانياً: درس هذا الفصل دور العامة وهيئة المنزل الأندلس ومكوناته.

ثالثاً: تناول استحداث المدينتين الملكيتين السالفتين الذكر في أطراف قرطبة
اللتان شكلتا قرطاً قرطبة.

رابعاً: بحث هذا الفصل مشاريع الخدمات العامة وهذه تشمل جوانب عديدة
أهمها دراسة عمارة الأرصفة والطرق، ثم إنشاء الأسواق والفنادق أو
الخانات. فضلاً عن مشاريع الخدمات الصحية مثل حفر وبناء مشاريع
المياه المتمثلة بالأقنية والقناطر والسدود والمنابر أو الأرحاء. وكذلك بناء
الحمامات ودور التطيب ودور العلم والمكتبات ودور الصناعة كدار
السكة ودار البرد والطراز ودور صناعة التحف والآلات المعدنية. ودرس
هذا الفصل أخيراً إنشاء السجون والمقابر أيضاً.

ولا تخلو دراسة هذا البحث التاريخي من الصعوبات ومشاكل لعل أبرزها
ان دراسة العمارة في أي بقعة من العالم، تحتاج الى معرفة أو تحديد الزمان والمكان
فغياب أي منهما أو الاثنان معاً يحدث خللاً مهماً فتحتاج الى معرفة
واستكشاف القرائن والدلالات لمعرفة العصر والمكان الذي جرى فيه هذا
النشاط العمراني. ويتأتى ذلك من خلال الإطلاع الواسع على المصادر القديمة

والمؤلفات الحديثة بغية إجراء مسح شامل لإعطاء تصور واضح قدر المستطاع. كذلك ان دراسة مادة العمارة في قرطبة تحتاج الى توثيق الشكل او الهيئة مع الروايات التاريخية او التوثيق التاريخي لها. فاحيانا كثيرة لا يهتم الكتاب والمؤرخين بذكر الشكل او الهيئة مكثفين بالتاريخ للعمارة ولا سيما في موضوعات إنشاء المتنزعات ودور السكة والبرد والطراز ودور العلم والتطبيب والسجون والمقابر. وأخيراً لدينا الكثير من العمائر والمنشآت سبق بناءها مدة البحث واستمر استخدامها لاحقاً في القرن الرابع الهجري فاحيانا كثيرة لا تذكر المصادر المتوافرة أية معلومات عن تطويرها وتحديثها ما عدا البارزة منها لا سيما عمارة المسجد الجامع بقرطبة وقنطرة قرطبة وما شابه ذلك من العمائر الرئيسة فقط.

وقد اعتمد البحث على جملة كبيرة من المصادر العربية الاندلسية والمغربية والمشرقية والمراجع الحديثة العربية والمعرية، هذا فضلا عن أعداد من الدوريات والمقالات المتخصصة في هذا المجال.

وفي محاولة لتحليل أهم المصادر الأولية بأنواعها، والتي انتفع بها البحث بشكل كبير فسوف نعرضها ونحللها بحسب قدمها الزمني وأهميتها لمادة الكتاب وتأتي في مقدمة تلك الكتب:

كتب التراجم والطبقات التي تعد أهم فروع التاريخ الإسلامي، فهي معاجم تاريخية تضم سير العلماء والفقهاء والأدباء وغيرهم، أذ تتبع حياتهم الخاصة في المدن والأسواق والأزقة والمساكن فهي لهذا تضم معلومات متنوعة كانت إفادة الكتاب منها كبيرة ومن تلك الكتب.

كتاب قضاة قرطبة، لأبي عبد الله محمد بن حارث بن اسد الخشبي

(ت 361 هـ / 973 م)، حيث كان له أهمية في التعرف على القضاة الذين كانوا قد عملوا أئمة في المسجد الجامع بالزهراء مثل القاضي ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى، والقاضي المنذر بن سعيد البلوطي، الأمر الذي يشير إلى استمرارية نشاط المسجد الجامع في الزهراء لحين عصر الخليفة الحكم المستنصر (350 هـ / 961 م - 366 هـ / 976 م)، كما كان لهذا الكتاب أهمية في تبيان بعض مساجد قرطبة العامة ومواقعها ومرتابها⁽¹⁾.

كذلك كتاب طبقات الأطباء والحكماء، لأبي داود سليمان بن حسان بن جلجل (ت 377 هـ / 987 م)⁽²⁾، إذ أفاد البحث في الإشارة الى بعض تراجم الأطباء، أمثال الطبيب محمد بن تملح، الذي كان له دور كبير في الزيادة الحكيمة في المسجد الجامع بقرطبة. هذا فضلا عن تحديد أسماء بعض المساجد العامة التي سكن بالقرب منها بعض الأطباء في عصر الخلافة.

أما كتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي (ت 403 هـ / 1012 م)، الذي يعتبر من كتب التراجم التي اعتمد مؤلفها على منهج التسلسل حسب الحروف الأبجدية لذكر التراجم، وكان خير عون في معرفة سيرة العلماء والرواة في قرطبة ورواياته ترقى الى مرتبة شاهد عيان لأنه عاش معظم القرن الرابع الهجري، هذا فضلا عن إفادة البحث بأسماء مواقع بعض المساجد في قرطبة ومن قام ببناءها من الشخصيات، هذا فضلا عن إشارته الى أسماء بعض الدروب كدرب بني فطيس ودرب بني

(1) قضاة قرطبة، مصر، الدار المصرية للتراث، 1966، ص 118 - 120.

(2) طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي، 1955.

الأشهب⁽¹⁾. كما أشار الى حارات (حومات) مدينة قرطبة مثل حارة النشارين وحومة مسجد ام سلمة نسبة الى مسجد ام سلمة⁽²⁾.

ويعد كتاب الصلة، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت 578هـ / 1182م)، من الكتب التي اتحفتنا بنصوص تاريخية مهمة، قلما نجدها في كتب أخرى ولا سيما فيما يتعلق بأحوال العلماء وتراجمهم، إذ ترجم لرجال من مختلف الطبقات سواء كانوا من القضاة او العلماء و الفقهاء او من الأمراء والخلفاء، هذا فضلا عن تحديده أسماء بعض الحومات في مدينة قرطبة كحومة النشارين والرقاقين⁽³⁾، كما أكد قيام الحاجب المنصور بن أبي عامر (371 هـ / 981م - 392 هـ / 1001م) ببناء المسجد الجامع في الزاهرة بحيث أشار الى إن المقرئ محمد بن احمد بن العطار كان قد سمعه الناس وهو يقرئ في المسجد الجامع المذكور⁽⁴⁾. هذا فضلا عن ذكر بعض الآثار العمرانية للشخصيات التي ترجم لها ولا سيما دورهم في بناء المساجد العامة بقرطبة.

وتعد مؤلفات ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر بن الابار (ت 658هـ / 1295م)، من الكتب المهمة التي أفادت البحث ومنها:

كتاب الحلة السراء، الذي قدم معلومات عن الخلفاء وأهم الأحداث التاريخية التي مرت بهم كاعلان الخلافة من قبل الخليفة الناصر لدين الله

(1) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، نشر وتصحيح: عزت العطار، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988: 1/ 181، 2/ 79.

(2) المصدر نفسه: 1/ 284.

(3) الصلة، القاهرة، مطابع سجل القاهرة، 1966: 2/ 633.

(4) المصدر نفسه: 2/ 485.

(300هـ/ 912م - 350هـ/ 961م)، وأهم أسباب قيامه بهذه الخطوة المهمة في تاريخ الأندلس⁽¹⁾. ومن خلال بعض التراجم تم التعرف الى أسماء بعض أبواب مدينة قرطبة كباب عامر القرشي وسبب تسميته بهذا الاسم.

أما كتاب التكملة لكتاب الصلة، فقد اعان البحث بمعلومات مهمة عن تراجم الشخصيات التاريخية المذكورة في متن الكتاب، فضلا عن إمدادنا بأسماء بعض المساجد العامة وأماكن تواجدها، ولاسيما مسجد مكرم ومسجد يقع على الطريق الأخذ الى مدينة الزهراء بقرب منية الخياطين⁽²⁾ وغيرها من المساجد. هذا فضلا عن إشارته الى ان المقابر كانت لا تخلوا أيضا من مساجد قام ببناءها بعض الشخصيات المترجم لها.

أما كتب التاريخ العام، فمن أبرزها كتاب المقتبس، لأبي مروان حيان بن خلف بن حيان (ت 469 هـ/ 1076م)، ويقع في عدة أقسام منها:

- القطة الخاصة بـ المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي وهو يحوي على شروح وتعليقات وهوامش غاية في الأهمية تهتم بعصر الإمارة وقد استفدت منه في العمارة الدينية والمدنية⁽³⁾.

- أما القسم الخاص بالأمير عبد الله بن محمد (275هـ/ 888م - 300هـ/ 912م) والمسمى بكتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق الأب ملشورم انطوانية، الذي قدم معلومات مفيدة فيما يخص مواقع

(1) الحلة السراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963: 1/ 298.

(2) التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عزت العطار الحسيني، بغداد، مطبعة السعادة، 1955: 1/ 193.

(3) تحقيق محمود علي مكي، القاهرة، 1971.

بعض القصور والدور والمساجد. وكذلك الإشارة الى ثورة عمر بن حفصون التي امتدت الى عهد الخليفة الناصر⁽¹⁾.

- والمقتبس، تحقيق شالميتا، وهو يعتبر الجزء الأهم من حيث الاستفادة من مادته في البحث حيث يعتني بعهد الخليفة الناصر لدين الله ويبدأ من سنة 300هـ/912م وينتهي سنة 330هـ/941م، وفيه معلومات مهمة وقيمة افادت البحث في ابرز عوامل ازدهار العمران والعمارة الدينية وخاصة مسجد السيدة مرجانة بالربض الغربي، كما استفدت منه في تحديد بعض معالم العمارة المدنية من خلال التطرق الى أهم القصور والدور الخاصة بأولاد الخليفة الناصر وتحديد مواقع بعض الأسواق والقيساريات، وكانت الإفادة منه كبيرة وقيمة⁽²⁾.

- المقتبس، وهي القطعة الخاصة بخمس سنوات من عصر الخليفة الحكم المستنصر، تحقيق عبد الرحمن علي الحججي، وبالرغم من قصر المدة الزمنية التي تناولها فإن محتوياته القيمة في مجال العمارة بمدينة قرطبة خير عون في تحديد مساجد قرطبة وأهم منشآت العمارة الدينية المستحدثة في القرن الرابع الهجري كدار الصدقة التي بناها الخليفة الحكم المستنصر للرعية، فضلا عن ذلك إفادني في تحديد بعض عناصر العمارة العسكرية كالأسوار والأبواب بقرطبة مثل باب القنطرة والذي سمي أيضا بيان المحجة⁽³⁾.

(1) تحقيق الأب ملشورم انطونيا، بارس، 1937.

(2) تحقيق شالميتا وكورينطي، مدريد- الرباط، المعهد الأسباني العربي، 1979.

(3) تحقيق عبد الرحمن علي الحججي، بيروت، دار الرشاد، 1965.

ويعد كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (كان حيا 712هـ/1312م) قد اتبع فيه مؤلفه نظام الحوليات في ذكر تسلسل الحوادث وتاريخ المدن ففي الجزء الثاني من كتابه الخاص بالأندلس وهو الذي يهمننا، حيث يبدأ بالحديث عن فتح الأندلس وعصر الولاة وقيام الإمارة الأموية في عصر الخلافة الأموية حتى وفاة الحاجب المنصور بن أبي عامر سنة (392هـ/1001م)، وقد شملت رواياته معظم عمائر قرطبة وضواحيها، مستفيدا من روايات بعض المؤرخين الذين لم تصلنا رواياتهم كابن حزم (ت 456هـ/1063م) وابن حيان، وابن بسام (ت 543هـ/1148م) وغيرهم⁽¹⁾. وقد أغنى كتاب ابن عذاري معظم مادة الكتاب حيث حدد موقع الأندلس وجغرافيتها وتسميتها، فضلا عن معلوماته السياسية والاقتصادية والاجتماعية القيمة ومدى تأثيرها على تزايد العمران، أما العمارة الدينية فرفدها بمعلومات مهمة تحدد الزيادات في المسجد الجامع بقرطبة، كما أشار الى بعض المساجد العامة بقرطبة، وجاءت معلوماته غنية بمادة العمارة المدنية كالقصور والمنتزهات والدروب والقناطر إذ قدم معلومات مهمة بصدد العمارة بقرطبة وضواحيها.

وكتاب أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، وهو من مؤلفات لسان الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن الخطيب (ت 776هـ/1374م)، وهو مقسم الى ثلاثة أقسام، ما يهمننا منه، القسم الذي حققه الأستاذ ليفي بروفنسال، الذي يبدأ بسرد الحوادث في عهد بني أمية بصورة

(1) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج بس كولان وليفى بروفنسال، ط2، بيروت،

موجزة، بحيث استفدت منه في تحديد أهم جوانب حياة الخلفاء وذكر اخبار موجزة عن ثورة ابن حفصون، وتمت الاستفادة منه بالحديث عن كل من مدينة الزهراء التي بناها الخليفة الناصر ومدينة الزاهرة التي بناها الحاجب المنصور بن ابي عامر، كما تطرق الى السجن (المطبق) ومن حبس فيه أمثال الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي⁽¹⁾.

كما يعد كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب لمؤلفه احمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1041هـ / 1631م) من الكتب التي نقلت إلينا نصوص لمؤلفين لم تصلنا كتبهم كالرازي (ت 344هـ / 955م) وابن بشكوال، وابن سعيد (ت 685هـ / 1286م)، وبذلك زودنا المقرئ بمعلومات قيمة في معظم الكتاب، ومن الروايات المميزة التي رواها نقلا عن ابن بشكوال ما يتعلق بعدد ارباض مدينة قرطبة على سبيل المثال⁽²⁾، فضلا عن ذلك قدم لنا معلومات غنية عن العمارة المدنية ولاسيما مدينة الزهراء والزاهرة، وأهم القصور بقرطبة، كما تكلم عن بعض الدور العامة والمتزهات، وأفادنا بشكل واسع في مادة القناطر وموضوع الأسواق والمقابر والسجون.

ومن كتب الجغرافية كتاب صورة الأرض لأبي القاسم بن حوقل النصيبي (ت 367هـ / 972م) الذي قام بزيارة الأندلس في عهد الخليفة الناصر سنة (330هـ / 941م) وقدم لنا معلومات في غاية الأهمية كونه شاهد عيان لاسيما فيما يتعلق بالجانب الجغرافي والاجتماعي والاقتصادي والعمراني لمدينة قرطبة

(1) أعمال الإعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط2، لبنان، دار المكشوف، 1956.

(2) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر، 1998.

خاصة والأندلس عامة. ومن ملاحظاته المهمة ما ذكره بصدد أمن قرطبة ووضع أهلها الاجتماعي والاقتصادي المزدهر. وكذلك إشارته إلى حسن أسواقها ونظافتها وحماماتها وفنادقها، وكذلك ملاحظته الدقيقة بصدد محيط سور قرطبة الذي قطعه بزمان قدره ساعة واحدة⁽¹⁾.

أما كتاب نصوص عن الأندلس (من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك)، لأحمد بن عمر بن أنس العذري (ت 478هـ/ 1085م) حيث أفادنا بمعلومات قيمة عن تسمية وجغرافية مدينة قرطبة، كما أفادنا وبشكل كبير في تحديد أقاليم قرطبة إلى 15 عشر⁽²⁾.

ويعتبر كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، لمحمد بن أيوب بن غالب (ت أواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) والذي نشر ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية⁽³⁾. من الكتب المهمة لأي باحث في مجال دراسة المدن الأندلسية ولاسيما قرطبة. فقد عزز البحث بمعلومات مهمة عن مدينة قرطبة وموقعها ومساحتها، إذ قدم لنا إحصائيات مهمة عن عدد مساجدها وأبراجها وحماماتها والدور التي بنيت فيها، وأشار إلى سور مدينة قرطبة، كما قدم لنا وصفا جليا عن المسجد الجامع بقرطبة، محددًا مقصورته ومحرابه ومنبره. كما أشار إلى مدينة الزهراء وموقف القاضي المنذر بن سعيد البلوطي من هذا البناء بفقرة خاصة، فكان له فائدة كبيرة في كافة مجالات البحث تقريبا.

(1) صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1979، ص 108.

(2) نصوص عن الأندلس، تحقيق: عبد العزيز الالهواني، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965، ص 121.

(3) فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق: لطفي عبد البديع، القاهرة، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 1، ج 2، 1955-1956.

أما كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريس (ت 560هـ/ 1164م)، فقد أشار إلى مدينة قرطبة و موقعها وما يتبعها من قرى، فضلاً عن التطرق إلى الوضع الاقتصادي لمدينة قرطبة وضواحيها، وتحديد أهم الموارد الاقتصادية التي ساعدت على تطوير العمران بقرطبة كالرخام وغيرها. هذا فضلاً عن الاستفادة منه في العمارة الدينية وذلك بتحديد بناء وزخرفة المسجد الجامع بقرطبة. وكذلك في مادة الحصون كحصن مراد⁽¹⁾ ومدينة فريش التي اعتبرت درع قرطبة، كما أمدنا بمعلومات وفيرة عن العمارة المدنية كمدينة الزهراء.

وأخيراً كتاب وصف جديد لقرطبة لمؤلف مجهول (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) الذي نشره حسين مؤنس في أحد أعداد صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمديرية⁽²⁾، فكانت له فائدة كبيرة في وصف مدينة قرطبة وخططها العمرانية وتقسيماتها وعدد الأقاليم فيها، هذا فضلاً عن أنه يورد إحصائيات مهمة عن كافة جوانب العمران بقرطبة كالمساجد والدور والحمامات والفنادق، بالرغم من أن بعض هذه الإحصائيات كان مبالغ فيها لكنها في الوقت نفسه تعطي فكرة عن الحالة التي كانت عليها مدينة قرطبة وضواحيها آنذاك.

ومن كتب الأدب كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، لأبي عبد

(1) نزهة المشتاق في اختراق الأفاق (قطعة منه بعنوان صفة المغرب وارض السودان ومصر والأندلس)، نشر: رينهارت دوزي ودي غوية، ليدن مطبعة بريل، 1968، ص 207.

(2) وصف جديد لقرطبة، تحقيق: حسين مؤنس، مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مج 13، 1965-1966، ص 164.

الله محمد الكتاني (ت 420هـ / 1029م)، في وصف بعض المباني والعمائر في مدينة قرطبة. ومن ذلك قصيدة للشاعر محمد بن شخيص يصف فيه مباني مدينة الزهراء، مما يدل على مدى جمال عمرانها⁽¹⁾.

ومن كتب الحسبة المهمة رسالة في أدب الحسبة والمحتسب، لأبي محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي (ت أواسط القرن السادس الهجري/ أواسط القرن الثاني عشرة الميلادي)، فكان لها دور مهم في رفد البحث ببعض المعلومات المهمة في مادة الأرصفة والطرق والأسواق والفنادق وقنوات المياه والسجون والمقابر بما كان لها أهمية كبيرة في توضيح ملامح العمارة بقرطبة⁽²⁾.

أما فيما يتعلق بالدراسات والأبحاث الحديثة والدوريات فقد اعتمد البحث على عدد منها أهمها مؤلفات الدكتور عبد العزيز سالم ولاسيما كتاب قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، وكتابه تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس حيث أغنى هذين الكتابين فصول الكتاب بمعلومات تاريخية قيمة عن قرطبة وأهم منشآتها العمرانية خلال عصر الخلافة.

كذلك كانت لمؤلفات المرحوم محمد عبد الله عنان واخص منها كتابي الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال. ودولة الإسلام في الأندلس. دورا مهما بما أوردته من معلومات مهمة في التعرف على آثار المسلمين ومنشآتهم العمرانية في قرطبة وضواحيها.

(1) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، المكتبة الأندلسية، 1966: 73/1.

(2) رسالة في أدب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، 1955، ص 37 وغيرها.

أما مؤلفات السيد حسين مؤنس فكانت مهمة في إغناء البحث ولا سيما كتبه فجر الأندلس والمساجد ورحلة الأندلس. وتأتي أهميتها من خلال اتقانه اللغة الأسبانية وعمله مديراً لمعهد الدراسات الإسلامية في مدريد لسنين عدة، مما جعل مؤلفاته قيمة للدراسات الأندلسية والمغربية خاصة.

أما كتاب الفن الإسلامي في أسبانيا لمؤلفه مانويل جوميث مورينو فكان كتابه مفيداً في معظم فصول الكتاب.

وكذلك مؤلفات السيد عبد الواحد ذنون طه، ولا سيما كتبه ومنها كتابه الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقية والأندلس ودراسات في تاريخ الأندلس. إذ أفات البحث كثيراً ولا سيما في مجال العمارة العسكرية ومصطلحات العمارة على وجه الخصوص.

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت بهذا الجهد المتواضع، وأن ينال حظه في خدمة المكتبة والمجتمع، وأسأل من الله العزيز أن يتقبله خالصاً له مع شكري وتقديري.

التمهيد

لم تعرف شبه الجزيرة الايبيرية - التي تشمل حالياً أسبانيا والبرتغال - باسم الأندلس إلا بعد ان سكنها المسلمون، وقد عرفت في عصورها القديمة باسم ايبيرية نسبة الى الايبيريين الذين كانوا اقدم من سكن هذه البلاد⁽¹⁾.

ثم عرفت شبه الجزيرة باسم (Hispania) وهو الاسم الذي أطلقه الرومان على شبه الجزيرة حين حكموها، ومن هنا جاء اللفظ العربي إشبانية أو إصبانية⁽²⁾، وحسب لغة القرون الوسطى الرومانسية تحول اللفظ الى (Espana) ومنه اشتقت الكلمة الإنكليزية (Spain)⁽³⁾.

أما اسم الأندلس الذي يشمل كل الأراضي التي سيطر عليها المسلمون من شبه الجزيرة، فقد اشتقة الجغرافيون والكتاب العرب من لفظة الأندليش

(1) ابو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحججي، بيروت، دار الارشاد للطباعة والنشر، 1968، ص 57؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط 2، بيروت، دار السراج، 1980، ص 32؛ وينظر: عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، لبنان، دار المعارف، 1962، ص 51.

(2) ابو القاسم عبد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، المالك والممالك، بغداد، مكتبة المثنى، 1889، ص 90؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص 58؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/2؛ احمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق: نبيل خالد الخطيب، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987: 205/5؛ المقرئ، نفح الطيب: 123/1.

(3) عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، بغداد، دار الرشيد، 1982، ص 68.

او الاندلس او الواندلس وهي الأسماء التي أطلقت على الوندال من القبائل الجرمانية الذين سيطروا على أجزاء من شبه الجزيرة الايبيرية للمدة من (408-429م)⁽¹⁾. وأطلق هذا المصطلح على المناطق التي خضعت للحكم الإسلامي منذ فتحها سنة (92هـ / 711م)⁽²⁾.

وللاندلس العديد من المدن والقواعد الكبرى والثغور والحصون المنيعة⁽³⁾، وما يهمنا من هذه المدن الشهيرة مدينة قرطبة وضواحيها.

وهي مدينة قديمة ((أزلته من بنيان الأوائل))⁽⁴⁾، لا يعرف على وجه التحديد المدى التاريخي لجذورها القديمة. واغلب الظن إنها ايبيرية الأصل استنادا الى عدد من التماثيل البرونزية ذات الطابع الايبيري، إذ يشير السيد عبد العزيز

(1) البكري، جغرافية الاندلس، ص 59؛ ابو الحسن علي بن ابي الكرم الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، 1965: 556/4؛ محمد بن علي بن محمد بن الشباط، صلة السمط وسمعة المرط من كتاب تاريخ الأندلس نضار جديان، تحقيق: احمد مختار العبادي، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1971، ص 128؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/2؛ شمس الدين عبد الله محمد الانصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبع وتصحيح: فرين ومهرن، بطرسبورغ، مطبعة الاكاديمية، 1865، ص 241؛ الحميري، المصدر السابق، ص 32؛ المقرئ، نفح الطيب: 122/2؛ وينظر: طه، المرجع السابق، ص 68.

(2) للمزيد عن فتح الاندلس ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، (بلا. م)، مطابع وزارة الثقافة، 1967: 404/1؛ ابو بكر محمد بن عمر العزيز بن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، بيروت، دار النشر للجامعيين، 1958، ص 33-36؛ ابو بكر احمد بن سعيد بن الفياض، نص اندلسي من تاريخ ابن فياض، نشر وتحقيق: عبد الواحد ذنون طه، دمشق-بيروت، دار العلم، 1976، ص 363.

(3) ابو اسحاق إبراهيم محمد الاصطخري، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، القاهرة، دار القلم، 1961، ص 35؛ ابن الشباط، المصدر السابق، ص 130؛ المقرئ، نفح الطيب: 120/1-121.

(4) وصف جديد لقرطبة، ص 164؛ المقرئ، نفح الطيب: 6/2.

سالم⁽¹⁾، أن أصل اسم قرطبة هو (كوردوبا - Cordouba) الذي يتشابه مع غيره من الأسماء الأيبيرية مثل (salduba) وهو الاسم القديم لمدينة سرقسطة.

ويقال أن أصل كلمة قرطبة بلغة القوط ((طاسعوط، وهي عندهم القلوب المختلفة، وقال آخرون... وقرطبة كوز يا عاقل إسكنها تفسيره إجري يا عاقل إسكنها))⁽²⁾.

ويؤكد البكري⁽³⁾ (ت 487 هـ / 1094م) هذا المعنى بقوله ((أن تفسير قرطبة بلسان القوط قرطبة بالطاء المعجمة ومعناه بلسانهم، القلوب المختلفة، ومعنى قرطبة آخر: فأسكنها))، ثم عربت بالطاء فصارت قرطبة⁽⁴⁾.

ويجوز أن تكون قرطبة، بضم أوله وسكون ثانيه وضم الطاء المهملة من القرطبة وهو العذو الشديد، وقيل طعنه فقرطبة وقيل القرطبا السيف من قرطبة أي قطعة⁽⁵⁾.

ولموقع قرطبة أهمية كبيرة، فهي بلاد حصينة، تقع إلى الجنوب من

(1) قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، بيروت، دار النهضة، 1971: 17 / 1.

(2) العذري، المصدر السابق، ص 121.

(3) جغرافية الأندلس، ص 10؛ وينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 458.

(4) المقري، نفح الطيب: 5 / 2.

(5) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1957: 4 / 324؛

أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، أعداد وتصحيح: يوسف خياط،

بيروت، دار لسان العرب، د.ت: 62 / 1.

الأندلس ويحدها من الشرق مدينة جيان ومن الغرب إشبيلية⁽¹⁾. أما جهة الجنوب فهي موفية على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير، نهر بيطي قبل الفتح الإسلامي⁽²⁾، وهو النهر الوحيد في الأندلس الذي يحمل أسما عربيا⁽³⁾. ومن الشمال فقرطبة تقع على سفح جبل العروس المغروس بأنواع الكروم والزيتون وسائر الأشجار وأنواع الأزهار⁽⁴⁾، ويؤلف جبل العروس أحد سلاسل جبال سيرا مورينا (Siera morena) أو الجبال السوداء من سلسلة الجبال المحيطة بقرطبة⁽⁵⁾، كما تحتل قرطبة سهلا فسيحا يمتد مسافات كبيرة وينتج مختلف الغلال يعرف في المصادر التاريخية العربية بالكنبانية أو القنبانية⁽⁶⁾.

(1) أبو عبد الله محمد عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: سعيد محمد العريان، القاهرة، دار إحياء التراث الإسلامي، 1963، ص 30؛ عماد الدين إسماعيل المعروف بابن الفداء، تقويم البلدان، تحقيق: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، باريس، دار الطباعة السلطانية، 1840، ص 175-177؛ الحميري، المصدر السابق، ص 458؛ القلقشندي، المصدر السابق: 219/5.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص 296.

(3) وصف جديد لقرطبة، ص 166؛ المقري، نفح الطيب: 2/5؛ وينظر: سالم، قرطبة: 15-16.

(4) ابن غالب، المصدر السابق، ص 296؛ الادريسي، المصدر السابق، ص 208؛ الحميري، المصدر السابق، ص 456؛ وينظر: سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة: رياض رافت، القاهرة، 1938، ص 437.

(5) وتعرف هذه السلسلة من الجبال عند العرب بمجبال الشارات. ينظر: الادريس، المصدر السابق، ص 173؛ محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ط 2، القاهرة، مؤسسة الخانجي، 1961، ص 18؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص 292.

(6) الكنبانية: اسم يطلق على الأراضي السهلية لخصوبتها وصلاحياتها للزراعة وأصلها من الكلمة اللاتينية (campania) أي الحقل أو المحرث كما يسميها الأندلسيون وتكتب أحيانا بالقاف =

وتتمتاز قرطبة بطبيعتها المعتدلة ووفرة مياهها وكثرة عيونها وخصوبة أرضها⁽¹⁾، مما يساعد على رفاه وغماء الحياة بكل مكوناتها، ويقول فيها الحجاري في المسهب نقلاً عن المقرئ⁽²⁾ ((وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد نهرها من احسن الأنهار مكتنف بدياج المروج مطرز بالازهار تصدع في جنباته الاطيار، وتنعر النواعير وييسم النوار))، وقال بحقها أحد رؤساء أجنادها ((جوفها شمام وغريها قمام وقبلتها مدام والجنة هي والسلام، يعني بالشمام جبال الورد ويعني بالقمام ما يؤكل إشارة الى محرث الكنبانية ويعني بالمدام النهر))⁽³⁾.

وتعتمد قرطبة اعتماداً كلياً على ما تنتجه أرضها من ثروات زراعية ولاسيما الزيتون والكروم وأنواع مختلفة أخرى من المحاصيل

الكنبانية وكنبانية قرطبة تحوي العديد من القرى و المزارع وأهم محاصيلها الزراعية الزيتون. للمزيد ينظر: محمد بن احمد بن ابي بكر المقدسي. احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط2، ليدن. مطابع بريل، 1906، ص233؛ إسماعيل بن محمد الشقندي، رسالة في فضل الاندلس وأهلها، نشرت بعنوان رسائل ونصوص، نشر: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1968، ص55؛ ابن عذاري، المصدر السابق، 2/200؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/402؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص292.

(1) المقدسي، المصدر السابق، ص233؛ وصف جديد لقرطبة، ص164.

(2) نفح الطيب: 1/135.

(3) المصدر نفسه والجزء والصحيفة.

الزراعية⁽¹⁾. أما ثرواتها المعدنية منها معدن الزئبق حيث يوجد بكميات كبيرة في موضع يقال له بطروش⁽²⁾ ويجلب لجميع الأقطار⁽³⁾.

وكذلك يوجد فيها معدن الفضة حيث يتوفر في قرية كرتش⁽⁴⁾، ومعدن الشاذنج الذي يستعمل في التذهيب⁽⁵⁾، ومعدن الحديد الذي يكثر في قرية فريش⁽⁶⁾.

كما تكثر فيها مقاطع الرخام بالوانه المختلفة⁽⁷⁾، وكان لتواجده فيها أثر

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص 295-296.

(2) وهو حصن من أعمال فحص البلوط في قرطبة، ويشتهر الى جانب معدن الزئبق بجباله وسهوله الزاخرة بشجير البلوط، الذين يحتفظون بشماره لسنين القحط. ينظر: ابو محمد علي بن احمد بن حزم، رسائل في فصل الاندلس منشورة بعنوان رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981: 174 / 2؛ الادريسي، المصدر السابق، ص 213؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 447 / 2؛ الحميري، المصدر السابق، ص 94.

(3) الادريسي، المصدر السابق، ص 213؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 492 / 1؛ الانصاري، المصدر السابق، ص 242.

(4) وصف جديد لقرطبة، ص 164؛ المقرئ، نفح الطيب: 29 / 2.

وكرتش: هو أحد أقاليم قرطبة التي تشتهر بمعادنها كالذهب والفضة فضلا عن زراعة القمح والشعير، وتتبعها حوالي ستين قرية: ينظر العذري، المصدر السابق، ص 126.

(5) زكريا بن محمد بن محمود القزويني، اثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، 1960، ص 552؛ المقرئ، نفح الطيب: 53 / 2.

(6) الادريس، المصدر السابق، ص 207. وفريش: موضع يقع في غرب قرطبة يكثر فيه فضلا عن الحديد حجر الرخام وشجر القسطل وتتبعها العديد من القرى، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 259 / 4؛ الحميري، المصدر السابق، ص 440.

(7) المقرئ، نفح الطيب: 190 / 1؛ وينظر كونستبل، المرجع السابق، ص 283.

كبير في ازدهار عمران قرطبة وأتساعها حتى كادت احواز قرطبة تنتهي في الغرب الى احواز أشبيلية، وتاخذ في الجوف ستين ميلا (96.45 كم)، وتختلط احوازاها باحواز جيان شرقا⁽¹⁾.

كانت قرطبة عند فتح الإسلامي سنة (92هـ / 711م)⁽²⁾، تتكون من مركزين عمرانيين شرقي وغربي يفصل بينهما سور حاجز، والغرض من إقامته فصل الأهالي الذين يسكنون الجانب الشرقي منها عن القسم الغربي الذي يشتمل على المؤسسات الحكومية وثكنات الجند، وكان الجزء الشرقي منها يعرف في العهد الإسلامي بالشرقية او المدينة العتيقة⁽³⁾، وعلى هذا الأساس يكون المركز العمراني الشرقي من قرطبة السابقة على الفتح الإسلامي هو نفس ربض المدينة العتيقة من مجموع ارباض الجانب الشرقي لقرطبة في عصر الخلافة⁽⁴⁾. وكانت هذه المدينة العتيقة محاطة بسور من الحجارة⁽⁵⁾، وقد

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص 207؛ الحميري، المصدر السابق، ص 458.

(2) كان فتح مدينة قرطبة على يد القائد مغيث الرومي وهو احد قادة الفتح الإسلامي للأندلس أثناء حملة القائد طارق بن زيادة. ينظر: ابن القوطية، المصدر السابق، ص 33-35؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر ولايتها، نشر وتحقيق: لافونتي القنطرة، مدريد، مطابع ريدنير، 1867، ص 10؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 9/2.

(3) المقرئ، نفح الطيب: 6/2؛ وينظر: سالم، قرطبة في العصر الإسلامي، بغداد، مجلة المؤرخ العربي، العدد 13، 1980، ص 40-41.

(4) المقرئ، نفح الطيب: 6/2؛ وينظر: سالم، قرطبة حاضرة: 163/1 - 164.

(5) المقرئ، نفح الطيب: 6/2.

تهدم من الناحية الغربية فاستوجب بناؤه في ولاية السمع بن مالك الخولاني
(100هـ/ 719 م - 102هـ/ 721 م)، سنة (101هـ/ 719 م)⁽¹⁾

أما القسم الغربي فيقع في الموقع نفسه الذي تقوم عليه المدينة الوسطى⁽²⁾
أو القصبة العتيقة⁽³⁾ أو المدينة العليا⁽⁴⁾ ويحيط بها سور حصين⁽⁵⁾. وفيه قصر
مدينة قرطبة بغربها متصلا بسورها من جهة الجنوب والغرب وكان الجامع بإزاء
القصر من جهة الشرق وقد وصل بينها بساباط يسير الناس تحته من المحجة
الكبرى⁽⁶⁾، والقنطرة على نهر الوادي الكبير إلى الجنوب من الجامع⁽⁷⁾.

(1) أخبار مجموعة، ص 24؛ مؤلف مجهول، نبذة من أخبار فتح الأندلس مأخوذ من الرسالة
الشريفة إلى الأقطار الأندلسية ضمن كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لأبن القوطية، تحقيق:
عبد الله انيس الطباع، بيروت، دار النشر للجامعيين، 1958، ص 210-211؛ ابن عذاري، المصدر
السابق: 26/2.

(2) الإدريسي، المصدر السابق، ص 208.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/324.

(4) ابن غالب، المصدر السابق، ص 292؛ وينظر: سالم، قرطبة حاضرة: 1/163-164.

(5) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 108؛ أخبار مجموعة، ص 186.

(6) الحميري، المصدر السابق، ص 458؛ والمحجة الكبرى وتعرف بالسكة العظمي: وهي عبارة عن
طريق فسح مرصوف كان يشق المدينة العتيقة من وسطها في القسم الغربي من قرطبة ويبدأ من
ميناء قادس على البحر المحيط جنوب الأندلسي ويسير شكالا وينتهي عند أربونة. وترتبط به
جميع الطرق الرئيسة داخل قرطبة وخارجها وللمزيد ينظر: المقري، نفح الطيب: 2/10؛ سالم،
قرطبة: 1/164-165؛ وينظر التفاصيل في ص من الرسالة.

(7) الحميري، المصدر السابق، ص 458.

وتتفتح في سور قرطبة سبعة أبواب⁽¹⁾، هي باب القنطرة في الجهة الجنوبية وبابان من جهة الشرق هما الباب الجديد وباب ابن عبد الجبار ومن جهة الشمال باب ليون، وثلاثة أبواب من جهة الغرب وهي، باب عامر القرشي، وباب الجوز، وباب أشيلية⁽²⁾.

وبلغت قرطبة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي اوج عظمتها ويقول فيها ابن حوقل⁽³⁾ باعتباره شاهد عيان ((أعظم مدينة بالأندلس قرطبة وليس بجميع المغرب بها شبه ولا بالجزيرة والشام ومصر وما يدانيها في كثرة أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق)).

كذلك يشير المقرئ⁽⁴⁾ الى ان قرطبة ((لم تنزل في الزيادة منذ الفتح الإسلامي الى سنة اربعمائة فانحطت واستولى عليها الخراب بكثرة الفتن)). ويقال ان العمارة في مباني قرطبة والزهاء والزاهرة اتصلت فيما بينها والناس يسرون على حد الشقندي⁽⁵⁾ المتوفي سنة (629هـ / 1231م) بضوء السرج المتصلة عشرة

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص 296، المقرئ، نفح الطيب: 10/2؛ ويقول عبد العزيز سالم ويغلب الظن أن أبواب مدينة قرطبة كانت خمساً في عصر الإمارة، ثم أصبحت سبعاً منذ عصر عبد الرحمن الناصر. وينظر: قرطبة: 170/1.

(2) المقرئ، نفح الطيب: 5/2.

(3) صورة الأرض، ص 107.

(4) نفح الطيب: 5/2.

(5) المصدر نفسه: 4/2.

أميال (16.09 كم). وقد شاهد ابن حوقل الزائر للأندلس مدى زيادة العمران بقرطبة فذكر ان الأبنية كادت تتصل بين قرطبة والزهراء⁽¹⁾.

وقد بقيت قرطبة في زيادة مستمرة خارج أسوارها منذ عصر الإمارة (138هـ / 755م - 316هـ / 928م) ويمكن تحديد هذه الزيادة في العمران بقرطبة في جانبها الشرقي والغربي والشمالي والجنوبي بحيث أصبحت على حد قول الادريسي⁽²⁾ ((خمس مدن يتلو بعضها بعضاً بين المدينة والمدينة سور حاجز في كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات وفي طولها من غربها الى شرقها ثلاثة أميال (4.827 كم) وكذلك عرضها من باب القنطرة الى باب اليهود بشمالها ميل واحد (1.609 كم))) ولم يكن مسوراً من هذه المدن الخمسة سوى المدينة الوسطى او القصبة⁽³⁾. ويذكر ابن حوقل⁽⁴⁾ انه دار ((بسورها غير يوم في قدر ساعة)).

وكانت كل مدينة من هذه المدن الخمسة التي تؤلف في مجموعها مدينة قرطبة تضم ارباضاً مختلفة يختلف عددها ونسبة اتساع كل منها.

فيشير ابن بشكوال ان ارباض قرطبة بلغت عند نهايتها في الاتساع

(1) صورة الأرض، ص 107؛ ينظر: سالم، قرطبة: 175 / 1 - 176.

(2) نزهة المشتاق، ص 208؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص 292.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 108؛ المقرئ، نفح الطيب: 11 / 1، وينظر: سالم، قرطبة: 176 / 1.

(4) صورة الأرض، ص 108.

21 ربحاً⁽¹⁾. في حين يذكّر البعض الآخر أن أرباض قرطبة بلغت ما يقارب الـ 20 ربحاً⁽²⁾، وقيل 28 ربحاً⁽³⁾.

ويستبعد عبد العزيز سالم⁽⁴⁾ الرقمين الأخيرين حيث يذكر أن الرقم الأول أقل بربض واحد عن المجموع الكلي لأرباض قرطبة آنذاك أما الرقم الثاني فهو مبالغ فيه.

وشملت هذه الأرباض كما يوردها المقرئ⁽⁵⁾ نقلاً عن ابن بشكوال: المدينة الشمالية: وتضم كل من ربض باب اليهود ومسجد أم سلمة والرصافة والمدينة الجنوبية: أرباضها شقنّدة ومنية عجب.

أما المدينة الشرقية: فتحتوي كل من ربض شبّار وفرن بريل والبرج ومنية عبد الله ومنية المغيرة والزاهرة والمدينة العتيقة.

كما تضم المدينة الغربية: كل من ربض حوائت الریحان والرقاقين ومسجد الروضة والسجن القديم ويتوسطها المدينة الوسطى وتضم القصبة ومركزها.

(1) المقرئ، نفح الطيب: 10/2؛ وينظر: محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984، ص 18.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص 296.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 232/2؛ ويميل المرحوم محمد عبد الله عنان إلى اعتماد الرقم الثاني أي (28) ربحاً في قرطبة مستنداً بذلك على رواية ابن عذاري ينظر: دولة الإسلام في الأندلس، ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988، ق1: 448/2.

(4) قرطبة: 177/1.

(5) نفح الطيب: 10/2-11؛ وينظر: سالم، قرطبة: 178-180 وينظر الخارطة رقم (2) من الملاحق.

ويرى السيد حسين مؤنس⁽¹⁾ ((ان قرطبة كانت تتكون في الواقع من أربعة أقسام رئيسية: القسم الأول هو المدينة او القصبة، وهي المدينة القديمة وامتدادها الى الشمال فشملت على الترتيب من الجنوب الى الشمال ربض باب اليهود وربض مسجد ام سلمة وربض الرصافة، والقسم الثاني هو الجانب الشرقي او المدينة الشرقية ويضم سبعة أرباض أو أحياء، والقسم الثالث وهو الجانب الغربي او المدينة الغربية ويضم تسعة أرباض أو أحياء، والقسم الرابع هو المدينة القبلية على الضفة اليسرى للوادي الكبير ويضم حين او ربضين هما شقندة ومنية عجب)).

ومن خلال ما ورد ذكره في أعلاه نرى ان ارباض المدينتين الشرقية والغربية تزيد بكثير عن ارباض المدينتين الشمالية والجنوبية فالشرقية تضم 7 ارباض والغربية تضم 9 ارباض في حين تضم المدينة الشمالية 3 ارباض والجنوبية ربضين فقط. وهو ينسجم مع ما ذكره ابن بشكوال في روايته السالفة الذكر.

وبدورها تنقسم هذه الارباض الى حومات أو أحياء منها حومة باب الفرج وحومة النشارين وحومة الرقاقين قرب باب اشبيلية أو العطارين⁽²⁾،

(1) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1967، ص 292.

(2) ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 633؛ ابن الشباط، المصدر السابق، ص 143.

وحومة النجارين⁽¹⁾ وحومة عين قبش غربي قرطبة⁽²⁾، فضلا عن حومات سميت بأسماء المساجد التي فيها كمسجد أم سلمة⁽³⁾، كما سميت الحومات بأسماء المنى المنتشرة في قرطبة كمنية عجب⁽⁴⁾.

وهذا التوسع الملحوظ في القرن الرابع الهجري كان من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال حتى قيل ان العمارة اتصلت بين قرطبة والزهراء والزاهرة بحيث انه كان يشمي فيها نصوء السرج المتصلة حوالي عشرة أميال (16.9 كم)⁽⁵⁾.

وبلغت فخامة وابهة قرطبة في المدة المذكورة الحد الكبير بحيث أصبحت شهرتها تعلو في الأفق، حتى ان الراهبة السكسونية هروسوفيتا التي اشتهرت بنظمها الشعر في أواخر القرن الرابع الهجري، أشادت في قصائدها اللاتينية بمحاسن قرطبة ووصفتها بـ"زينة الدنيا"⁽⁶⁾.

(1) ابو عبد الله محمد بن حارث بن اسد الحشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: ماريا لويسا بيلاولويس مولينا، مدريد، 1992، ص 80؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 495 / 2.

(2) احمد بن يحيى بن احمد الضبي، بغية الملتبس في تاريخ أهل الاندلس، ط 3، مدريد، مطابع روخس، 1884، ص 197؛ وينظر: سالم، قرطبة: 43 / 1.

(3) ابن الفرضي، المصدر السابق: 284 / 1؛ وسميت بعض احياء اخرى بقرطبة بأسماء مساجد كالشفاء والكهف ومسرور وغيرها. ينظر: وصف جديد لقرطبة، ص 168.

(4) ابن بشكوال، المصدر السابق: 355 / 2، 477؛ الضبي، المصدر السابق، ص 269؛ وصف جديد لقرطبة، ص 169. وسيرد تعريف وتوضيح لفظة (المنى) لاحقا في الفصل الرابع، ص من الرسالة.

(5) المقرئ، نفح الطيب: 4 / 2.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 147 / 2؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام، ق 1: 448 / 2.

الفصل الأول

عوامل ازدهار الحركة العمرانية في قرطبة

الفصل الأول

عوامل ازدهار الحركة العمرانية في قرطبة

لقد بلغت قرطبة وضواحيها أوج عظمتها في القرن الرابع الهجري في جميع جوانبها الحضارية، ومنها الحركة العمرانية على وجه الخصوص، ولغرض دراسته بشكل مفصل لابد لنا من دراسة أهم عوامل الازدهار والتقدم السياسي والاجتماعي والاقتصادي، لما لها من تأثير في استقرار الأندلس عامة وقرطبة العاصمة خاصة، كما أنها محاولة للوقوف على تفسير أسباب هذه النهضة العمرانية في مدة البحث تحديداً.

أولاً: العامل السياسي

لتحديد العامل السياسي وتأثيره على العمران علينا الأخذ بنظر الاعتبار الوضع الداخلي والخارجي للبلاد، ومؤثرات كل جانب على توفر الأمن والسلام.

فلما توفي الأمير عبد الله بن محمد⁽¹⁾ سنة (300هـ / 912م)، ظفر حفيده

(1) هو الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن يكنى أبا محمد، ولد في سنة (229هـ / 911م) أمه تدعى أشار أو عشار، وكان من اصحاب الزهد والتدين محباً للأدب والشعر تولى الإمارة بعد وفاة أخوه المنذر سنة (275هـ / 888م) وتوفي وهو ابن الـ 72 عاماً وذلك سنة (300هـ / 912م). ينظر: أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربة، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرون، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1962: 4/ 497 وما بعدها؛ أبو عبد الله محمد بن

عبد الرحمن بن محمد⁽¹⁾ (300هـ/912م - 350هـ/961م) بالإمارة دون اعمامه واعمام ابيه الذين لم يتعرضوا على الأمر⁽²⁾.

يعلل عبد العزيز سالم⁽³⁾ سبب ذلك إنهم تخلوا عنها زاهدين فيها لما يحيط بها من أخطار. وأصبح عبد الرحمن بن محمد أمير الأندلس دون منازع، في الوقت الذي كانت فيه الأندلس تعمها الخلافات والفتن من كل ناحية واستشرت روح العصيان والتمرد، حتى غدت كالنار المحرقة واستطاع هذا الأمير الشاب إخضاع واستئصال هذه الروح المتمردة ولم يبق عاصمي إلا وإطاعة، ودخلت الأندلس كلها في أمرته⁽⁴⁾.

أبي نصر الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، القاهرة، الدار المصرية، 1966، ص12؛ الضبي، المصدر السابق، ص17؛ ابن الأبار، الحلة السراء: 1/120؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/120 - 121.

(1) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر، ولد قبل مقتل والده بإسابع قلائل. قيل إن والده قتل على يد أخيه المطرف بن عبد الله بن محمد - وذلك سنة (277هـ/890م)، فنشأ في كفالة جده أمه جارية إسبانية تدعى ماريّا أو مزنة، وتولى أمور الدولة وهو شاب لم يكن يتجاوز الثانية والعشرون من عمره وبلغت خلافته خمسين عاماً. ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص12؛ الضبي، المصدر السابق، ص17-18؛ ابن الأبار، الحلة السراء: 1/197؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/150، 151، 158، وما بعدها؛ وينظر: محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1970، ص177-178.

(2) ابن حزم، رسائل ابن حزم: 3/193-194؛ علي بن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1964: 1/181؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المصدر السابق ديوان المبتدأ والخبر، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1979: 4/137.

(3) تاريخ المسلمين، ص279.

(4) ابن القوطية، المصدر السابق، ص131-132؛ أخبار مجموعة، ص153؛ ابن عذاري، المصدر

واتبع الأمير عبد الرحمن بن محمد إزاء هذا الوضع السياسي المتدهور سياسة صائبة تقوم على أساس المواجهة والحزم والإقلاع عن سياسة الرفق واللين التي سار عليها من سبقوه تجاه المتمردين واتبع عدة وسائل منها: حسن اختيار الرجال واستمالتهم لجانبه وبذل الأموال عليهم، حتى غدت الأندلس خالية نسبياً من المتمردين⁽¹⁾.

ويؤكد ستانلي بول نجاح هذه السياسة بقوله ((وكان من أثر كل هذا ان الخليفة حينما هب يقود جيوشه لمحاربة الولايات الخارجة عليه،... أخذت المدن بالأندلس تفتح للأمير أبوابها واحدة أثر واحدة))⁽²⁾.

وبهذا ابتداء حكمه بمحاربة العصاة والخارجين وكانت أولى غزواته المسماة بـ (غزوة المتلون)⁽³⁾ افتتح فيها ما يقارب السبعين حصناً من أمهات الحصون

السابق: 157/2 - 158؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: مصطفى أبو حنيف، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، د.ت: 115/22؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 137/4.

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 53-58 وما بعدها؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 182/1؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 160/2 وما بعدها؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 36؛ وينظر: حازم حسين، الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب - جامعة الموصل، 1983، ص 30-31.

(2) قصة العرب في أسبانيا، ترجمة: علي الجارم، مصر، دار المعارف، 1947، ص 104-105.

(3) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 58؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 161/2؛ وقد نظم الشاعر الأندلسي أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه المتوفي سنة (328هـ/ 939م) في هذه الغزوة وجميع غزوات الخليفة الناصر وانتصاراته ارجوزة شعرية رائعة يقول في مستهلها:

قد أوضح الله للإسلام منهاجاً والناس قد دخلوا في الدين افواجاً

للمزيد، ينظر: العقد الفريد: 4/449-450 وما بعدها.

سوى ما فتح بفتحها من بناتها وذواتها وقصابها ومراتبها مما قارب الثلاثمائة بين حصن وبرج⁽¹⁾، وذلك سنة (301 هـ / 912م) حتى بسط نفوذه على أشبيلية⁽²⁾.

وتفرغ بعد ذلك الأمير عبد الرحمن بن محمد لتمرّد عمر بن حفصون⁽³⁾ الذي شكل خطراً كبيراً على الدولة الأموية منذ بدايتها في عصر الإمارة سنة (267 هـ / 880م) أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (238 هـ / 852م -

والمتلون: حصن أندلس من نواحي مدينة جيان التي تقع شرق مدينة قرطبة. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق: 207/5؛ صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، لبنان، دار المعرفة، 1955: 1317/3؛ الحميري، المصدر السابق، ص 458.

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 61-62؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 196/2؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص 280-281.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 162/2 - 163.

(3) يعتبر عمر بن حفصون من أشهر المتمردين على الإمارة الأموية في قرطبة، وهو يتسبب إلى أسرة فقيرة اعتنقت الإسلام منذ عهد الأمير الحكم بن هشام (180 هـ / 796م - 206 هـ / 821م)، عاش في بداية أمره في إقليم رندة الذي تحيطه كورة تاكرونا في جنوب الأندلس، ثم فر إلى بلاد المغرب بعد ارتكابه جريمة قتل ثم عاد إلى الأندلس واستولى على حصن روماني أسماه (بيشتر Babastro) في المناطق الجبلية الجنوبية في إقليم رية. وقد التف حوله جماعة من المولدين وذلك سنة (267 هـ / 880م) أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن. وقد استمر هذا التمرد قرابة 48 سنة، حتى أيام الأمير عبد الرحمن بن محمد: ينظر ابن القوطية، المصدر السابق، ص 109، 121؛ ابن حيان، تحقيق ملشور انطوانيا، ص 50-51؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 139/2؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 34-35؛ الحميري، المصدر السابق، ص 79؛ وينظر:

Rachel Arie, Abdal-Rahman III, emiret calife de cordoue, AL-andalus, Tome 10, Toness, 1993, P. 5 .

273هـ/886م)، ولا سيما تعاونه مع بعض دول المغرب العربي⁽¹⁾. وقد استمرت الفتنة في هذا العصر لكنها أصيبت بإحباط شديد بموت عمر بن حفصون نفسه سنة (305هـ/917م)، ثم أكمل التمرد أولاده حتى تم القضاء عليهم سنة (315هـ/927م)⁽²⁾.

وكان وقع هذه الأحداث إيجابياً في السير قدماً وتعزيز سلطة الدولة الأموية وحاكمها الأمير عبد الرحمن بن محمد الذي على بشدة بأسه وقوة مراسه ومضاء عزيمته وثبوت سلطانه، وهذا ما دفعه الى ان يقدم على خطوة جريئة ومهمة وهي إعلان الخلافة⁽³⁾ والتلقب بالناصر لدين الله وذلك في مستهل ذي الحجة سنة (316هـ/929م)⁽⁴⁾، وهو أول من تسمى بها من بني أمية بالأندلس⁽¹⁾، حيث كان يسمون بأبناء الخلائف⁽²⁾.

(1) حيث تذكر المصادر ان الاغلبية لم يتورعوا في تحريض وتدعيم الثوار ضد أمراء قرطبة حيث ساعدوا عمر بن حفصون في ذلك، كما دعى عمر بن حفصون على المناير في الأندلس للأدارة في المغرب الأقصى وجرت بينهما مراسلات للتأمر على الخليفة في الأندلس. ينظر: ابن حزم، جبهة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصر، دار المعارف 1962، ص 50؛ ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 87-88؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 1/633؛ عبد العزيز الفيلاي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، د.ت، ص 114-115، 131.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 209 وما بعدها؛ اخبار مجموعة، ص 154؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/195-196؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/140؛ وينظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ط 7، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، 1964: 3/295.

(3) ابن حزم، جبهة أنساب، ص 100؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/198-199؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 30.

(4) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 241؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 1/182؛ في حين تشير مصادر تاريخية أخرى الى سنة (317هـ/930م) موعداً لأعلان الخلافة. ينظر: الحميدي، المصدر السابق،

=

وكان لا تخاذ هذا اللقب العديد من الأسباب منها تدهور أوضاع الخلافة العباسية في المشرق وما الت اليه من الضعف والانحلال والاستبداد من قبل الاتراك وعبثهم بأمور البلاد⁽³⁾. كما كان لقيام الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب العربي وتوسعها السريع في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي تهديدا كبيرا للأمويين في الأندلس⁽⁴⁾، فضلا عن ما سبق اراد الخليفة الناصر فرض هيئته في نفوس رعيته وأسرته والممالك المسيحية الأسبانية التي أصبحت خطرا يهدد

ص13؛ الضبي، المصدر السابق، ص18؛ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام حوادث عام 321 هـ - 330 هـ تحقيق: عبد السلام تدمري، ط4، بيروت، دار الكتاب العربي، 2002، ص444.

(1) تذكر الروايات ان بني أمية دعوا لنبي العباس في بداية دخول عبد الرحمن الداخل ثم كف عن ذلك. ينظر: ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص90؛ ابن الابار، الحلة السيرة: 1/ 35-36؛ ابو مروان عبد الملك بن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: احمد مختار العبادي، مدريد، مطبعة الدراسات الإسلامية، 1971، ص60؛ ابو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ابي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، تونس، المكتبة العتيقة، 1967، ص44.

(2) المراكش، المصدر السابق، ص54؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 181-182؛ النويري، المصدر السابق: 22/ 115؛ وينظر: حسين، المرجع السابق، ص31.

(3) المراكش، المصدر السابق، ص54؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 182؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 157؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 137؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص17-18؛ النويري، المصدر السابق: 22/ 115؛ ابن ابي دينار، المصدر السابق، ص44.

(4) ابن حزم، رسائل: 2/ 194؛ الضبي، المصدر السابق، ص18؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 182؛ ابن الابار، الحلة السيرة: 1/ 298؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 157؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص60-61؛ ابن ابي دينار، المصدر السابق، ص44.

بلاده خاصة بعد حالة الضعف النسبي التي عاشتها البلاد سابقاً⁽¹⁾، وقيل ان أهل الأندلس أنفسهم طلبوا من الناصر إعلان الخلافة⁽²⁾.

وقد أدت سياسة الخليفة الناصر الحكيمة وانتصاراته الباهرة، وحكمه المديد الى سيادة الأمن والاستقرار النسبي، مما أدى بدوره الى الرخاء الاقتصادي ووفرة الأموال وارتفاع مستوى المعيشة⁽³⁾. فأدى الى تهيئة الظروف الملائمة لتزايد العمران، فازدهت قرطبة في عهده بالعمران واصبحت في اوج جمالها واناقتها وزودت بالعديد من المرافق والمنشآت ومن أبرزها بناء مدينة الزهراء التي سنأتي على ذكر تفاصيلها خلال الفصول القادمة، ودام حكم الخليفة الناصر ما يقارب من النصف قرن حيث توفي سنة (350هـ / 961م)⁽⁴⁾.

وتولى ابنه الحكم المستنصر⁽⁵⁾ الخلافة من بعده وأخذت له البيعة من جميع

(1) احمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلس، بيروت، 1971، ص 380؛ ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في اسبانيا، القاهرة، دار المعارف، 1979، ص 26-27.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 241؛ ابن الاثير، المصدر السابق: 8 / 535؛ العبادي، في التاريخ العباسي، ص 380؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر في جامعة الموصل، 1986، ص 157.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 103-104؛ وينظر: علي، المرجع السابق، ص 432؛ جاك م. ريسلر، الحضارة العربية، ترجمة: غنيم عبدون، مصر، د.ت، ص 149.

(4) الحميدي، المصدر السابق، ص 13؛ الضبي، المصدر السابق، ص 18؛ ابن الابار، الحلة السيرة: 197 / 1.

(5) هو الخليفة ابو المطرف الحكم بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمستنصر بالله، أخذت له لاية العهد في حياة ابيه سنة 325هـ / 936م وتولى الخلافة وعمره سبعة وأربعين عاماً وعرف بحبه للكتب والعلوم حتى قيل انه بصير بالادب والعلوم والشعر وانساب الناس، وبلغت الاندلس في عهده من ناحية العلم والعلماء اوج عزها وازدهارها، ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب، ص 100؛

أنحاء الأندلس وثغورها وتولى الخلافة والبلاد موحدة مستقرة قوية تمتعت بالرخاء والحياة المزدهر، وبلغت الدولة أوج عظمتها وتقدمها⁽¹⁾، واستطاع الخليفة الحكم المستنصر أن يثبت قدرته وحنكته السياسية على الرغم من اهتمامه الكبير بالجانب العلمي والثقافي، فقد مارس الحكم في حياة والده، الذي دربه ليتولى الأمور السياسية واسند إليه الوظائف المهمة في الدولة، وبذلك استطاع أن يحافظ على الهدوء والاستقرار الداخلي إلى جانب مواجهة الأعداء في الخارج ليثبت لهم أن عصره هو استمرار لعصر والده⁽²⁾.

وكان الخليفة الحكم المستنصر مثل أبيه محبا للبناء والأعمار فكان عصره مكملًا لعصر والده، وقد ارتبط اسمه بالزيارة الكبرى التي أجراها في المسجد

الحميدي، المصدر السابق، ص 13؛ الضبي، المصدر السابق، ص 18؛ ابن الأبار، الحلة السيرة: 1/ 200؛ الذهبي، دولة الإسلام، تحقيق: محمد مصطفى إبراهيم وآخرون، مصر، الهيئة المصرية للكتاب، 1974: 1/ 182؛ أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، د.ت: 3/ 55؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 483؛ وفاء عبدالله بن سليمان المزروع، الخليفة الحكم المستنصر، السعودية، الدار السعودية، 1982، ص 116 وما بعدها.

(1) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ وينظر: عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، دمشق، بيروت، دار العلم، 1976، ص 299؛ عنان، دولة الإسلام: 2/ 440.

(2) ابن حيان، تحقيق شاليتا، ص 161، 171، 199، 201، 209 وما بعدها؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 173، 176؛ المقرئ، ازهار الرياض في أخبار بني عياض، الرباط، صندوق إحياء التراث، 1978: 2/ 286؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 441؛ المزروع، المرجع السابق، ص 25-27 وما بعدها.

الجامع بقرطبة⁽¹⁾، وأيضاً اهتمامه بإنشاء دور الكتاتيب وتطوير مكتبة قرطبة الخلافة⁽²⁾.

وفي أواخر عهده شعر الخليفة الحكم المستنصر بأعراض الضعف والمرض تدب فيه⁽³⁾، فأمن ولاية العهد لأبنة هشام (366هـ / 966م - 399هـ / 1008م) وذلك في جمادي الآخرة سنة (365 / 976م)، وأخذت له البيعة، فأصدر الخليفة أوامر بأن تبعث كتب بهذا الشأن الى مختلف الجهات في المغرب والاندلس فبويع هشام بن الحكم بالخلافة عند وفاة والده سنة (366هـ / 976م)⁽⁴⁾. ولم يكن يتجاوز الثانية عشرة من عمره مما أدى الى ظهور شخصية الحاجب المنصور بن ابي عامر الذي عمل على تسلم مقاليد الحكم في

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 241 / 2.

(2) ابن الأبار، الحلة السراء: 200 / 1، 203؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 240 / 2؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 146 / 4؛ وينظر: حسين، المصدر السابق، ص 147 وما بعدها.

(3) كان الحكم المستنصر قد أصيب في أواخر عصره بمرض الفالج (الشلل) وتوفي في اليوم الثاني من صفر سنة (366هـ / 977م) في قصر الخلافة بقرطبة بعد أن ترك مدينة الزهراء لغلبة برد هواء الجبل عليه لذلك نصحه الأطباء بترك هذا المكان سنة (364هـ / 975م)؛ ينظر: ابن حيان، تحقيق: عبد الرحمن علي الحججي، ص 211؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 43 - 44؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 259 / 2.

(4) الحميدي، المصدر السابق، ص 13-14؛ الضبي، المصدر السابق، ص 18؛ ابن الأبار، الحلة السراء: 200 / 1؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 43، 44؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 249 / 2.

الدولة الأموية⁽¹⁾، فتخلص من منافسيه وأولهم الصقالبة⁽²⁾ الذين أرادوا تعيين الأمير المغيرة بن عبد الرحمن الناصر بدل هشام بن الحكم للمحافظة على مراكزهم في الدولة⁽³⁾.

ومن ثم عمل على التخلص من كبار موظفي الدولة ممن يعتقد بأنهم يحولون دون انفراده بالسلطة واستبدلهم بعناصر جديدة ممن يرتضيهم من رجاله⁽⁴⁾.

(1) الحميدي، المصدر السابق، ص 17؛ الضبي، المصدر السابق، ص 19؛ ابن الاثير، المصدر السابق: 667 / 8؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 253 / 2، وما بعدها؛ وينظر:

Leve Provencal , Histoire-De-L'Espagne-Musulmane , paris , 1967: 3/12.

(2) الصقالبة: جمع صقلبو بالأسبانية Eslavos، وبالانكليزية Slave، وهذه اللفظة تشمل الشعوب السلافية، الذين كانت تبيعهم بعض الأمم الأوربية عبيدا للاندلسيين وقلبي انهم كانوا يفدون أيضا من كالابريا ولومبارديا، ومن بلاد الفرنجة وجليقية، واستخدمهم الأمويين كخدم في القصر الخلافي وفي ذلك العصر تبؤوا مكانة مميزة في الجيش الاندلس ومنهم جوذر الصقلي وغيره. ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 105؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 259 / 2؛ احمد مختار العبادي، الصقالبة في أسبانيا، مدريد، 1953، ص 8-10؛ لطفي عبد البديع، الإسلام في أسبانيا، ط 2، القاهرة، مكتبة النهضة، 1969، ص 36-38؛ للمزيد ينظر: محمد ثابت الفندي، مادة (الصقالبة)، طهران، دائرة المعارف الإسلامية، د.ت، مجلد 14 / 250 - 254.

(3) ابو الحسن علي بن بسام الشتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1975، ق 4: 58 / 1؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 259 / 2؛ المقرئ، نفح الطيب: 308 / 1.

(4) ومن هذه الشخصيات جعفر بن عثمان المصحفي كبير الوزراء، وقائد الجيش غالب بن عبد الرحمن للتفاصيل، ينظر: ابن بسام، المصدر السابق، ق 4: 61 / 1؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 202 / 1؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 265 / 2، 272 - 273؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، =

كما اهتم الحاجب المنصور بن ابي عامر بالجيش حيث شكل فرقاً من المسلمين، لتحل محل الصقالبة، وأبقى فريقاً من الصقالبة فمن يؤيده يدعون بالفتيان الصقالبة⁽¹⁾، وقدم البربر على سائر الجند واتخذهم صنائع له تحت يديه يعملون بأمره وينفذون سياسته واستكثر منهم حتى شكلوا غالبية رجاله⁽²⁾.

وتمتعت الأندلس بالقوة والاستقرار النسبي في عصر الحاجب المنصور بن ابي عامر وانتشر الأمن والرخاء وكانت أيامه كلها أيام فخر وظفر ورخاء ولم تعاني الدولة خلالها من أية ثورة أو فتنة، وازدهرت فيها التجارة والصناعة والعلوم والعمران وفاضت خزائن الدولة بالأموال ولم يحل اهتمام الحاجب المنصور بالسياسة داخلياً وخارجياً دون اهتمامه بالبناء والتعمير فعمل على زيادة المسجد الجامع وإنشاء مدينة الزاهرة وقصورها وحدائقها المنيفة⁽³⁾.

وتوفي الحاجب المنصور بن ابي عامر في رمضان سنة (392هـ/ 1001م)⁽⁴⁾، وتولى ابنه عبد الملك الحجابة من بعده وسار على سنن

ص 61؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 147؛ المقرئ، نفح الطيب: 1/ 311؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص 328؛ عنان، دولة الإسلام: 3/ 41-43.

(1) ابن بسام، المصدر السابق، ق 4: 1/ 34، 61؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 259؛ وينظر: حسن، المرجع السابق: 2/ 303.

(2) عبد الله بن بلقين، مذكرات عبد الدين بلقين المسمى بكتاب التبيان، تحقيق: لقي بروفنسال، مصر، دار المعارف، 1955، ص 16-17؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 274.

(3) ابن بلقين، المصدر السابق، ص 17؛ عنان، دولة الإسلام: 3/ 83-85.

(4) ابن الأبار، الحلة السراء: 1/ 273؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 80-81؛ المقرئ، نفح الطيب: 1/ 313.

والده في السياسة والجهاد وقد وصفت أيامه أعياداً وبلغت الدولة نهاية العظمة والكمال ودام حكمه سبع سنوات وتلقب بالمظفر⁽¹⁾، وتولى الحجابة بعده أخوه عبد الرحمن الملقب بشنجل فبدأ عصر الفوضى والاضطراب والتجزئة مما أدى الى سقوط الدولة العامرية سنة (399هـ / 1008م)⁽²⁾، ومن ثم التمهيد لدخول الأندلس عصر الفتنة حتى سقوط الخلافة الأموية نهائياً سنة (422هـ / 1030م)⁽³⁾.

أما السياسة الخارجية آنذاك فكانت قائمة على أسس وضعها منذ البداية الخليفة الناصر وتمثلت في فرض هيئته على دول الممالك الأسبانية الشمالية وذلك بالتفوق العسكري عليهم، ورد عدوانهم المستمر. منذ سنة (301هـ / 913م)⁽⁴⁾ وعلى الرغم من الهزيمة التي تلقاها على يد (راميرو الثاني

(1) الحميدي، المصدر السابق، ص 79؛ ابن بسام، المصدر السابق، ق 4: 1 / 78 - 79؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 65 - 66؛ ابن الأثير، المصدر السابق: 8 / 678؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 3 / 3 - 4؛ المقرئ، نفح الطيب: 1 / 328.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 3 / 38 - 39؛ النويري، المصدر السابق: 22 / 68؛ المقرئ، نفح الطيب: 1 / 328؛ عنان، دولة الإسلام 3 / 143.

(3) العذاري، المصدر السابق، ص 106؛ ابن الأبار، الحلة السيرة: 1 / 270؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 1 / 213؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 3 / 66 - 118؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص 364؛ عنان، دولة الإسلام: 3 / 170 - 172.

(4) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 93 - 96؛ وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن عبد ربة، المصدر السابق: 4 / 449 وما بعدها؛ عنان، تراجم إسلامية، ص 171؛ علي محمود حمودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، نشر: محمد حلمي الميناوي، مصر، دار الكتاب العربي، 1957، ص 199 وما بعدها.

Ramiro II - 320هـ / 932م - 339هـ / 950م) ملك ليون في موقعه الخندق التي وقعت قرب شنت بانكس (سيمانقة) سنة (327هـ / 938م)⁽¹⁾. فقد حقق العديد من الانتصارات عليهم⁽²⁾، فعملوا على إرسال الوفود الى قرطبة راغبين في عقد الصلح والسلم فتم لهم ذلك ومنذ بداية القرن الرابع الهجري تبوأ قرطبة مركز الصدارة في العالمين الإسلامي والمسيحي واصبحت مركز الجاذبية الدبلوماسية في العالم وتتجه إليها الأبصار من الأمم النصرانية على اختلاف مللها⁽³⁾ راغبة في المساعدة كما حدث مع ملك ليون شانجة المعروف بالسمين⁽⁴⁾

(1) موقعة الخندق: هي المعركة التي قادها الخليفة الناصر ضد جيش راميرو الثاني ملك ليون في موقع شانت مانكش، وقيل انها كانت آخر معركة قادها الخليفة الناصر بنفسه ضد المالك المسيحية، فقد حطت الهزيمة في نفسه وقعا مؤثرا: ينظر: ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 432، وما بعدها؛ البكري، جغرافية، ص 76 - 78؛ أخبار مجموعة، ص 155 - 156؛ ابن خلدون، المصدر السابق، 4 / 137؛ Arie , Op. cit P. 6

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 438؛ البكري، جغرافية، ص 79.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2 / 213، 215، 218؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4 / 143؛ المقرئ، نفح الطيب: 1 / 298 - 299؛ وينظر: فيليب حتي، تاريخ العرب مطول، بيروت، دار الكشاف، 1951: 3 / 623 - 624؛ الحجري، التاريخ الأندلسي، ص 274.

(4) حيث وفد شانجة (سانشو) مع جدته طوطة الوصية على عرش نافار بعد ان خلفه رجال مملكة ليون لأنهم لم يكونوا راضين عنه بسبب أفراطه في السمنة وعدم مقدرته على ركوب الخيل فعزلوه وخلفه اردينو الرابع (الملقب بالرديء) فتم علاجه على يد طبيب البلاط الأموي حسداي بن شبروط اليهودي، ومن ثم ساعده الخليفة الناصر على استرجاع سلطانه فرد عليه ملكه سنة (349هـ / 960م). ينظر: المقرئ، نفح الطيب، 1 / 285 - 286؛ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، دار المستقبل، 1998، ص 321؛ حتي، المرجع السابق: 3 / 624.

(345هـ / 932م - 339هـ / 950م) فعندما نشب صراع على العرش في مملكة ليون كان للخليفة الناصر يد في تنصيب الملك شانجة على العرش بدلا من اردينو الرابع (347هـ / 958م - 339هـ / 960م) المعروف بالردى، وتعهد شانجة مقابل ذلك بتسليم بعض الحصون والقلاع المهمة الواقعة على حدود الدولتين للخليفة الناصر⁽¹⁾، إلا إن شانجة نقض العهد بعد أن توفي الخليفة الناصر سنة (350هـ / 961م) ظناً منهم أن الخليفة الحكم المستنصر غير جدير بالمهام السياسية فأعلن الخليفة الحكم المستنصر التعبئة العامة في جميع أنحاء الأندلس لرد العدوان وتمكن من احراز العديد من الانتصارات، وبذلك احتفظت الدولة بهيبتها لدى المملك المسيحية طيلة تلك الفترة⁽²⁾، واستمر الحاجب المنصور بن ابي عامر في اتباع السياسة نفسها حتى قيل في حقه انه لم تعرف له هزيمة طيلة فترة حكمه⁽³⁾.

وتبوات الخلافة الأموية بذلك المكانة الرفيعة وذاع خبرها بين الأقطار، فمدت لها المالك الأسبانية وحتى الأمم الأوربية شمالا وشرقا يدا لاذعان والطاعة والمودة، وافدوا سفاراتهم وملوكهم وهداياهم رغبة منهم في السلم والارضاء أمثال روما القسطنطينية⁽⁴⁾. وأسفرت هذه العلاقات الودية مع الدول

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 221 / 2؛ المقري، نفح الطيب: 302 / 1 - 305؛ الحجى، اندلسيان، بيروت، دار الرشاد، 1969، ق3، ص75-76.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 286 / 2؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 145 / 4؛ المقري، نفح الطيب: 298 / 1.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 286 / 2؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 148 / 4؛ المقري، نفح الطيب: 311 / 1.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 213 - 215؛ وينظر: حمودة، المرجع السابق، ص192 - 193.

الأوربية الى توفير المواد الأولية للبناء حيث أرسلت اليها الهدايا التي احتوت على بعض القطع المعمارية المميزة كالحوض المذهب الكبير المنصوب في المجلس الغربي من مدينة الزهراء وبعض قطع السواري والتي أهديت من اليون اوليو السادس (273هـ/ 886م - 300هـ/ 912م) إمبراطور القسطنطينية⁽¹⁾. وقطع الفسيفساء التي زينت بها جدران المسجد الجامع والتي أهديت من إمبراطور الروم⁽²⁾.

أما الفاطميون في المغرب فكانوا يشكلون تهديدا مستمرا على الأمن في الأندلس، مما دفع الخليفة الناصر ومن جاء بعده الى إتباع جملة من الأساليب لرد أطماعهم عن الأندلس ومنها⁽³⁾:

1- اتخاذ لقب الخلافة سنة (361 هـ/ 928م)⁽⁴⁾.

2- فرض الهيمنة على المدن والمناطق الساحلية المغربية المهمة وجعلها قواعد لقوات الأندلس البرية والبحرية ومنها طنجة ومليلة حيث دخلت نفوذ الإمارة الأموية سنة (314 هـ/ 926م)⁽⁵⁾، أما سبتة فدخلتها سنة (319 هـ/ 931م)⁽⁶⁾.

-
- (1) ابن غالب، المصدر السابق، ص301؛ المقرئ، ازهار: 2/ 268؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 240.
- (2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 237؛ النخل جتال بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مصر، مكتبة النهضة، 1955، ص60.
- (3) قارن، السامرائي، المرجع السابق، ص157.
- (4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 157؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 137؛ المقرئ، نفح الطيب: 1/ 337، 338.
- (5) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشر: دي سلان، الجزائر، 1857، ص89.
- (6) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص388 ومابعدها؛ البكري، المغرب، ص104؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 204.

3- تقوية الأسطول الأندلسي وتحصين الموانئ المواجهة لبلاد المغرب العربي ومنع وصول الامدادات الى المتمرد عمر بن حفصون⁽¹⁾.

4- مساندة القوة المناهضة للفاطمين في المغرب مادياً ومعنوياً واتباع سياسة ضرب القوى بعضها ببعض⁽²⁾.

واستمرت هذه السياسة المتبعة مع الخطر الفاطمي طيلة فترة القرن الرابع الهجري، ونتيجة للجهود المبذولة من قبل حكام الأندلس في هذا القرن ثم تثبيت النفوذ الأموي في بلاد المغرب العربي والسيطرة عليها واحتفظت الأندلس بهيبتها وتفوقها العسكري طيلة هذه الفترة ومواجهة كل الأخطار التي واجهتها سواء من الجنوب او الشمال حتى غدت أعظم أقطار العالم ووفدت إليها العديد من السفارات والرسل من إمبراطورية بيزنطة وملوك المانيا وإيطاليا وفرنسا⁽³⁾. وبذلك استطاعت قرطبة الحفاظ على أمنها واستقرارها والهدوء النسبي والذي بموجبه تمكنوا من إظهار فخامة وابهة العطاء الحضاري المتميز بالعمران الذي تفنن في وصفه المؤرخين حتى أصبحت قرطبة تضاهي بغداد في عظمتها على حد قول ابن حوقل⁽⁴⁾.

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 312-314، 323، 324، 366؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 165/2.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 255؛ وقد أشار ابن حيان الى ان الأمويين ساندوا بدورهم حركة يزيد بن خالد بن كيداد ضد الوجود الفاطمي بالمغرب بغية إضعاف الفاطميين واستنزافهم.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 229/2؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 142/1 - 143؛ المقرئ، نفح الطيب: 285/1 - 288؛ وينظر علي محمد راضي، الأندلس و الناصر، (بلا. م) دار الكتاب العربي، 1967، ص 34.

(4) صورة الأرض، ص 108، وينظر: عنان، دولة الإسلام: 435/1 - 436.

ثانيا: العامل الاجتماعي

كان المجتمع الأندلسي مكونا من عناصر شتى مؤلفة من قسمين هم: المسلمون وغير المسلمون، فالمسلمون هم سكان البلاد الاصيلون⁽¹⁾، أو الفاتحين من العرب والبربر أو الصقالبة⁽²⁾. أما غير المسلمين فكانون معظمهم من النصاري الاسبان الذين بقوا بعد الفتح في المدن والبقاع المفتوحة تحت الحكم الإسلامي⁽³⁾. فضلا عن اليهود الذين تعايشوا مع المسلمين في الأندلس وتأثروا بثقافتهم⁽⁴⁾.

وهذه الأجناس والعناصر المختلفة عاشوا في الأندلس بمجتمع يسوده التسامح والإخاء والتقدير للكفاءة والمؤهلات، ومن هنا كان المجال مفتوحا لظهور العلماء والمفكرين في شتى المجالات ومن كافة الأجناس والديانات⁽⁵⁾.

(1) وهم يشكلون غالبية المسلمين في الأندلس وأطلق عليهم المؤرخون اسم المسالمة وعلى أبنائهم المولدون، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة: 1/ 149؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، 1959، ص 429 وما بعدها؛ الحجبي، التاريخ الأندلس، ص 163، 283-284؛ بروفنسال، الحضارة العربية، ص 19.

(2) وهم الفاتحون الأوائل ويقسمون الى البلديون الذين اتوا مع جيش موسى بن نصير والشاميون الذين أتوا بعدهم والبربر ممن وفدوا مع جيش طارق بن زياد مع العرب المسلمين اثناء الفتح. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص 495-502؛ طه، الفتح والاستقرار، ص 202-289.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 106.

(4) مؤنس، فجر الأندلس، ص 14-15، 520-525.

(5) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة، مطبعة الخانجي، 1973: 1/ 122، 144؛ وينظر: مؤنس، فجر الاندلس، ص 440-442؛ الحجبي، اندلسيات، ق1، ص 159.

واستمر هذا التسامح والانصهار في المجتمع الأندلسي على مر السنين وتزايد وبشكل ملحوظ في القرن الرابع الهجري خاصة بعد توفر الأمن والاستقرار النسبي في المجتمع الأندلسي، فظهر العلماء والأدباء والشخصيات المهمة في المجتمع الأندلس سواء من المسلمين أو من أهل الذمة، فكان مثلاً الطبيب يحيى بن اسحق أحد وزراء الخليفة الناصر الذي كان جده قد خدم الأمير عبد الله بن محمد بالطب⁽¹⁾، وتمتع الطبيب اليهودي حسداي بن اسحق بمكانة ونفوذ في بلاط الخليفة الحكم المستنصر⁽²⁾.

ونتيجة لهذا التسامح لم يخل المجتمع الأندلس واجناسه المختلفة من حالة المصاهرات فيما بينها سواء من قبل الحكام أو عامة الشعب فخير مثال على ذلك هو الخليفة الناصر والذي كانت والدته (مزنة) من اصول مسيحية⁽³⁾. فضلاً عن تزوج الخليفة الحكم المستنصر من (صبح البشكنسية) وهي والددة الخليفة هشام المؤيد وكانت تحظى بمكانة رفيعة في بلاط الخلافة الأموية آنذاك⁽⁴⁾.

وقد اتبع الأمويون في الأندلس سياسة حكيمة قائمة على أساس العدل

(1) صاعد بن احمد بن صاعد، طبقات الأمم، النجف، المطبعة الحيدرية، 1967، ص 102، ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن ابي اصيعة، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت، مكتبة الحياة، 1965، ص 488-489.

(2) ابن صاعد، المصدر السابق، ص 113؛ ابن ابي اصيعة، المصدر السابق، ص 498؛ وينظر: Arie, Op. cit., P. 7.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 156/2؛ وينظر: الحجري، اندلسيات، ق 1، ص 61-62.

(4) ابن الأبار، الحلة السيرة: 272/1؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 38/2؛ وينظر: الحجري، اندلسيات، ق 2، ص 62.

والمساواة وإحقاق الحق وإشاعة التسامح بين الرعية الى حد كبير. وعملاً بمبدأ الشريعة القائل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساساً للتعامل الاجتماعي⁽¹⁾. ويصف ليفي بروفنسال⁽²⁾ حالة المجتمع الأندلسي إبان القرن الرابع الهجري بقوله ((إن عصر خلافة قرطبة شهد تمازجاً عنصرياً هاماً في المدن على الأقل، بين العرب الخالص والبربر والمولدين)). فبذلك استطاع المجتمع الأندلسي ان يتميز على نحو واضح في أهم مظاهر حياتهم اليومية وبرعوا في مهاراتهم وتالقوا بحضارتهم فنشطت روح التعاون والالفة وازدهرت كافة جوانب الحضارة.

ومن أولى بوادر هذه الحضارة الأندلسية والتي نشطت في فترة دراستنا وهي العمارة والتكثير منها، وأخذت العمارة حظها في التشجيع في قرطبة من قبل الحكومة الأندلسية نفسها باعتبارها إحدى شروط الاجتماع الإنساني⁽³⁾ حيث ((يأخذ السلطان الناس بالتجارة وكثرة الغراس، ويقطعهم الاقطاعات في الأرض الموات ويجعل لكل أحد ملك ما عمر، ويعينه على ذلك فيه لترخص السعار، ويعيش الناس والحيوان، ويعظم الأجر ويكثر الأغنياء وما يجب فيه الزكاة))⁽⁴⁾.

وعرف عن الخليفة الناصر حبه وشغفه بالبنيان ونسبت إليه

(1) Provenal , Op. cit.,: 3 /10.

(2) الحضارة العربية، ص18.

(3) ابو عبد الله محمد بن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، ليبيا- تونس، الدار العربية للكتاب، د. ت: 1/ 223.

(4) المصدر نفسه: 1/ 223.

الآيات الآتية:

هِمَمُ الْمُلُوكِ إِذَا آرَادُوا ذِكْرَهَا مِنْ بَعْدِهِمْ فَبِالْسُّنَنِ الْبُنْيَانِ
أَوْ مَا تَرَى الْهَرَمِينَ بَقِيَاوْكُمْ مَلِكٍ مَحَاهُ حَادِثَ الْأَزْمَانِ
إِنَّ الْبِنَاءَ إِذَا تَعَاظَمَ شَأْنُهُ أَضْحَى يَدْلُ عَلَى عَظِيمِ الشَّأْنِ⁽¹⁾

ويمكن ان نلمس هذا الميل عند معظم الحكام المسلمين إذ يقول محمد عبد العزيز مرزوق⁽²⁾ ((إن تشييد الزهراء يذكرنا بذلك الميل الذي نلمسه عند معظم أمراء المسلمين الذين ما تكاد تستقر بهم الأمور حتى يأخذوا في بناء قصور عظيمة قد تتحول بمضي الزمن الى مدن كبيرة)). ويشير محمد عبد الله عنان⁽³⁾ الى شغف الناصر بالبناء نابع عن رغبته في إقامة المنشآت والهيكل العظيمة على مر العصور لأنها مظهر الملك والبذخ والسلطان المؤمل.

وعرف من وزراء الخليفة الناصر كلفه بالبناء، فعلى سبيل المثال كانت الهدية المقدمة من الشاعر الوزير احمد بن عبد الملك بن شهيد⁽⁴⁾ في أول ولايته كأمر على الأندلس، قد احتوت على كمية كبيرة من صخر البنيان وعشرين ألف عود من الخشب القيم، وأشار في رسالته مدى حب الناصر وشغفه

(1) ابن سعيد، المصدر السابق: 179 / 1 - 180.

(2) الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، دار الثقافة، د.ت، ص 45.

(3) دولة الإسلام: 436 / 2.

(4) هو احد كبار رجال الخليفة الناصر، تولى ولاية الاقاليم والوزارة، وقيادة الصوائف وهو أول من تلقب بذي الوزارتين وكان من أهل الأدب، ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص 131؛ الضبي، المصدر السابق، ص 177؛ ابن الأبار، الحلة والسيراء: 237 / 1 - 238.

وكلفه بالبنيان⁽¹⁾.

واتسمت سياسة الخلفاء في الأندلس في القرن الرابع الهجري بالدعوة للعميران بالرغبة والتشجيع دون فرض ذلك على السكان، فمنذ عهد الخليفة الناصر لدين الله واثناء قيامه ببناء مدينة الزهراء شجع الناس على بناء الدور والمساكن والسكن الى جواره، وبهذا يحدثنا ابن حوقل⁽²⁾ وهو شاهد عيان أنه عند بناءه للزهراء ((اجتلب إليها العامة بالرغبة وأمر مناديه بالنداء في جميع أقطار الأندلس: ألا من أراد ان يبتني دارا او يتخذ مسكنا بجوار السلطان فله من المعونة اربعمائة درهم، فتسارع الناس الى العمارة وتكاثفت الأبنية وتزايد فيها الرغبة، وكادت الأبنية ان تتصل بين قرطبة والزهراء)).

واهتم الناصر اهتماما كبيرا بالعميران بكافة معالم الدولة حتى أفرط فيه⁽³⁾، فظهرت معارضة لذلك متمثلة بالقاضي المنذر بن سعيد البلوطي⁽⁴⁾

(1) المقرئ، نفح الطيب: 279 / 1 - 282.

(2) صورة الأرض، ص 107.

(3) ابن غالب، المصدر السابق: 302 / 2؛ الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983، ص 245؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 144 / 4.

(4) ابو الحكم منذر بن سعيد القاضي المعروف بالبلوطي، منسوب الى موضوع قريب من قرطبة، يقال له فحص البلوط، وبدء نجمه بالظهور في سنة (338هـ / 949م) في حفل إقامه عبد الرحمن الناصر لسفراء الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع في مدينة الزهراء، وارتجل خطابا مشهورا رشحه لقضاء الجماعة في قرطبة وأصبح بعدها المقرب الى الخليفة الناصر ومن بعده أبنه الخليفة الحكم المستنصر، وكان بليغا أدبيا فقهيا عالما بأمور الدين والدنيا، ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص 348؛ ابن خاقان، مطمح الانفس، ص 237 - 259؛ الضبي، المصدر السابق،

(273هـ/ 886م - 355هـ/ 966م) حتى قيل ان الخليفة الناصر لدين الله كان ((كلفاً بعمارة الأرض وإقامة معالمها، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعز السلطان قاقضى به الاغراق في ذلك الى ان ابنتى مدينة الزهراء، البناء الذي شاع ذكره: استفرغ وسعة في تنميقها، وإتقان قصورها وزخرفة مصانعها، فانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه ثلاثة جمع متوالية، فاراد القاضي المنذر ان يعرض منه بما تناوله من الموعظة تفضل الخطاب والحكمة والتذكرة بالإنباء والرحمة، فادخل في خطبته فصلاً مبتدئاً بقوله ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ (١) ... ومضى في ذم تشييد البنيان والاستغراق في زخرفته والإسراف في الانفاق عليه، فجرى طلقاً، وانتزع فيه قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأْتَنَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢) واتى بما يشاكل المعنى في التخويف بالموت، والتحذير من فجاته، والدعاء الى الزهد في هذه الدار الفانية، والحرص على اعتزالها، والرفض لها.. حتى أذكر من حضره الناس وخشعوا، ورقوا واعترفوا، وبكوا، وضجوا ودعوا وأعلنوا في التضرع الى الله في التوبة، والابتغال في المغفرة وأخذ خليفتهم في ذلك بأوفر حظ، وقد علم انه المقصود به، فبكي وندم)) (٣).

ص 450-451؛ المقرئ، نفح الطيب: 1/ 290-293؛ وينظر: حسين مؤنس، شيوخ العصر في

الأندلس، مصر، الدار المصرية، 1965، ص 70-72.

(1) سورة الشعراء، الآية (128، 129، 130).

(2) سورة التوبة، آية (109).

(3) ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتاب المرقبة

ومن مواقف القاضي المنذر بن سعيد البلوطي الأخرى إنكاره على الخليفة الناصر الإسراف في البناء حيث كان الخليفة الناصر قد اتخذ لسطح القبة التي كانت على الصرح الممرد المشهور شأنه بمدينة الزهراء قراميد من الذهب والفضة وانفق عليها مالا جسيما وعند اتمامه دعى في حضرته الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه ودخل عليه القاضي المنذر بن سعيد واجماً ناكساً الرأس ولما استقر في المجلس قال له الخليفة كالذي قاله لوزرائه من ذكر السقف فاقبلت دموع القاضي تنحدر على لحيته وقال له: (والله يا أمير المؤمنين ما ظننت ان الشيطان لعنه الله تعالى يبلغ منك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قلبك هذا التمكين مع ما أتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل الكافرين) قال: فأنفعل الخليفة عبد الرحمن الناصر لقوله وقال له: أنظر ما تقول: وكيف انزلتني منزلتهم فقال له: نعم أليس الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾⁽¹⁾، فوجم الخليفة وامر بنقض شقف القبة واعاد قرمدها ترابا على صفة غيرها⁽²⁾.

ويعلل احمد مختار العبادي⁽³⁾ موقف القاضي المنذر بن سعيد بأنه يعبر عن ما كان يتمتع به المجتمع الأندلسي من حرية التعبير في المجتمع الإسلامي وإن

العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1979، ص 69-70.

(1) سورة الزخرف: آية (33).

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص 302-303؛ النباهي، المصدر السابق، ص 71-72؛ ابن العماد، المصدر السابق: 3/4-5.

(3) في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 417.

الخليفة الناصر على الرغم من غضبه الشديد لم يحاول ان يعزله او يبطش به. والى جانب اهتمام الخلفاء الأمويين كان للبلاط الخلافي أو كبار موظفي الدولة اهتماماتهم العمرانية كذلك، ولاسيما الوزراء والحجاب والفتيان والجواري وسيدات القصر الخلافي، ومنهم الحاجب المنصور بن ابي عامر حيث اتبنى له مدينة في شرقي قرطبة سميت الزاهرة وأحاطها بكامل الزينة والابهة وذلك ليظهر مدى العظمة التي كانت تعيشها قرطبة آنذاك، فضلا عن إظهار جانب من شخصيته في حبه الى أن يسمو سمو الملوك على حد قول ابن عذاري⁽¹⁾.

كما كان للنساء في البلاط الخلافي دور كبير في الاهتمام بالبناء وخاصة بناء المساجد كمسجد السيدة مرجان جارية الخليفة الناصر والذي اعتبر أحد اكبر مساجد الربض الغربي بقرطبة وسيأتي ذكره لاحقا⁽²⁾.

ولما كانت قرطبة مركز الخلافة ومستقر ملكها وموطن السيادة والريادة فيها اهتم الحكام والرعية بالبناء وتزين العاصمة⁽³⁾.

وامتازت قرطبة بانها مركز رئيس ومهم من مراكز الاشعاع العلمي والثقافي ومحط أنظار العلماء وطلبة العلم من أنحاء الأندلس وخارجها⁽⁴⁾، وكان

(1) البيان المغرب: 275 / 2.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 13 - 14.

(3) ابن بسام، المصدر السابق، ق 4: 33 / 1؛ المراكشي، المصدر السابق، ص 31؛ ابن شباط، المصدر السابق، ص 141؛ الانصاري، المصدر السابق، ص 242.

(4) ابن بسام، المصدر السابق، ق 4: 33 / 1؛ الشقندي، المصدر السابق، ص 52.

للخليفة الحكم المستنصر جهود علمية واسعة كإنشاء المكتبات ومراكز العلم الأخرى حتى قيل انه افتتح فيها: ((سبعة وعشرون مكتبا منها حوالي المسجد الجامع ثلاثة وباقيها في كل ربض من ارباض المدينة، واجرى عليهم المرتبات وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح وابتغاء وجه الله العظيم...))⁽¹⁾.

وكان اهتمام الناس في قرطبة بالعلوم الشرعية وما يلحق بها⁽²⁾ عاملا مهما في التطور العمراني وخاصة بناء المساجد والجوامع التي كانت تؤدي فضلا عن وظيفتها التعبدية وظيفة التعليم من خلال حلقات العلم ودروسه، ومنها على سبيل المثال ما ذكره ابن الفرضي⁽³⁾ من المساجد كمسجد ابي علاقة ومسجد ام سلمة ومسجد ابا عثمان في قرطبة.

ويشير الحميري⁽⁴⁾ (ت 900هـ / 1494م) الى ان أهل قرطبة اشتهروا بصحة المذهب وأن أهل قرطبة كانوا أكثر سكان الأندلس تديناً وتقوى. وقيل ان أصحاب الدكاكين والصناع كانوا يتخذون ليوم الجمعة منذرا يسمعون التكبير إذا كبر الإمام ويشعرهم بالأذان ليتأهبوا للصلاة كل يوم، وكان يأمر بذلك المحتسب⁽⁵⁾.

كما كان من صفة أهل قرطبة حبهم لأعمال البر والإحسان لأن الحسنة

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 240 / 2.

(2) الشقندي، المصدر السابق، ص 52.

(3) تاريخ العلماء: 1 / 262، 284، 294.

(4) الروض المعطار، ص 33.

(5) ابن عبدون، المصدر السابق، ص 23.

تبقى لصاحبها وتشفع له، استنادا لقول رسول الله محمد (ﷺ) «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»⁽¹⁾. وبهذا تبقى الحسنة لفاعلها بعده إذا مات أبد الدهر كبنيان مسجد أو حفر بئر أو اصلاح قنطرة، ومن هنا زاد أقبال العامة والحكام على البنيان⁽²⁾.

ويعلل عبد عبد العزيز مرزوق⁽³⁾ اهتمام الناس بالعمران الى ان ((ميل العرب للعمارة والفن موروث ومكتسب من وصف الله في القرآن الكريم لجنت النعيم التي أعدها لعباده المتقين وصفا شيقا لعله كان مبعث الوحي لهم فيما شيدوه من عمائر بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَمِلِينَ﴾⁽⁴⁾، وقوله ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّيْنَةً تَجْرِي مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾⁽⁵⁾)).

كما امتاز المجتمع الأندلسي بحبهم لكل جميل وتعلقهم بحياة النعيم وذلك بلبس أحسن أنواع الثياب وركوب أجمل الدواب⁽⁶⁾، كما ينقل عنهم حبهم ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّيْنَةً تَجْرِي مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ

(1) ابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، د. ت: 3/ 1255.

(2) ابن عبدون، المصدر السابق، ص 27.

(3) الفنون الزخرفية، ص 44-45.

(4) سورة العنكبوت، الآية (58).

(5) سورة الزمر، الآية (20).

(6) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 108.

أَلَمِيعَادَ ﴿ للنظافة والاعتناء بالتنسيق وإظهار الزينة قول ابن حوقل ⁽¹⁾ بأن ((أعظم مدينة بالأندلس قرطبة وليس بجميع المغرب لها شبيه ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في كثرة أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق)). فالناس كانوا يؤمرون بعدم رمي الأوساخ والقذارة على الطرقات بل كان هناك مواضع لرميها تدعى المزابل وموقعها خارج المدن فيمنع طرح القذارة داخل المدينة وعلى كل ربض اتخاذ موقع لها بين أظهرهم لذلك وبعد ذلك يتم تنقيته من ما يجتمع فيها من الأوساخ ⁽²⁾.

وكان لزيادة حجم السكان بقرطبة دافعا مهما للاهتمام بعمران الدور المساكن، حيث بلغ عدد سكان قرطبة في عصر الخليفة الناصر ما يقارب النصف مليون نسمة ⁽³⁾.

واهتم أهل الأندلس بإنشاء بعض المرافق التي كانت ذات صلة وثيقة بحياتهم اليومية كالشوارع والأسواق والفنادق والحمامات لأهميتها في كافة جوانب حياتهم، وما يلفت النظر في إنشاء الحمامات وقوعها قرب المساجد لسهولة الوصول إليها للاستحمام والتوجه إلى الصلاة، فقليل أن عدد حمامات قرطبة بلغ ما يقارب 900 حمام ⁽⁴⁾.

(1) صورة الأرض، ص 107؛ وينظر: أحمد هيكمل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط 7، القاهرة، دار المعارف، 1979، ص 52.

(2) ابن عبدون، المصدر السابق، ص 37.

(3) سالم، تاريخ المسلمين، ص 295؛ أنور الرفاعي، الإنسان العربي والحضارة، دمشق، دار الفكر، 1970، ص 326؛ مصطفى، المرجع السابق: 34/2.

(4) أبو الفداء، المصدر السابق، ص 175؛ المقرئ، نفح الطيب: 67/2؛ وينظر: سالم،

وسنحدد في الفصول القادمة أهم المنشآت العمرانية في قرطبة وضواحيها في مدة البحث والتي كانت لها أثر كبير على زيادة عظمة قرطبة وتبيان مركزها من العالم آنذاك، حتى قيل أنها كانت أرقى عواصم العالم في تلك الفترة⁽¹⁾.

ثالثاً: العامل الاقتصادي

امتازت الأندلس طوال القرن الرابع الهجري ونتيجة للاستقرار السياسي والاجتماعي بانتعاش الحياة الاقتصادية مما أدى بدوره الى توفر الأموال وارتفاع المستوى المعاشي لأهل الأندلس.

ويشير ابن حوقل⁽²⁾ ان الأندلس كان ((يغلب عليها المياه الجارية والشجر والتمر والأنهار العذبة والرخص والسعة في جميع الأحوال الى نيل النعيم والتملك الفاشي في الخاصة والعامة فينال ذلك أهل مهنهم وأرباب صنائعهم)). حيث امتازت قرى قرطبة بإنتاج أنواع الغلال والمحاصيل الزراعية منها القمح التي اشتهرت بزراعتها كنبانية (قنبانية) قرطبة⁽³⁾، وأنواع الزيتون والفواك والكروم⁽⁴⁾. وكان لأزدهار الوضع الزراعي بقرطبة دور كبير في زيادة الانتعاش الاقتصادي لسكان قرطبة مما أدى الى توفير الأموال التي تعتبر أساس زيادة العمران والتوجه نحوه حتى قيل ان ((الملك بالجند، والجند بالمال،

تاريخ المسلمين، ص 307.

(1) قارن غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعير، ط3، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، 1956، ص 273 - 274.

(2) صورة الأرض، ص 104.

(3) الشقندي، المصدر السابق، ص 55؛ وينظر: حمودة، المرجع السابق، ص 217.

(4) ابن غالب، المصدر السابق، ص 296.

والمال بالعمارة⁽¹⁾.

حيث بلغت ضمان دار الضرب في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر مئتي ألف دينار في السنة فضلا عن أموال الصدقات والجباية والرسوم على البيوع في الأسواق والضرائب التي تؤخذ من السفن الصادرة والواردة عن الأندلس وغيرها⁽²⁾.

وبلغ مجموع الأموال في بيت المال إلى سنة (340هـ / 951م) قرابة 20 مليون دينار عدا ما موجود في الخزائن من المتاع والحلي والمقتنيات النادرة⁽³⁾، واستمرت هذه الثروة بالزيادة والتضخم في عهد ابنه الحكم المستنصر حتى بلغت 50 مليون دينار⁽⁴⁾ ووصل مبلغ الجباية في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر إلى أربعة ملايين دينار فقط رسوم الموارد ومال السبي والمغانم والمصادرات وأمثالها مما لا يخضع لقانون⁽⁵⁾.

واتخذ الخلفاء في الأندلس سياسة مالية صائبة قائمة على أساس مباشرة الوضع المالي للدولة بانفسهم ومعاينة من يحاول التلاعب والإساءة بأموال

(1) ابن الأزرقي، المصدر السابق: 1 / 223.

(2) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 104؛ وينظر: حسين، المرجع السابق، ص 60.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 107؛ ويشير ابن عذاري إلى أن أموال الجباية في عهد الخليفة الناصر وصلت إلى خمسة ملايين وأربعمائة وثمانين ألف دينار ومن الأسواق سبعمائة ألف وخمسة وستين دينار، ينظر: البيان المغرب: 2 / 231-322.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 107.

(5) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 98؛ وينظر: حسين، المرجع السابق، ص 60.

الدولة، ففي سنة (330هـ/ 941م) عزل الخليفة الناصر وزيره سعيد بن جسام⁽¹⁾ من خطة الوزارة والسكة لغشه بالسكة إضافة الى معاقبة المسؤول الأعلى ذي الوزارتين احمد بن عبد الملك بن شهيد لتهاونة وعدم محاسبته لوزيره الأول⁽²⁾ وعندما تولى القاضي محمد بن اسحاق بن السليم⁽³⁾ القضاء سنة (356هـ/ 966م) أمره الخليفة الحكم المستنصر ان يحدد الكشف والامتحان عن أموال الناس والاحباس واليتامي⁽⁴⁾ مما يشير الى حرص الخليفة على ضبط أموال الناس واحباسهم. وفي سنة (356هـ/ 966م) وردت معلومات الى الخليفة الحكم المستنصر تفيد بان بعض عمالة قد زادت ثرواتهم على حساب الرعية، فكتب يحذرهم من مواصلة ذلك وانكر ذلك عليهم⁽⁵⁾. وتعتبر هذه الحقائق الواضحة دليلا ماديا ملموسا على حرص الدولة على أموال المسلمين وبلوغها غاية في الاستقرار والرقى مما يدفعها الى مكافئة الجيد ومعاقبة المسيء ضمانا لموارد البلاد.

كما كان للخلفاء دور في تزايد استقرار الوضع المعاشي الجيد للسكان من خلال تفادي بعض الازمات الاقتصادية التي كانت تصيب البلاد بين الحين

(1) وهو احد وزراء الخليفة عبد الرحمن الناصر، تولى وظيفة دار السكة مرتين منها سنة (322هـ/ 933م)؛ والآخرى سنة (327هـ/ 938م) وبقي فيها حتى سنة (330هـ/ 941م) عندما ضبط بتهمة الغش والفساد، ينظر: ابن حيان، تحقيق شاليتا، ص 243، 486-488.

(2) المصدر نفسه: 486/2.

(3) ينظر: الخشي، قضاة قرطبة، ص 120؛ النباهي، المصدر السابق، ص 75-77.

(4) النباهي، المصدر السابق، ص 76.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 239/2.

والآخر، ففي سنة (303هـ/ 915م) حدثت مجاعة بالآندلس مما دفعت الى انتشار الغلاء والوباء والموت بين الطبقات الفقيرة، وبلغت الحاجة مبلغاً لم تعهد مثله البلاد، فوقفت حكومة قرطبة ورجالها الميسورين ومدوا يد العون والمساعدة للطبقات الفقيرة⁽¹⁾. كما حدثت مجاعة عظيمة بقرطبة سنة (353هـ/ 964م) فتكفل الخليفة الحكم المستنصر بمساعدة الفقراء والمحتاجين بكافة ارباض قرطبة⁽²⁾.

كما كان الخليفة الحكم المستنصر يجري صدقاته كل شهر رمضان على ذوي الحاجة والفقراء وأبناء السبيل ويزيد منها في كل من قرطبة والزهراء وباقي ارباض قرطبة⁽³⁾. وعمل على بناء دار للصدقة خاصة بالفقراء والمحتاجين لتفريق الصدقات عليهم⁽⁴⁾.

ويذكر ان الحاجب المنصور بن ابي عامر عندما ختن أولاده قام بختن عدد لا يحصى من أولاد الفقراء والمحتاجين فبلغت النفقة عليهم خمسمائة ألف دينار، مما جعلها مكرمة مخلدة من مكارم الحاجب المنصور بن ابي عامر⁽⁵⁾.

ولجأت الدولة في عصر الخلافة الى إبقاء الوضع المعاشي الجيد للسكان من

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 109-110؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 167-168؛ وينظر: حبيب الجناحاني، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس في عصر عبد الرحمن الناصر من خلال المقتبس لأبن حيان، مجلة المناهل، عدد 29، المغرب، الرباط، 1984، ص 348.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 236.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجري، ص 76، 110، 226.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 240.

(5) المقرئ، نفح الطيب: 2/ 108.

خلال إسقاط بعض الضرائب المكلفة والتي يتحمل أعباءها العامة في قرطبة، حيث عمل الخليفة الحكم المستنصر عندما شفي من مرضه بأسقاط سدس جميع المغارم⁽¹⁾. وايضا قام الخليفة هشام بإسقاط ضريبة الزيتون المأخوذة من الزيت بقرطبة عند توليه للخلافة مما أدى الى فرح الناس في قرطبة آنذاك⁽²⁾. وخفف الحاجب عبد الملك المظفر (392هـ/ 1001م - 399هـ/ 1008م) الضرائب على الناس في قرطبة عند توليه الحجابة⁽³⁾.

وكانت لهذه السياسة الاقتصادية المتبعة من قبل حكام الخلافة الأموية في الأندلس دورا أساسيا في توفير الأموال التي تعد من احدى الأسباب المهمة لتنشيط الحركة العمرانية سواء من قبل الحكام او العامة، وبذلك برع كل شخص في قرطبة بمهنته او صناعته التي زادت في ازدهار الجانب الحضاري لقرطبة وأدى بدوره هذا الى تحسن الحالة المعاشية لسكانها⁽⁴⁾. حيث تميزوا بالفهم الصحيح والوعي للمسؤولية الاقتصادية، مما أدى الى تقدير الكسب والتدبير وانتشار روح التعاون بين السكان مما جعل البيئة الأندلسية خالية من الكدية وكما مر بنا سابقا كان للحكام دورا أساسيا في منع مثل هذه الظاهرة وذلك من خلال مساعدة المحتاجين والمساكين أيضا⁽⁵⁾.

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 249 / 2.

(2) المصدر نفسه: 259 / 2.

(3) المصدر نفسه: 3 / 3.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 104.

(5) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 76، 110، 226؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 240 / 2؛ وينظر: عباس، المرجع السابق، ص 24 - 25.

ومما زاد الانتعاش الاقتصادي في قرطبة نمو التجارة والأموال الواردة من صادراتها ورسومها فكان ((تجارها [قرطبة] مياسير لهم أموال كثيرة وأحوال واسعة ولهم مراكب سنية وهمم عليه))، وللتجار دور كبير في توفير المواد الأولية التي استخدمت في البناء بقرطبة حيث جلبت إليها قطع الرخام من قرطاجنة وتونس في شمال أفريقيا وكانوا يجلبون السواري التي استخدمت في بناء الزهراء من روما، فضلاً عن جلب بعض الأيدي العاملة في البناء من خارج الأندلس حيث بعث الخليفة الحكم المستنصر إلى ملك الروم طالباً إرسال أحد العاملين في صناعة تنزيل الفسيفساء عند زيادته في المسجد الجامع⁽¹⁾، وهذا لا يمنع من وجود الصناع والعمال الماهرين في فن التنزيل والبناء والتمق⁽²⁾ فضلاً عن النجارين والبنائين والعمال، وذكر أنه استخدم في بناء الزهراء ما يقارب 200 نجار و 300 نحات و 500 أجير⁽³⁾ واستخدم العبيد في البناء وقيل أنهم كانوا يجلبون عن طريق التجار اليهود إلى قرطبة من سبي بلاد الأفرنجة وجليقية والخدم الصقالبة الذين كانوا يخصصون من قبل التجار اليهود⁽⁴⁾.

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 237 / 2.

(2) توماس ارنولد، تراث الإسلام، ترجمة: جرجيس فتح الله، موصل، المطبعة العصرية، 1954: 490 / 2.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص 300.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 105 - 106؛ عبد الواحد ذنون طه، الأندلس من خلال صورة الأرض لأبن حوقل، مجلة المؤرخ العربي، عدد 23، بغداد، 1983، ص 60، كونستبل، المرجع السابق، ص 307 - 309.

كما كان للصناعة في الأندلس وقرطبة بالذات دور كبير في توفير المواد الأولية التي وفرت لوازم البناء في عصر الخلافة و زادت في فخامتها وعظمتها ومن أولى هذه الصناعات، صناعة الآجر التي أقيمت خارج حدود مدينة قرطبة لغناها بمقاطع الرخام وبكافة ألوانه⁽¹⁾. واستعملت هذه المقاطع الرخامية في صناعة الأعمدة الرخامية والألواح التي تكسو الجدران والأرضيات فضلا عن عمل الأحواض التي كانت تحفظ مياه الشرب في القصور والمساجد كما كانت تستخدم أيضا في تزيين ساحات وأبواب القصور⁽²⁾.

وكان في قرطبة مقاطع للرخام الجيد فقد قيل ان ((بجبل قرطبة مقاطع الرخام الأبيض الناصع اللون والخمري))⁽³⁾، واشتهرت قرية فريش الواقعة غرب فحص البلوط بإنتاج أجود أنواع الرخام الأبيض الناصع اللون⁽⁴⁾، واستغل كل من الخليفة الناصر والخليفة الحكم المستنصر هذه المقاطع الرخامية في استخراج ما يلزم لصناعة الأعمدة وتيجانها وقواعدها واللوحات التي تكسو

(1) المقرئ، نفح الطيب: 1/ 190؛ احمد فكري، قرطبة في العصور الإسلامية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د. ت، ص 256.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص 297-298؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 79؛ وينظر: مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع، مراجعة: جمال محمد محرز، مصر، الهيئة المصرية العامة، 1977، ص 31.

(3) المقرئ، نفح الطيب: 1/ 190؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص 256.

(4) الأدرسي، المصدر السابق، ص 207؛ ابن غالب، المصدر السابق، ص 289-290؛ الحموي، معجم البلدان: 4/ 259؛ الحميري، المصدر السابق، ص 440.

الجدران والأرضيات فضلا عن الأحواض⁽¹⁾.

ومن الصناعات المهمة في قرطبة والتي استخدمت في البناء وبشكل كبير هي صناعة الزجاج والخزف والبلور، حيث اهتم أهل الأندلس بصناعة الخزف والفخار، وعثرت الاكتشافات الأثرية في قرطبة على قطع كثيرة من الزجاج ما بين صغيرة وكبيرة وملونة وغير ملونة⁽²⁾ حيث استخدم في البناء وتصميم الديكورات في القصور، فاستخدم الخليفة الناصر الزجاج الملون في بناء قبة داخل القصر في الزهراء ونقش الزجاج بالذهب⁽³⁾. كما كان مجلس اليتيمة في المدينة الزهراء يحتوي على تحف بلورية جميلة الصنعة⁽⁴⁾.

كما اشتهرت قرطبة بصناعة الأنابيب المستخدمة لجلب المياه⁽⁵⁾، فضلا عن اعمال النحت في العاج حيث بلغت قرطبة درجة عالية من الرقي في هذه الصناعة⁽⁶⁾.

واشتهرت مصانع الزهراء باستخدام الخشب الجيد بصناعة أبواب مدينة

(1) المقرئ، نفح الطيب: 58/2، 59؛ وينظر: سالم، قرطبة من العصر الإسلامي، ص 55.

(2) مورنيو، المصدر السابق، ص 382-383؛ الجيوسي، المرجع السابق: 209/1.

(3) المقرئ، نفح الطيب: 59/2.

(4) المصدر نفسه: 58/2.

(5) المصدر نفسه: 13/2؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص 256.

(6) احمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط2، الكويت، منشورات ذات السلاسل، 1986، ص 507.

الزهراء ورصعت بالجواهر ونحتت بالعاج والابنوس والذهب⁽¹⁾، فضلا عن صناعة الحلبي والسلاح والزخارف⁽²⁾، ويتبع هذه الصناعات صناعات أخرى كالحدادة والنجارة واشتهرت قرطبة بهذا الفن حتى حدد موضع خاص للنجارين يدعى بحومة النجارين⁽³⁾.

ووجدت معادن أخرى كالذهب المتواجد في موضع يعرف بالمرج في قرطبة⁽⁴⁾ هذا فضلا عن معدن الفضة المستخرج من قرية كرتش⁽⁵⁾ واستخدم المعدنين في البناء حيث طليت الجدران والأرضيات والقباب وفي صناعة التحف والحلي وغيرها من أمور الزينة والابهة فوجدت في القصور بقرطبة أنواع من التماثيل والأحواض المذهبة كالحوض الموجود في محراب القصر المؤنس في الزهراء⁽⁶⁾.

كما وجد معدن الزئبق بشكل كبير في بسطاسة إحدى قرى فحص

(1) المقرئ، نفح الطيب: 2/ 88-89؛ بول، المرجع السابق، ص 132-133؛ عنان، دولة الإسلام: 2/ 437؛ العبادي، دراسات في تاريخ الحضارة، ص 507.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ عنان، دولة الإسلام: 2/ 438.

(3) الخشي، أخبار الفقهاء، ص 80؛ ابن بشكوال؛ المصدر السابق: 2/ 495.

(4) الحميري، المصدر السابق، ص 440.

(5) الاصطخري، المصدر السابق، ص 35؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 3؛ وينظر: عنان دولة الإسلام: 2/ 690.

(6) المقرئ، نفح الطيب: 2/ 58؛ وينظر: سالم، قرطبة في العصر الإسلامي، ص 53.

البلوط⁽¹⁾، واستغل الخليفة الناصر هذا المعدن في مليء أحواض قصره بالزئبق وذلك لكثرتة عندهم في قرطبة⁽²⁾.

ومن المعادن الأخرى معدن الحديد المستخدم في صناعة الأسلحة والمستخدم في البناء حيث عمل الخليفة الحكم المستنصر في تقوية أرجل القنطرة سنة (361هـ/ 971م) بمادة الحديد والخشب⁽³⁾.

أما معدن الرصاص والنحاس فاستغلت في صناعة الأنابيب التي توصل المياه الى القصور والمنازل والمساجد⁽⁴⁾. كما استخدمت الصخور المتوفرة في قرطبة في بناء القصور والمنازل والقناطر وتبليط الشوارع والطرق فيها⁽⁵⁾.

وبهذا يمكن القول ان القرن الرابع الهجري في الأندلس كان عصرا زاهيا نتيجة لتعاقد العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فأثمر عن إنجازات رائعة في فن البناء والعمارة والتنسيق فيها وسيأتي ذكر تفاصيل ذلك في الفصول التالية.

(1) الحموي، معجم البلدان: 5/ 126؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 3.

(2) المصدر نفسه: 2/ 58.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجري، ص 64-65؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 199-200.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 240؛ وينظر: مصطفى، المرجع السابق: 2/ 628.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 26؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 13، 22؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص 302-303.

الفصل الثاني

العمارة الدينية

الفصل الثاني العمارة الدينية

يعتبر المسجد في الإسلام من المظاهر العمرانية الرئيسة بالمدينة الإسلامية، حيث كان يقع في وسطها باعتباره محورا أساسيا في البناء، وأهم وظائفه، العبادة فضلا عن المهام الأخرى. وقد امتازت قرطبة بمسجدها الجامع، العلامة البارزة في عمرانها الى جانب المساجد الجامعة في الزهراء والزهرة، وكذلك المساجد التي أنشأها عامة الناس في داخل قرطبة وضواحيها.

وسوف نستعرض أهم المستجدات في عمارة هذه المساجد خلال مدة الدراسة، سواء منها ما جددت عمارته وتم توسيعه أو ما انشا حديثا لتلبية حاجة المجتمع في قرطبة وضواحيها.

أولا: المساجد الجامعة

أ. المسجد الجامع في قرطبة

يعد المسجد الجامع بقرطبة من أهم العمائر الإسلامية البارزة وذلك باعتباره الأثر الرئيسي في فن العمارة في غرب العالم الإسلامي ويمثل العصر الذهبي الذي شهدته الأندلس طوال تلك القرون ولاسيما عصر الخلافة الأموية⁽¹⁾ إذ قد شهد سلسلة من الزيادات العمرانية المتتالية، ومنها المتمثلة بزيادة الخليفة عبد الرحمن الناصر وأبنة الخليفة الحكم المستنصر والحاجب المنصور بن ابي عامر.

(1) مورنيو، المرجع السابق، ص 16.

ويقع المسجد الجامع بقرطبة على امتداد الواجهة الشرقية للقصر الخلافي وإلى الشمال قنطرة قرطبة، ويفصل بينه وبين القصر الخلافي الطريق الأعظم المسمى بالمحجة العظمى⁽¹⁾.

ويرى الناظر إليه من الخارج شكلا رباعيا ذا جهات قليلة الارتفاع متحدة المظهر وقد وضعت بين مسافة وأخرى دعائم تشبه الأبراج يتخللها باب كبير تزيينه زخارف رائعة ونوافذ مزدوجة وتبلغ مساحة البناء 76.70×75.73 م⁽²⁾.

ينقسم هذا الجامع إلى قسمين، قسم مسقوف يسمى بيت الصلاة وقسم مكشوف يسمى الصحن⁽³⁾.

يتألف القسم الأول بين الصلاة من تسع بلاطات عمودية على جدار القبلة تمتد إلى اثنتي عشر قوسا تقوم على عمد من الرخام حيث يبلغ عدد تلك الأعمدة 1273 عمود⁽⁴⁾.

ويصف المستشرق غوستاف لوبون⁽⁵⁾ أعمدة المسجد الجامع بقرطبة بقوله ((يقوم سقف جامع قرطبة على أعمدة ويتكون من اجتماع هذه الأعمدة صفوف من الصحن المتوازية المؤدية إلى باحته، وتتقاطع هذه الصحنون و صحنون أخرى كتقاطع الأضلاع الذي ينشأ عنه زوايا قائمة ويتألف من مجموع تلك

(1) المقرئ، نفح الطيب: 2/ 13؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 195.

(2) مورينو، المرجع السابق، ص 18-19.

(3) الإدريسي، المصدر السابق، ص 208؛ وينظر: شكيب ارسلان، الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية، بيروت، مشنورات دار مكتبة الحياة، 1355هـ/ 1936م: 1/ 137-138.

(4) ابن غالب، المصدر السابق، ص 298؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص 397.

(5) حضارة العرب، ص 286.

الأعمدة غابة من الرخام واليصب والغرانيت ويعلو تلك الأعمدة أقواس رائعة منضدة مصنوعة على شكل نعل الفرس)). وتختلف مواد وألوان الأعمدة، فهي ما بين رخامي ابيض، ووردي أو اخضر، وبعضها مرمرى شفاف⁽¹⁾.

وتحتوي التيجان التي تعلو الأعمدة على الأشكال المختلفة من صور أوراق النباتات الكثيرة الرسوم الهندسية، ولا سيما أوراق النبات المعروف بشكوة اليهود⁽²⁾.

أما القسم الآخر من الجامع الأعظم فهو الصحن الذي ظل شكله تقليد وكذلك وظيفته، إلا أنه طرأ عليه في الأندلس شيء جديد وهو غرس الأشجار وخاصة أشجار النارج والبرتقال والليمون⁽³⁾.

والصحن عبارة عن فناء شامع مستطيل الشكل يبلغ تقريبا ثلث رقعة المسجد أي انه يشغل الجزء الأكبر من المسجد وهو طراز اندلسي بأشجاره ونوافيره⁽⁴⁾.

أما سقف⁽⁵⁾ الجامع فهو مسطح يتألف من ألواح خشبية عرضية مصفوفة

(1) حسين مؤنس، رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، مدريد، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963، ص76.

(2) مورنيو، المرجع السابق، ص31.

(3) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 119؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 318-319.

(4) عنان، الآثار الأندلسية، ص22.

(5) والسقف ما يغطي داخل البناء وغالبا ما يكون السقف من الخشب على عكس القبو الذي لا يدخل الخشب في بنائه. ينظر: سالم، بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، عدد 1-2، مدريد، 1957، مج 5، ص225.

مثبتة بالجص تدعى بـ (سماوات)⁽¹⁾ تمسكها عوارض خشبية طويلة تسمى بجوائز⁽²⁾، وتكسو هذه اللوحات زخارف هندسية متنوعة وبالرغم من كثرة عددها إلا أنها لا تشبه إحدها الأخرى، وجميع خشب هذا السقف من عيدان الصنوبر الطرطوسي⁽³⁾. ويحيط بالألواح إطار خشبي مزين بكتابات من آيات القرآن الكريم، ويصف الحميري⁽⁴⁾ سقف الجامع الأعظم بقوله: ((وفي سقف الجامع من ضروب الصنایع والنقوش ما لا يشبه بعضها بعضاً وقد أحكم تزيينها وأبدع تلوينها بأنواع الحمرة والبياض والزرقة والتكحيل)).

أما محراب الجامع فهو أجمل ما في المسجد وطوله من القبلة الى الجوف ثمانية اذرع ونصف وارتفاع قبوه ثلاثة عشر ذراعاً ونصف⁽⁵⁾. وقد بني بالأجر⁽⁶⁾، وعليها سبع قسي قائمة على عمد، طول كل قوس فيها فوق القامة.

- (1) أي السقف الخشبي المسطح. ينظر: سالم، بعض المصطلحات، ص 253.
- (2) مفردها جائزة: وهي كتلة من الخشب قطاعها مربع تمتد أفقياً في جانبي السقف لتحمل الألواح الخشبية قطاعها مربع تمتد أفقياً في جانبي السقف لتحمل الألواح الخشبية فيما بينها، وتستند الجائزة في العادة على ركائز وكعوب خشبية. وحد الجائزة مربع دائماً في مسجد قرطبة. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 2/ 211؛ سالم، بعض المصطلحات، ص 246.
- (3) الادريسي، المصدر السابق، ص 209؛ الحميري، المصدر السابق، ص 154. وكانت غاية الصنوبر بطرطوسة أشهر غابات الأندلس، وكان خشبها أحمر صافي البشرة رسمه لا يتغير سريعاً، ولا يفعل فيه السوس. ينظر: متر، المرجع السابق: 2/ 328؛ كونستبل، المرجع السابق، ص 294.
- (4) الروض المعطار، ص 457.
- (5) ابن غالب، المصدر السابق، ص 297.
- (6) لوبون، المرجع السابق، ص 54، والأجر: اقدم مادة صناعية عرفها الإنسان في البناء. وكانت الشعوب القديمة تستخدم أجراً مجففاً بالشمس أما الشوي في الافران فقد استخدم بعد ذلك كما =

وعلى أعلى هذه الأقواس كتابات منحوتة من الفسيفساء المذهب على أرضية من الزجاج⁽¹⁾.

ولقد اقيمت على واجهته سبعة عقود ثلاثية الفصوص، مزججة دقيقة التكوين والزخرفة يعلوها افريزان بين بحرين من الفسيفساء المذهب أيضا على أرضية من الزجاج وتحت هذه العقود افريزان اخران على رأسه رخامة مشبوكة محفورة منمقة تشبه القوقعة المقلوبة⁽²⁾.

ولقد نقش المحراب من الداخل والخارج بزخارف نباتية وتوريقات وكان يتكون المحراب من غرف تؤدي اليها بوابة رائعة الزخارف وأقواس على شكل حدوة الفرس⁽³⁾ لأول مرة بثبات في البناء الإسلامي⁽⁴⁾. وفوق هذا أقام المعماري سقف المحراب وجعله قطعة واحدة من الحجر هياها على صورة المحارة مقسمة الى فصوص زخرفية. مما دفع البعض للقول، إننا لا نرى في زخرفة المحراب وبنائه مثيلا له، لا قديما ولا حديثا⁽⁵⁾.

حدده الاقدمون تراب يحكم عجنه وتقريضه ثم يحرق لينى وهو اليوم كما نحدده حجر

اصطناعي يشوى في افران خاصة. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 24 / 1.

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص 210؛ الحميري، المصدر السابق، ص 457.

(2) مورينو، المرجع السابق، ص 162؛ عبد البديع، المصدر السابق، ص 183.

والافريز: كلمة معربة ليس لها أصل في اللغة العربية تعني افريز الحائط وقيل أنها الطنف ومنه ثوب مفروز. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 1071 / 2.

(3) فريد محمود شافعي، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، الرياض، جامعة الملك سعود، 1982، ص 152.

(4) الجيوسي، المرجع السابق: 856 / 2.

(5) لوبون، المرجع السابق، ص 286.

أما القباب⁽¹⁾ التي تعلو المسجد فهي تتألف من ضلوع متقاطعة فيما بينها ويرجع انتشار القباب في هذا المسجد الى عهد الخليفة الحكم المستنصر، وهي أربع قباب، الأولى قبة المحراب وقد تم بناؤها سنة (354هـ / 965م) وتحف بها قبتان جانبيتان ولقد أقيمت قبة المحراب فوق حنية المحراب المثمنة⁽²⁾، ووصفت بأنها ((بيضاء منقورة بالحديد على صفة المحارة أحكمت وأنزلت في موضعها باتقن صنعة))⁽³⁾.

وأجمع الباحثون على أن أعظم ما ابتكرته قرطبة في فن العمارة هو طريقة عمل هذه الأقبية التي تقوم على عقود متقاطعة وأضلاع ظاهرة والتي اتبعت في أوروبا بعد ذلك بقرنين من الزمان⁽⁴⁾.

ومن أروع هذه القباب قبة الضوء أو القبة المخرمة الكبرى التي يبلغ عدد نوافذها ستة عشر نافذة يدخل منها الضوء فينير جوانب المسجد⁽⁵⁾.

وعن يمين المحراب أقيم المنبر الذي ليس على معمور الأرض مثله في حسن

(1) القباب، مفردا قبة وهي غطاء من البناء يتخذ شكلا كرويا وغالبا ما يغطي المصطحات المربعة وتقوم على تجويفات في الأركان الأربعة للقبة ليحول هذا الطابق المربع الى طابق مثنى. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 4/3؛ سالم، بعض المصطلحات، ص253.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص297؛ وينظر: مورينو، المرجع السابق، ص157.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص297.

(4) حتي، المرجع السابق: 3/709؛ شاخنت وبوزورت، تراث الإسلام، ترجمة: محمد زهير السمهوري وآخرون، تحقيق: شاكر مصطفى، ط2، الكويت، سلسلة كتب الثقافة، 1988: 360-361/1.

(5) انظر: المقري، نفح الطيب: 2/82؛ عبد البديع، المرجع السابق، ص183.

صنعة⁽¹⁾، ولقد صنع من عود مؤلف من الصندل الأحمر والأصفر والابنوس والمرجان واوصال من فضة مثبتة⁽²⁾. وامتاز المنبر بتقديم صناعة الحفر على الخشب وكان يتألف من 36 ألف قطعة سمّرت بمسامير من الذهب والفضة وطعمت هذه الوصلات بالأحجار النفيسة⁽³⁾.

أما المئذنة⁽⁴⁾ (الصومعة او المنارة) فلقد كان تصميمها وثيق الصلة بتصميم مئذنة جامع القيروان التي انبثقت عنها تصاميم مآذن العرب المسلمين وتقع في الجهة الشمالية الغربية للجامع وهي جليلة الأعمال غربية الصنعة⁽⁵⁾. ويذكر ان ((ارتفاع المنارة ثلاثة وسبعون ذراعاً الى أعلى القبة التي يستديرها المؤذن وفي رأس القبة تفاح من ذهب وفضة وارتفاعها الى مكان الأذان أربعة وخمسون ذراعاً))⁽⁶⁾.

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص 210؛ ارسلان، المرجع السابق: 142 / 1.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص 298.

(3) الحميري، المصدر السابق، ص 457؛ المقرئ، نفح الطيب: 76 / 2.

(4) المئذنة: وهي بيت العبادة عند النصارى والصومعة منار الراهب، وصومع بناء أي علاه. والصومعة من البناء سميت كذلك لتطبيق أعلاها، ولقد استخدم مصطلح الصومعة في العمارة الإسلامية لاسيما في بلاد المغرب والأندلس كمرادف للمآذن، فالصومعة هي المئذنة. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 475 / 2؛ احمد بن يحيى الو نشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق واشراف: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981: 148 / 7 - 149؛ شافعي، المرجع السابق، ص 154 - 175.

(5) المقرئ، نفح الطيب: 84 / 2.

(6) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا، مدريد، 1983: 116 / 1.

وكان طول المقصورة من القبلة الى الجوف ستة وخمسون ذراعا وعرضها من الشرق الى الغرب أربعة وعشرون ذراعا وكان بابها مصنوع من ذهب مضروب، حيث كان الذهب يستخدم في تذهيب الأثاث والأبواب خاصة عند الطبقات الثرية وفي بعض المنشآت المهمة وعضاداتها بابها من الاتبوس⁽¹⁾.

وتجمع المصادر التاريخية⁽²⁾ على ان موقع المسجد الجامع بقرطبة هو كنيسة، ويذكر لنا المقرئ⁽³⁾ وحده اسم هذه الكنيسة ويسميتها بشنت بنجنت، فعندما افتتح المسلمون مدينة قرطبة سنة (92هـ / 710م) كما اسلفنا ونتيجة للصالح المنعقد مع النصارى الأسبان بنوا المسجد الجامع في أول امره على جانب من شطري هذه الكنيسة وبقي الشطر الثاني بأيدي النصارى. وأخذوا بذلك بما فعله ابو عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد (رضي الله عنه) بعد استشارة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (13هـ / 634م - 24هـ / 644م) في بلاد الشام بمشاطرة أهل الذمة في كنيستهم بدمشق⁽⁴⁾. وهذا العمل دليل واضح لإقرار التعايش فيما بينهم⁽⁵⁾.

ولما استتب الامر للأمير عبد الرحمن الداخل (138هـ / 755م -

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص 297؛ ينظر: سالم، قرطبة: 1 / 343.

(2) العذاري، المصدر السابق، ص 123؛ وصف جديد لقرطبة، ص 172؛ ذكر بلاد الأندلس: 1 / 70؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2 / 229.

(3) نفح الطيب: 2 / 82؛ وينظر: مورينو، المرجع السابق، ص 16؛ سالم، قرطبة: 1 / 269.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2 / 229؛ وصف جديد لقرطبة، ص 172؛ المقرئ، نفح الطيب: 2 / 82؛ سالم، قرطبة: 1 / 277-278؛ عبد البديع، المرجع السابق، ص 181.

(5) الجيوسي، المرجع السابق: 2 / 185.

172هـ/788م) واستقر في قرطبة نظر في أمر الجامع وذلك نتيجة لتزايد عدد السكان وضيق مساحته عليهم فامر بتوسيعه والعمل على اتقان بناءه⁽¹⁾. فساوم النصارى على بيع ما بقي بأيديهم من الكنيسة واوسع البذل وفاء بالعهد الذي صولحوا عليه، وأباح لهم بناء كنائسهم التي هدمت خارج قرطبة⁽²⁾.

فشرع الأمير عبد الرحمن الداخل ببدء العمل في البناء بالمسجد الجامع بقرطبة، فيذكر العذاري⁽³⁾ انه ابتداء العمل ببناء المسجد الجامع بقرطبة سنة (169هـ/785م)، ويؤيده بذلك ابن عذاري⁽⁴⁾.

في حين يشير المقرئ⁽⁵⁾ الى انه ابتداء العمل ببناء المسجد الجامع بقرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل سنة (168هـ/784م).

وربما يعود الاختلاف⁽⁶⁾ في التاريخ الى ان سنة (169هـ/785م) تمثل المباشرة في البناء فعليا. الذي لم ينجزه الأمير عبد الرحمن الداخل في أيامه لأنه

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/229؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/82؛ زيعزید هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ط5، ترجمة: فاروق بیضون وكمال الدسوقي، مراجعة: مروان عيسى الخوري، بيروت، دار الأفاق، 1981، ص476-477؛ سامي الكيالي، في الربوع الاندلسية، حلب، مكتبة الشرق، 1963، ص99-100.

(2) وصف جديد لقرطبة، ص173؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/229؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/82؛ محمد لبيب البتونى، رحلة الأندلس، بلا، م، مطبعة الكشكول، 1927، ص38.

(3) نصوص عن الأندلس، ص123.

(4) البيان المغرب: 2/229.

(5) نفح الطيب: 2/82.

(6) حول الاختلاف في تاريخ بناء المسجد الجامع بقرطبة ومدته. ينظر: مورينو، المرجع السابق، ص42؛ سالم، قرطبة: 1/272.

توفي سنة (172هـ / 788م)⁽¹⁾. فأكمّله ابنه الأمير هشام بن عبد الرحمن (172هـ / 788م - 180هـ / 796م)⁽²⁾. ويعلل عبد العزيز سالم⁽³⁾ أسباب التأخير بقوله ان الأمير عبد الرحمن الداخل انشغل بإتمام أعمال البناء التكميلية في المسجد الجامع وبناء مساجد أخرى بنواحي قرطبة. وربما يعود السبب حسبما يعتقد الى قصر المدة الزمنية، إذ انه توفي بعد ما يقارب من ثلاث او أربع سنوات عن بداية البناء مما قد يعزز هذا الاعتقاد.

وبلغ ما أنفقه الأمير عبد الرحمن الداخل على بناء المسجد الجامع ما يقارب الثمانين ألف دينار، وفي ذلك يقول الشاعر محمد البلوي:

وابرزّ في ذاتِ الإله ووجهه ثمانين ألفاً من لجين وعَسجدِ
فأنفقها في مَسجدِ أسه التقى ومنهجهُ دينُ النبي مُحمّد⁽⁴⁾

وهكذا يظهر لنا ان البداية للبناء بالرغم من انها سبقت عهد الإمارة، إلا ان التصميم الأساس وهيكل المسجد الجامع لم يظهر إلا مع عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، ثم أخذ بالاستكمال والزيادة في العهود اللاحقة، إذ أصبح الأمر

(1) الضبي، المصدر السابق، ص 17؛ ينظر: سالم، قرطبة: 288 / 1.

(2) المقري، نفح الطيب: 82 / 2؛ ويقول في موضع آخر ((ومن محاسنه (هشام) أيضا إكمال بناء الجامع بقرطبة، وكان أبوه شرع فيه)) ينظر: المقري، نفح الطيب: 266 / 1؛ ويذكر انه ((هو الذي أكمل بناء الجامع بقرطبة الذي كان أبوه شرع فيه)). ينظر: ابن خلدون، العبر: 125 / 4؛ عنان، دولة الإسلام: 200 / 1؛ هونكة، المرجع السابق، ص 486، خلاف، قرطبة، ص 39.

(3) قرطبة، 288 / 1.

(4) ذكر بلاد الاندلس: 70 / 1؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 230 / 2، المقري، نفح الطيب: 82 / 2؛ ولم أعتثر على ترجمة للشاعر محمد البلوي في المصادر المتوفرة.

سنة متبعة لدى ولاية الأمر بالأندلس ابتداء في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الذي أكمل بناء المئذنة وسقائف النساء والميضأة⁽¹⁾. وأنفق على هذه الزيادة من خمس فتح مدينة اربونة⁽²⁾.

وزارده الأمير عبد الرحمن بن الحكم اروقته التي كانت تسع اروقة فزاد عليها اثنتين واصبحت بذلك أحد عشر رواقا وذلك بان أضاف الى طوله سبعة عقود أخرى. وأقام محرابا إضافيا ويبلغ طول هذه الزيادة خمسين ذراعا وعرضها مائة وخمسين وعدد سواربها ثمانون سارية⁽³⁾.

كما عمل الأمير محمد بن عبد الرحمن على اتقان طراز الجامع وتنميق نقوشه وزخرفته وإنشاء به مقصورة فخمة كانت الأولى من نوعها بمساجد الأندلس وجعل لها ثلاثة أبواب⁽⁴⁾. وفي عهد ولده الأمير عبد الله بن محمد إنشاء

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 230 / 2.

(2) ابن القوطية، المصدر السابق، ص 65؛ المقرئ، نفح الطيب: 83 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 289 / 1. ومدينة اربونة: بفتح أوله ويضم ثم السكون، وضم الباء الموحدة، وسكون الواو، بلد في طرف الثغر من أرض الأندلس، وخرجت عن أيدي المسلمين سنة (630 هـ / 1232 م). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 140 / 1؛ الحميري، المصدر السابق، ص 24.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 243، 245؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 230 / 2؛ وينظر: عنان، الآثار الاندلسية، ص 20؛ حمودة، المرجع السابق، ص 212.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 230 / 2؛ وينظر: حمودة، المرجع السابق، ص 212؛ عنان، الآثار الاندلسية، ص 20.

الساباط⁽¹⁾ الموصل بين القصر الى الجامع من جهة الغرب وفتح فيه بابا كان يخرج منه الى الصلاة وهو أول من اتخذ ذلك من أمراء بني أمية بالأندلس⁽²⁾.

ومن اهم وافخم الزيادات في المسجد الجامع بقرطبة ما تم في عصر الخلافة الأموية، فأول خليفة عمل على الزيادة في المسجد الجامع هو الخليفة الناصر لدين الله حيث عمل سنة (340هـ / 951م) على هدم المنارة القديمة التي بناها الأمير هشام بن عبد الرحمن وأنشاء مكانها المنارة الجديدة، وامتازت هذه المنارة بفخامتها وارتفاعها الشاهق حيث بلغ طولها ثمانون ذراعا وهي مربعة الواجهة ولها أربعة عشر شباكاً ذات عقود، وركب الخليفة الناصر في قمته ثلاث تفاحات وقيل رمانات كبيرة اثنتان من الذهب ويتوسطها واحدة من الفضة، وإذا تعرضت لها اشعة الشمس يكاد شعاعها يخطف الانظار⁽³⁾.

وأكمل الخليفة الناصر بناء هذه الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة في ثلاثة

(1) الساباط: هو عبارة عن ممر مسقوف مبني فوق عقد كبير، وساباط المسجد الجامع بقرطبة يصل بين القصر المجاور للمسجد من غربيه الى المقصورة، وكان مخصصا لعبور أمراء الدولة الأموية من القصر الى المسجد الجامع، ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق: 230 / 2؛ حمودة، المرجع السابق، ص 212-213؛ سالم، بعض المصطلحات، ص 249؛ عنان، الآثار الاندلسية، ص 20-21.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 230 / 2.

(3) البكري، جغرافية الأندلس، ص 104؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 288 / 2-229؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 38؛ المقرئ، نفح الطيب: 83 / 2؛ عنان، دولة الإسلام: 445 / 2؛ العبادي، في التاريخ، ص 418-419؛ احمد بدر، تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري عصر الخلافة، دمشق، 1974، ص 146.

عشر شهراً⁽¹⁾. ولما كملت ركب الخليفة الناصر من مدينة الزهراء وصعد في الصومعة من احد ادراجها ونزل من الثاني، ثم خرج الخليفة الناصر وصلى ركعتين في المقصورة وكانت الصومعة الأولى ذات مطلع واحد، فجعل لها مطلعين فصل بينهما البناء، فلا يلتقي الراقون فيها إلا بأعلاها⁽²⁾.

وقيل ان سبب بناء هذه المئذنة كان نتيجة لتصدع حدث في المنارة القديمة فأمر الخليفة الناصر بهدمها وبناء واحدة أخرى⁽³⁾. ويضيف عبد العزيز سالم⁽⁴⁾ عدة أسباب أخرى والتي دعت الى بناء المئذنة الجديدة منها:

أنه أصبح صحن الجامع ضيقاً بالنسبة لبيت الصلاة الذي اتسع اتساعاً كبيراً نحو القبلة بعد زيادة الأمير عبد الرحمن الأوسط، فبلغت سعته 62.10 متراً في حين أصبحت سعة الصحن بعد إقامة السقيفة الجوفية من قبل الخليفة الناصر ثلاثين متراً، كما يشير الى ان الخليفة الناصر كان باستطاعته ان يرمم المئذنة، ولكن المئذنة لم تعد تليق بعظمة المسجد الجامع في قرطبة، حيث أصبحت صغيرة مقارنة مع سعة المسجد الجامع بعد زيادة الأمير عبد الرحمن الأوسط.

ثم عمل الخليفة الناصر عام (346 هـ / 960م) على تجديد واجهة المسجد

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 228؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص 389 - 390؛ بدر، المرجع السابق، ص 147.

(2) المقرئ، نفح الطيب: 2/ 83؛ حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، القاهرة، مكتب الثقافة الدينية، 1995: 1/ 506.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 228؛ العبادي، في التاريخ، ص 418.

(4) قرطبة: 1/ 334.

الجامع واللاطات الأحد عشر وجدد القبو الكبير الذي يصطف المؤذنون أمامه يوم الجمعة للأذان، وهو من أعجب البنيان⁽¹⁾. وربط بين طرفي السقيفتين الجانبيتين للصحن بعد مدهما شمالا بسقيفة جوفية بحيث أصبح الصحن محاطاً كله بسقائف وفي ذلك يقول ابن خلدون⁽²⁾ (ت 808هـ/ 1405م) ان الخليفة الناصر أمر: ((بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس))، وتقع هذه الظلة قبالة بيت الصلاة، وما زالت اللوحة التي تنوه بما قام به الخليفة الناصر من تجديد واجهة الجامع قائمة الى اليوم في مكانها في الجانب الأيمن من بابه الرئيس المسمى (باب النخيل) وقد كتب عليها ما يلي:

((بسم الله الرحمن الرحيم. أمر عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين الناصر لدين الله، أطال الله عمره، ببنيان هذا الوجه، وأحكام اتقانه تعظيماً لشعائر الله، ومحافظة على حرمة بيوته، التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه، ولما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الاجر، وجزيل الذخر، مع بقاء شرف الاثر وحسن الذكر فتم ذلك بعون الله في شهر ذي الحجة سنة ستة واربعين وثلاث مائة على يد مولاه ووزيره صاحب مبانيه عبد الله بن بدر، عمل سعيد بن أيوب))⁽³⁾.

ثم زاد ابنه الخليفة الحكم المستنصر زيادته المشهورة في المسجد الجامع

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 228 / 2 - 229، 231.

(2) العبر: 4 / 144، وتعني كلمة الظلة سقيفة جوفية على نحو الظلة الشمالية لمسجد الرسول (ﷺ) بالمدينة. ينظر: سالم، قرطبة: 1 / 366.

(3) عنان، دولة الإسلام: 445 / 2 - 446.

بقرطبة، إذ أصدر مرسوما منذ اليوم الثاني لتوليه الخلافة يأمر فيه بتوسيع المسجد الجامع، وقلد ذلك حاجبه وسيف دولته الأمير جعفر بن عبد الرحمن الصقلي. وذلك لأربع خلون من رمضان سنة (350هـ / 961م). ويذكر ان المسجد الجامع ضاق على الناس بسبب تزايد عدد سكان قرطبة فازدحم بهم ولم يعد يتسع لجموع المصلين فبلغ الناس بذلك التعب فشرع الخليفة الحكم المستنصر بالعمل على زيادة المسجد وتوسيعه⁽¹⁾.

وعمل الخليفة الحكم المستنصر على حشد البنائين وتجهيز الصخور للبناء والاستعداد لها بكل الآلات ومواد البناء والفعلة⁽²⁾. فزاد من الشمال الى الجنوب 95 ذراعاً⁽³⁾، ويذكر انه زاد في طوله مائة ذراع وخمسة اذرع فكمل الطول ثلاثمائة ذراع وثلاثين ذراعاً⁽⁴⁾.

وفي سنة (354هـ / 965م) أتم الخليفة الحكم المستنصر بناء قبة المحراب⁽⁵⁾

(1) المراكش، المصدر السابق، ص 457؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 233-234؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 483؛ العبادي، في التاريخ، ص 422-423؛ حسين مؤنس، المساجد، الكويت، 1981، ص 195-196؛ احلام حسن النقيب، سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 1988، ص 181.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 234؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 339.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 234؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 345.

(4) العذري، المصدر السابق، ص 123؛ ابن غالب، المصدر السابق، ص 297؛ الحميري، المصدر السابق، ص 458؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 73.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 337؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص 392.

حيث عهد الى كل من محمد بن تمليح⁽¹⁾ واحمد بن نصر وخالد بن هشام ومطرف بن عبد الرحمن الكاتب بالنظر في هذه الزيادة واسمائهم في الزيادة ظاهرة على حائط المحراب في المسجد⁽²⁾.

وفي السنة نفسها، أمر الخليفة الحكم المستنصر بتزيين جدران المحراب وزخرفتها بالفسيفساء التي بعثها إمبراطور الدولة البيزنطية رومانوس الثاني (333هـ/ 944م - 348هـ/ 959م) إلى الخليفة الحكم المستنصر. وكان الخليفة قد كتب له في إرسال صانع في تنزيل الفسيفساء وربما اقتدى بذلك بما فعله الخليفة الوليد بن عبد الملك (86هـ/ 705م - 96هـ/ 714م) في بنيان المسجد الجامع بدمشق⁽³⁾.

وأثناء أيضا المخزن المتصل بالمقصورة يسار المحراب، وهو مخصص لحفظ أموال الاحباس⁽⁴⁾ وادوات المسجد مثل العدد والطسوت الذهبية والفضة

(1) محمد بن تمليح: هو عالم في الطب من أهل قرطبة وقد خدم الخليفة الناصر في صناعة الطب وكان قد ولاه الخليفة الناصر خطة الرد وقضاء شذونة وولاه الخليفة الحكم المستنصر بنيان زيادته في المسجد الجامع. وتوفي سنة (361هـ/ 971م). ينظر ابن جلجل، المصدر السابق، ص 108؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 491؛ ولم عثر على تراجم أسماء بقية المشار إليهم في أعلاه.

(2) ابن جلجل، المصدر السابق، ص 180؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 491؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص 392؛ مؤنس، رحلة الأندلس، ص 100-101.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 237-238؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 42؛ وينظر: عنان، الآثار الأندلسية، ص 21.

(4) المقرئ، نفح الطيب: 2/ 81؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 342.

والحسك⁽¹⁾ الخاص بوقيد الشمع ليلة الـ 27 من شهر رمضان ويحفظ فيه أيضا المصحف العثماني⁽²⁾ الموضوع على كرسي خاص به يوضع عليه⁽³⁾.

وفي سنة (355هـ/ 965م) أمر الخليفة الحكم المستنصر بوضع المنبر القديم الى جانب المحراب ونصب في قبة زيادته مقصورة من الخشب منقوشة طولها 75 ذراعا وعرضها 22 ذراعا وارتفاعها الى الشرفات 8 أذرع وارتفاع كل شرفة 3 اشبار (63سم) واحاط بها خمس بلاطات من زيادته وجعل لها ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش⁽⁴⁾.

ويشير ابن غالب⁽⁵⁾ الى ان طول الزيادة من الشمال الى الجنوب 56 ذراعا، ومن الشرق الى الغرب 24 ذراعا وكان الباب الرئيس للمقصورة من الذهب.

كما هدم الخليفة الحكم المستنصر في سنة (356هـ/ 966م) الميضاة القديمة

(1) الحسك: من أدوات الحرب، يتألف من قطع حديدية ذات شعب، تطرح حول المعسكرات أو أمام الخيل لعرقلتها أثناء العدو. وكان للحسك شان في الحروب ويعرف اليوم بالاسلاك الشائكة، ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 1/ 636؛ محمد شفيق غربال، الموسوعة الميسرة، بيروت، دار القلم، 1959، ص 717.

(2) المصحف العثماني: وهو مصحف الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وكان في جامع قرطبة وصار الى بني عبد المؤمن من الموحدين وهو مخطوط بخط يده (رضي الله عنه) وله شأن عظيم عند أهل الأندلس. ينظر: المقري، نفح الطيب: 2/ 84.

(3) الحميري، المصدر السابق، ص 457؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 73.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 240؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 75؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 343.

(5) فرحة الأنفس، ص 297.

في فناء المسجد الجامع وبنى بدلاً عنها أربع ميضآت على جانبي الصحن من جهته الشرقية والغربية وأجرى إليها المياه في قنوات حجرية متقنة البناء في جوفها أنابيب من الرصاص تحفظها من كل دنس وأحواض هذه الميضآت من الرخام⁽¹⁾.

كذلك تم تجديد المنبر القديم بأخر جديد في مدة ما بين سبعة إلى ثمانية سنوات بحدود سنة (365هـ / 975م) والذي وصف بأنه كان مصنوعاً من الصندل الأحمر والأصفر والانبوس والعود الرطب والعاج العود الهندي والمرجان وأوصاله من فضة مثبتة⁽²⁾. وكان عدد درجاته تسعاً⁽³⁾.

وتميزت زيادة الخليفة الحكم المستنصر دون غيرها من الزيادات التي توسع بها الجامع إذ اشتملت على أربعة قباب توزعت على البلاط الأوسط من الزيادة الحكيمة منها قبة على مدخل الزيادة وتعرف بالقبة المخرمة الكبرى، وقبة بأعلى الاسطوان الذي يتقدم المحراب مباشرة وهي القبة المعروفة بقبة المحراب ثم قبتان تكتنفانها بأعلى الاسطوانين المجاورين شرقاً وغرباً⁽⁴⁾. وبذلك حقق مهندسو الحكم المستنصر تأثيراً جمالياً من التناسق والانسجام في بلاط المحراب، مقلدين بذلك نظام المحراب والبهو كما في جامعي القيروان والزيتونة بتونس⁽⁵⁾.

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 340/2؛ المقرئ، نفح الطيب: 78/2 - 79؛ وينظر: العبادي، في التاريخ، ص 422-423؛ النقيب، المرجع السابق، ص 168.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص 298؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 250/2؛ سالم، قرطبة: 343/1 - 344.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص 298؛ المقرئ، نفح الطيب: 76/2؛ سالم، قرطبة: 344/1.

(4) سالم، قرطبة: 359/1 - 360.

(5) المرجع نفسه: 360/1.

وبعد ان أنتهى الخليفة الحكم المستنصر من زيادته روي أن ((اجتنب الناس الصلاة فيها أياماً، فبلغ ذلك الحكم، فسأل عن علته، فقيل له إنهم يقولون: ما ندري هذه الدراهم التي أنفقها في هذا البنيان من اين اكتسبها فاستحضر الشهود والقاضي ابا الحكم المنذر بن سعيد البلوطي... واستقبل القبلة وحلف باليمين الشرعية التي جرت العادة بها أنه ما أنفق فيه درهما إلا من خمس المغنم، وحيثُذ صلى الناس فيه لما علموا بيمينه⁽¹⁾. وبلغ حجم الأموال المنفقة في هذه الزيادة ما يقارب الـ 539 و 561 الف دينار⁽²⁾.

وفي عهد الخليفة هشام بن الحكم عمل حاجبه المنصور بن ابي عامر على الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة إذ ابتدأ العمل فيها منذ سنة (377هـ/ 987م)⁽³⁾. وذلك بعد تزايد عدد السكان وازدحام قرطبة نتيجة لتواجد قبائل البربر وبشكل كبير فيها.

ويصف ابن عذاري⁽⁴⁾ حالة قرطبة وازدحام سكانها بقوله ((فلما زاد الناس بقرطبة وانجلب إليها قبائل البربر من العدو وأفريقية، وتناهى حالها في الجلالة، ضاقت الارياض وغيرها، وضاق المسجد الجامع)).

وعلى الرغم من الزيادة الحكيمة للمسجد الجامع إلا ان مساحة بيت

(1) المراكش، المرجع السابق، ص 457.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص 299. ويذكر ان حجم النفقة كان ما يقارب 561.537 الف دينار وربما حصل تصحيف في احد الرقمين. ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق: 287 / 2.

(3) المصدر نفسه: 287 / 2؛ وينظر ابن زيدون، المرجع السابق، ص 331. ويذكر صاحب كتاب وصف جديد لقرطبة: أن الحاجب المنصور ابتداء بالبناء في سنة (381هـ/ 991م)، ينظر: ص 174.

(4) البيان المغرب: 287 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 347 / 1.

الصلاة ضاق عليهم ولم يستطيع ضم جموع المصلين الأمر الذي دعى الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر الى الشروع بالعمل في الزيادة من الجهة الشرقية لتعذر الزيادة من الجهة الغربية بسبب قيام القصر الخلفي المقابل للجامع⁽¹⁾، وكانت هذه الجهة عامرة هي الأخرى بالدور والمستغلات فاستلزم الأمر هدم المنازل مما دعى الحاجب المنصور بن ابي عامر لتعويض الناس فدفع لأصحابها تعويضا باهضا⁽²⁾. وعمل بنفسه في هذه الزيادة⁽³⁾، واستخدم الأسرى من النصارى الأسباب في البناء⁽⁴⁾.

وعهد امر الزيادة الى صاحب الشرطة عبد الله بن سعيد بن محمد بن بن تبرى (ت سنة 401 هـ / 1010م)⁽⁵⁾، فزاد الحاجب المنصور ثمانية بلاطات

(1) البكري، جغرافية الأندلس، ص102؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 287 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 347 / 1.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 287 / 2؛ وينظر: هونكة، المرجع السابق، ص487.

(3) المقرئ، نفح الطيب: 73 / 2.

(4) ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص64؛ وصف جديد لقرطبة، ص174؛ ابن ابي دينار، المصدر السابق، ص44-45؛ ويذكر انه استخدم نواقيس النصارى وابواب الكنائس وترايبها في بناء زيادته للمسجد الجامع. ينظر: ابن غالب، المصدر السابق، ص300؛ الشقندي، المصدر السابق، ص55؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 181 / 4؛ سالم، قرطبة: 348 / 1.

(5) ابن بشكوال، المصدر السابق: 250 / 1؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 575 / 2 - 576، وعبد الله بن سعيد بن محمد بن تبرى هو صاحب الشرطة بقرطبة الذي ولاه الحاجب المنصور بن ابي عامر أمر الزيادة في المسجد الجامع، وكان من أهل الأدب والفهم والكرم. ينظر: ابن بشكوال، المصدر السابق: 250 / 1.

أخرى على الأحدي عشر بلاطا فأصبح عدد بلاطات المسجد تسعة عشر بلاطا⁽¹⁾.

كما عمل الحاجب المنصور على إقامة جب (بئر) كبير في صحن المسجد الجامع تعويضا عن الميضاة التي هدمت أثناء الزيادة في البلاطات⁽²⁾.

وبلغ المسجد الجامع بقرطبة درجة عظيمة من الزيادة في حجم البناء حتى بلغ عدد العاملين فيه من الخطباء والائمة والمؤذنين والخدم ما يقارب الـ 300 رجل منذ عهد الخليفة الناصر الى نهاية عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر⁽³⁾، وكان لهم من الرواتب كل شخص 800 دينار في الشهر⁽⁴⁾.

واعتبر أهل الأندلس هذا الجامع مركزا دينيا مهما للناس، حيث كانت تعقد فيه مشاهد ليلة القدر في كل عام، فكان بليلة القدر يكسى الجامع بمشاهد الابتهاج والاحتفال وتستوقد فيه الثريات الضخمة وتشعل السرج في كافة جوانب المسجد وكان ينفق فيه حجم هائل من الزيت للوقيد ويقوم على ذلك أشخاص لأبقاء هذه السرج منيرة طيلة الليل⁽⁵⁾.

(1) البكري، جغرافية الأندلس، ص 102؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 287؛ وصف جديد لقرطبة، ص 175؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 73؛ وينظر: مورينو، المرجع السابق، ص 188؛ سالم، قرطبة: 1/ 348.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 287؛ مورينو، المرجع السابق، ص 193؛ سالم، قرطبة: 1/ 349.

(3) ذكر بلاد الأندلس، ص 39؛ وصف جديد لقرطبة، ص 177؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 76.

(4) ابن غالب، المصدر السابق، ص 299.

(5) الونشريسي، المصدر السابق: 2/ 79؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 76-77؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 196؛ مصطفى، المرجع السابق: 2/ 196-197.

وبقي المسجد الجامع بقرطبة على حاله بعد الزيادة الأخيرة للحاجب المنصور بن ابي عامر طوال العهد الإسلامي بالأندلس، ولما سقطت قرطبة سنة (634هـ/ 1236م) حول المسجد الى كنيسة سميت بكنيسة سانتا ماريا الكبرى⁽¹⁾.

ولا يزال المسجد الجامع بقرطبة معلماً حضارياً شاخصاً يبرهن على ما أبدعه العرب المسلمون في فنون العمارة والبناء في ذلك الوقت، الأمر الذي يدل على استمرارية المسجد في هيكله المعماري على حقة طويلة.

ب. المسجد الجامع في الزهراء

يعتبر هذا المسجد الجامع من مستحدثات فن العمارة الدينية في قرطبة في القرن الرابع الهجري، وذلك عندما ابنتى الخليفة الناصر مدينة الزهراء سنة (325هـ/ 936م)⁽²⁾، وأمر ببناء المسجد الجامع فيها⁽³⁾، وكان أقل حجماً واتساعاً من المسجد الجامع بقرطبة⁽⁴⁾.

وشرع الخليفة الناصر العمل في بناء المسجد الجامع بالزهراء في الثالث من

(1) سالم، قرطبة: 1/ 350؛ عبد البديع، المرجع السابق، ص 184.

(2) الادريسي، المصدر السابق، ص 212؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 58؛ ذكر بلاد الأندلس: 1/ 162؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 209؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 65؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 233؛ عنان، دولة الإسلام: 2/ 437.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص 303.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 108.

رجب سنة (329هـ / 940م)⁽¹⁾، وعمل فيه من حذاق الفعلة كل يوم ألف عامل منهم ثلاثمائة بناء ومائة نجار وخسمائة من الأجراء وسائر الصنائع⁽²⁾.

وكان بيت الصلاة فيه يتألف من خمسة بلاطات عجيبة الصنعة، البلاط الأوسط منه كان أكثر اتساعاً من الآخرين حيث كان اتساعه من الشرق إلى الغرب 13 ذراعاً أما الأربعة الآخرين فكان اتساع كل واحد منهم 12 ذراعاً. وطول المسجد كله من الشمال إلى الجنوب ما عدا المحراب 97 ذراعاً، وطول الصحن من الشرق إلى الغرب 59 ذراعاً، ومن الشمال إلى الجنوب 43 ذراعاً وعرضه من الشرق إلى الغرب 41 ذراعاً، أي أن طول البلاط الواحد يصل إلى 54 ذراعاً، وكان الصحن مكسو بالرخام الخمرى وفي وسطه فوارة ينبثق منها الماء⁽³⁾.

وللمسجد الجامع بالزهراء صومعة، ارتفاعها يبلغ 40 ذراعاً وعرض قاعدتها 10 أذرع⁽⁴⁾، ويحدد عبد العزيز سالم⁽⁵⁾ موقعها أنه كانت تقوم في منتصف الواجهة الشمالية للمسجد.

كما أمر الخليفة الناصر باتخاذ منبر بديع الصنعة للمسجد، وبنيت حوله

(1) المقرئ، نفح الطيب: 85 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 246 / 1.

(2) المقرئ، نفح الطيب: 84 / 2؛ ازهار الرياض: 265 / 2؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 438 / 2؛ فكري، المرجع السابق، ص 215.

(3) المقرئ، نفح الطيب: 84 / 2 - 85؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص 215 - 216؛ سالم، قرطبة: 246 / 1؛ زيدون، المرجع السابق، ص 338.

(4) المقرئ، نفح الطيب: 85 / 2.

(5) قرطبة: 246 / 1.

مقصورة من الخشب وكان موضعه في بيت الصلاة⁽¹⁾، وانتهى العمل في المسجد في الثالث والعشرين من شعبان سنة (329هـ / 940م)⁽²⁾.

ولما كمل البناء في المسجد الجامع بالزهراء صلى فيه الخليفة الناصر يوم الجمعة وكان الإمام القاضي ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي عيسى⁽³⁾ (ت 398هـ / 1007م) أول من خطب فيه⁽⁴⁾.

واعتاد الخليفة الناصر شهود صلاة الجمعة في المسجد الجامع في الزهراء وكان يؤمه آنذاك القاضي المنذر بن سعيد البلوطي أحد أبرز الخطباء في هذا المسجد، وكان له عدة حوادث مع الخليفة الناصر كما سبق ان أوضحنا ومنها على سبيل المثال مواجهته للخليفة بسبب تعطل الخليفة عن شهود صلاة الجمعة ثلاث أسابيع نتيجة لشغفه بالبناء وانشغاله به⁽⁵⁾.

وقد استمر القاضي المنذر بن سعيد البلوطي في الإمامة بهذا المسجد الجامع أيام الخليفة الحكم المستنصر حتى نهاية ولايته للقضاء بقرطبة سنة (355هـ / 965م)⁽⁶⁾.

وفي سنة (362هـ / 972م) أمر الخليفة الحكم المستنصر الإمام محمد بن

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص 445-446؛ المقرئ، أزهار الرياض: 2/ 266.

(2) المقرئ، نفح الطيب: 2/ 85؛ ينظر: سالم، قرطبة: 1/ 247.

(3) عن ترجمته ينظر: الخشني، قضاة قرطبة، ص 118-120.

(4) المقرئ، نفح الطيب: 2/ 86.

(5) ابن غالب، المصدر السابق، ص 303؛ ابن خاقان، مطمع الأنفس، ص 245؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144.

(6) الخشني، قضاة قرطبة، ص 120.

يوسف بن سليمان الجهمي الخطيب المعروف بالقبري (ت 372هـ / 987م) الذي كان الخليفة الناصر قد اتخذه إماماً للصلاة والخطبة في المسجد الجامع بالزهراء⁽¹⁾ القيام بصلاة الاستسقاء نتيجة للقط الذي أصاب البلاد⁽²⁾.

ولا تسعنا المصادر التاريخية المتوفرة كثيراً في تبيان الأنشطة و الفعاليات في هذا المسجد الجامع على امتداد القرن الرابع الهجري، سوى ما تورده كتب التراجم الأندلسية مشيرة إلى عدد من الشخصيات التي تولت وظائف الخطبة والإمامة بهذا المسجد الجامع أمثال الفقيه إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي من ساكني مدينة الزهراء ويذكر أنه كان يفتي في الجامع وتوفي سنة (387هـ / 997م)⁽³⁾. والعالم أحمد بن موفق بن نمير بن أحمد الأموي يكنى أبا القاسم (ت 396هـ / 1005م)⁽⁴⁾. وقد أحرق المسجد سنة (401هـ / 1010م) على يد البربر⁽⁵⁾.

ونتيجة للاكتشافات الأثرية التي أجريت في موقع مدينة الزهراء سنة 1964م، فقد ثبت موقع المسجد الجامع بالزهراء يقع في شرقي المدينة الوسطى

(1) ابن الفرضي، المصدر السابق: 86 / 2.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 101.

(3) ابن الفرضي، المصدر السابق: 28 / 1.

(4) ابن بشكوال، المصدر السابق: 12 / 1.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 107 / 3.

من الزهراء⁽¹⁾، ويتصل بها ساباط يوصلها الى سطح القبلة في المسجد الجامع على غرار الساباط الموجود في المسجد الجامع بقرطبة⁽²⁾.

ج. المسجد الجامع في الزاهرة

برزت شخصية الحاجب المنصور بن ابي عامر أيام حكم الخليفة هشام بن الحكم المستنصر سنة (366هـ/976م)، الذي قام بتقليد خلفاء بني أمية في بناء المدن الملكية، فأبني لنفسه مدينة في شرق قرطبة عرفت باسم الزاهرة⁽³⁾.

وقد أنشأ فيها مسجدا جامعاً⁽⁴⁾، بقي قائما الى ان اندثرت آثار المدينة نتيجة لأعمال التخريب التي تعرضت لها المدينة بعد سقوط الدولة العامية سنة (399هـ/1008م)⁽⁵⁾.

وعندما قام المنصور بن ابي عامر ببناء مدينة الزاهرة أراد اتخاذ مسجدا للجامع الى جانب المسجد الجامع بقرطبة، فأستشار كبار الفقهاء في مسألة التجميع

(1) مورينو، المرجع السابق، ص72؛ فكري، المرجع السابق، ص213.

(2) المرجع نفسه، ص213؛ نجلة إسماعيل العزي، قصر الزهراء في الأندلس، بغداد، مديرية الآثار العامة، وزارة الإعلام، 1977، ص76-77، 92.

(3) ابن الفرضي، المصدر السابق: 7/1؛ الضبي، المصدر السابق، ص19؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/249، 275؛ النويري، المصدر السابق: 22/65؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص43-44؛ ينظر عنان، دولة الإسلام: 3/83-85؛ وسيأتي الكلام عنها مفصلا في الفصل الرابع من الرسالة.

(4) ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/485؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/260.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/38-39؛ النويري، المصدر السابق: 22/68؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 3/143.

فلم يوافقهم أكثرهم بحجة أنه لا يجمع في مصر واحد بين جامعين لاسيما وان المسافة بينهما على ابعد الطرق لا تتجاوز الفرسخ او نحو ستة كيلومترات⁽¹⁾.

ويمكن ان يكون بناء الحاجب المنصور بن ابي عامر لهذا المسجد بسبب تزايد عدد السكان بقرطبة وتوسعها في القرن الرابع الهجري، فأصبحت قرطبة على حد قول الأدريسي⁽²⁾ ((خمس مدن يتلو بعضها بعضا)).

ولا تذكر لنا المصادر التاريخية شيئا عن عمارة هذا المسجد الجامع، وتكتفي بذكره كاحد المساجد البارزة في ضواحي قرطبة. وبقي دوره فعالا طيلة مدة الدولة العامرية (366هـ/ 976 م - 399هـ/ 1008 م) كذلك أشارت كتب التراجم الى عدد من الفقهاء والمقرئين الذين كانوا يرتادونه ومنهم على سبيل المثال المقرئ محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد الأموي المعروف بابن العطار (399 هـ/ 1008 م) الذي سمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة في عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر⁽³⁾ ويقول ابن بشكوال⁽⁴⁾ إن الحاجب المظفر بن ابي عامر نقل الفقيه المقرئ ابو محمد مكي بن ابي طالب (ت 437هـ/ 1045 م) من مسجد النخيلة في قرطبة الى مسجد الزاهرة.

وبهذا يمكن القول ان قرطبة وضواحيها كان فيها ثلاث مساجد جامعة

(1) النباهي، المصدر السابق، ص77؛ محمد عبد الوهاب خلاف، القضاء في قرطبة الإسلامية، مجلة المناهل، العدد 31، الرباط، وزارة الشؤون الثقافية، 1984، ص302.

(2) نزهة المشتاق، ص208.

(3) ابن بشكواك، المصدر السابق: 2/ 485.

(4) الصلة، 2/ 633.

رئيسة طوال القرن الرابع الهجري هي قرطبة والزهاء والزاهرة، وهذا يعكس التوسع العمراني والازدحام السكاني الذي شهدته المدينة ودور الدولة في تلبية حاجة المجتمع و متطلباته.

ثانياً: المساجد العامة

وهي تلك المساجد التي بناها العلماء والزهاد والأتقياء والصالحين وأصحاب البر والاحسان في المجتمع الأندلسي. وتعتبر كتب التراجم الأندلسية خير معين لذكر هذه المساجد وأصحابها، وكان الدافع وراء بناء المساجد وتعميرها هو اقتداء بما ورد في الكتاب والسنة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾⁽¹⁾، وقيل في فضل بناء المساجد كما ورد في الحديث النبوي الشريف قوله (ﷺ) «لا من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة»⁽²⁾.

كذلك كان أقبال أهل الأندلس على بناء المساجد لأهتمامهم بالعلوم الشرعية وأعمال البر والإحسان حيث كانت المساجد ملاذاً لها⁽³⁾. ومع اتساع حجم السكان والحاجة إلى المزيد من المساجد فقد ابتنى أهل الخير عدداً كبيراً

(1) سورة الجن، آية (18).

(2) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، اعتنى به: محمد بن الجميل، القاهرة، 2002؛ 110/1؛ مسلم، المصدر السابق: 378/1؛ أبو عبد الله أحمد بن شعيب بن علي النسائي، سنن النسائي، ضبط: أحمد شمس الدين، نشر: محمد علي بيضون، لبنان، 2002، ص 120؛ وينظر: محمد إبراهيم الجناتي، المساجد وأحكامها في التشريع الإسلامي، النجف، مطبعة القضاء، 1386هـ/ 1948 م، ص 8-10.

(3) الشقندي، المصدر السابق، ص 52؛ ابن عبدون، المصدر السابق، ص 27؛ الحميري، المصدر السابق، ص 33.

منها⁽¹⁾، حتى ان الارقام التي تذكرها بعض المصادر وان كان فيها بعض المبالغة أحياناً فهي تؤكد ظاهرة الاندفاع وحب الخير والعمل في هذا الاتجاه أيضاً، فظهرت المساجد في كل رقعة من قرطبة وضواحيها، ففي كل ربض او قرية كان هناك مسجد أو أكثر، ولم تخلوا حتى المقابر من المساجد⁽²⁾.

واهتم أهل الأندلس من الخاصة والعامة في هذا المجال، فقد أسهم الخلفاء والأمراء وكبار موظفي الدولة ومن مختلف فئات المجتمع الأندلسي من العلماء وغيرهم في بناء عدد كبير من المساجد داخل قرطبة وضواحيها⁽³⁾.

وتواجهنا في دراسة المساجد العامة في قرطبة وضواحيها أمران:

الأول: يتعلق بأعداد المساجد المختلفة تقديراتها بين الكتاب والمؤرخين ونلاحظ أنقسام هؤلاء المؤرخين حول أعدادها الى قسمين القسم الأول يقدم ارقاما ليست كبيرة وتبدو أكثر قبولا كما في رواية ابن حوقل⁽⁴⁾ إذ يشير الى وجود 490 مسجدا في قرطبة وضواحيها، ويؤيد هذا الرقم تقريبا كل من العذري⁽⁵⁾ والبكري⁽¹⁾ بـ 491 مسجدا.

(1) سالم، تاريخ المسلمين، ص 295؛ مصطفى، المرجع السابق: 34/2.

(2) عياض بن موسى بن عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن شريفة، المغرب، مطبعة الفضالة، 1968: 114/4؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 304/1؛ ابن الابار، التكملة: 345/1.

(3) ابن بشكوال، المصدر السابق: 249/1؛ ابن الابار، إعلام نساء الاندلس مستلة من كتاب التكملة، دراسة وتحقيق: منجد مصطفى بهجت، مجلة المورد، عدا، مج 19، العراق، بغداد، 1990، ص 105، 108، 109.

(4) صورة الأرض، ص 108.

(5) نصوص عن الأندلس، ص 124.

أما القسم الثاني من المؤرخين فارقامهم كبيرة وبعيدة عن الواقع منها رواية ابن حيان اذ يشير الى وجود 1600 مسجد⁽²⁾. في حين تذكر رواية ابن عذاري⁽³⁾ 3000 مسجدا. وربما يعود هذا الاختلاف الى تدخل أرقام مساجد قرطبة وضواحيها مع مساجد باقي الاندلس. أما الأرقام التي ذكرها كل من ابن غالب⁽⁴⁾ المحدد بـ 1836 ألف مسجد، وصاحب وصف جديد لقرطبة⁽⁵⁾ 13877 ألف مسجد. فيعلق على الرقم الخير السيد حسين مؤنس⁽⁶⁾ بقوله اذ ذلك وهم منه، وربما وقع في خلط مع اعداد الدور. وقد وردت هذه الرواية ايضا عند المقرئ⁽⁷⁾ بحذف الرقم الأول فيصبح الرقم عنده هو 3877 مسجدا، وهو تقدير أقل بكثير من الأول ويبدو أكثر قبولا.

أما الأمر الآخر الذي نلاحظه في دراسة المساجد العامة هو ندرة ذكر تواريخ بناءها ومواقعها أحيانا مما قد يخلط الأمر علينا بين المساجد التي تم أنشاها قبل مدة البحث، والتي إنشأت حديثا. وقد تم تذليل عدد من الصعوبات في هذا

(1) جغرافية الاندلس، ص 104؛ وينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 157.

(2) المقرئ، نفح الطيب: 67 / 2.

(3) البيان المغرب: 232 / 2.

(4) فرحة الأنفس، ص 296.

(5) وصف جديد لقرطبة، ص 169.

(6) المصدر نفسه والصحفة؛ نقلاً عن هامش رقم (1).

(7) نفح الطيب: 68 / 2.

المجال من خلال ملاحظة بعض القرائن التي تدل على حداثة بناءها وما قد يفهم من السياق.

اهتم خلفاء بني أمية في مدة البحث، وبشكل واضح في تشجيع الناس على البناء⁽¹⁾، ولاسيما في بناء المساجد حيث كان الخليفة الناصر لدين الله كلفاً بذلك⁽²⁾، فيذكر أنه في سنة (324هـ / 935م) وقع حريق في سوق قرطبة، فأحرق جميع مجالس الخط، واتصل الحريق بمسجد أبي هارون الواقع بالقرب من حوانيت الصوافين بالسوق مما أدى إلى تداعية، فأمر الخليفة الناصر بعد انجلاء الحريق بإعادة بناء هذا المسجد إلى ما كان عليه قبل الحريق، فأحسن بنيانه وأتقن صناعته⁽³⁾.

وكانت إحدى جوارى الخليفة الناصر (السيد مرجانة) التي لم يلحقها أحد من نساء الخليفة الناصر ((بصدقات افشتها وزلفات قدمتها ومساجد ابتتها وأحباس في سبيل الله وقفها))⁽⁴⁾. مما كان له الدور الكبير في بناء عدد من المساجد حيث كان أشهرها المسجد المنسوب إليها والذي يقع بالربض الغربي من قرطبة قرب دار القاضي المنذر بن سعيد البلوطي⁽⁵⁾. وكان أوسعها عمارة

(1) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 107.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 383؛ ابن خاقان، مطمع الأنفس، ص 245؛ ذكر بلاد الأندلس: 163-164.

(3) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 383.

(4) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 13.

(5) المصدر نفسه، ص 13-14؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 383، 446؛ المقري، ازهار الرياض: 2/ 295.

وأحسنها بناءاً، يتكفل بمصالحها وأحواضها وسدنتها ووفودها وقف جليل وقفته عليه وعلى غيره من مساجدها من حقولها العظيمة الوافية الغلة بطرف قرطبة الغربي وكان الإنفاق مستمر عليه على مدار السنين⁽¹⁾.

ومن المساجد العامة مسجد طاهر الذي سكن بالقرب منه طيبيا الخليفة الناصر، الطبيب أسحق، والطبيب أصبغ بن يحيى⁽²⁾. ومسجد أبان الذي كان أمامه الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن معاوية المولود سنة (313هـ/925م) وسكن بمقبرة مومرة⁽³⁾. ومسجد أبي علامة الذي كان بقرب باب الحديد بالربض الشرقي⁽⁴⁾، وأدب فيه المؤدب عبد الله بن نصر الصوفي إلى أن توفي سنة (315هـ/927م)⁽⁵⁾، كما سكن الإمام عبد الله بن سليمان بن وليد بن طالب بن عبيدة الجذامي المولود سنة (321هـ/933م) بالقناطر وكان إماماً بمسجد القلاسين⁽⁶⁾.

وفي داخل قرطبة وعند مسجد الزجاجين، كان يسكن المحدث يحيى بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري المولود سنة (322هـ/933م)⁽⁷⁾، كما بنى قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة فيها أحمد بن بقي بن مخلد (ت

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 13-14.

(2) ابن حجل، المصدر السابق، ص 97، 108.

(3) ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/496.

(4) المصدر نفسه: 2/334؛ خلاف، قرطبة الإسلامية، ص 49.

(5) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/262.

(6) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/248.

(7) المصدر نفسه: 2/661.

324هـ/ 935م) مسجدا له فيها⁽¹⁾. ومسجد غالب إمامه كان المقرئ عبد الله بن خلف بن عطية الأزدي المولود سنة (327هـ/ 938م) وكان يقع بزقاق الشبلاري بالربض الشرقي من قرطبة⁽²⁾. ومسجد لوا المعروف بمسجد الزيتون الذي يقع شمال قرطبة وكان يقعد الشروط فيه الامام عبد الملك بن أسد بن عبد الملك اللخمي المولود سنة (330هـ/ 941م)⁽³⁾. كما سكن الأمام احمد بن عبد الله بن أيوب بن سليمان بن احمد بن محمد الذهبي المولود سنة (333هـ/ 944م) عند مسجد فخر بقرطبة الواقع بالربض الغربي من قرطبة⁽⁴⁾ وسكن المحدث نعمان بن عاصم بن فدون الأموي المولود سنة (333هـ/ 944م) في مسجد حلم بقرطبة⁽⁵⁾. ويشير المحدث احمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله التاهرتي (ت 395هـ/ 1004م) أنه قدم قرطبة وبداء بالاسماع بمسجد سريج سنة (334هـ/ 945م)⁽⁶⁾. وبغدير ثعلبة في قرطبة يقع مسجد مكرم الذي أدب فيه المقرئ اصبع بن ناصح الذي أتخذ الخليفة الناصر مؤدبا لأبنة المغيرة، كما كان يؤدب العامة في المسجد المذكور⁽⁷⁾. وارتاد هذا المسجد المحدث احمد بن زكريا بن عبد الكريم ابن علي المصري المولود سنة (340هـ/ 951م) للصلاة فيه عندما

(1) الخشي، اخبار الفقهاء، ص 20.

(2) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 248؛ وينظر: خلاف، قرطبة الإسلامية، ص 50.

(3) ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 357.

(4) المصدر نفسه: 1/ 18.

(5) المصدر نفسه: 2/ 639.

(6) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 84.

(7) ابن الابار، التكملة: 1/ 205.

سكن قرطبة⁽¹⁾. وبمسجد ياسر الواقع بالربض الغربي كان مسكن وصلاة المحدث محمد بن احمد بن اليسع بن محمود الانصاري سنة (345هـ/ 956م)⁽²⁾. كما يقع مسجد الأمير بمقبرة العباس بالربض الشرقي من قرطبة والذي كان يصلي فيه المحدث عبد الله بن سعيد بن خيرون بن محارب المعروف بابن المحتشم (ت 403هـ/ 1012م)⁽³⁾. وإلى الطريق الأخذ إلى مدينة الزهراء بقرطبة بقرب منية الخياطين كان يؤدب الزاهد أبو اسحاق الريي بمسجد هناك ويتعبد فيه⁽⁴⁾.

وهناك إشارة إلى مسجد يعود إلى (مزنة) أم الخليفة الحكم المستنصر يقع بالربض الجوفي من قرطبة، وكان إمامه الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري الزهراوي (ت 600هـ/ 1203م)⁽⁵⁾. وعلى الرغم من بعد سنة الوفاة للشخصية المذكورة إلا أن اسم المسجد يعود إلى فترة حكم الخليفة الحكم المستنصر أو قبله ومن الممكن أن يكون هذا المسجد قائماً إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

ومن المساجد الأخرى مسجد الوزير عبد الله بن عيسى بن ادريس المكنى أبا عثمان (ت 352هـ/ 963م)⁽⁶⁾. كما بنى الزاهد احمد بن عفيف بن عبد الله بن مريوال بن جراح مسجداً بجوانيت الريحاني بالربض الغربي من قرطبة وعلم فيه

(1) ابن بشكوال، المصدر السابق: 84 / 1.

(2) المصدر نفسه: 496 / 2؛ وينظر: خلاف، قرطبة الإسلامية، ص 49.

(3) ابن بشكوال، المصدر السابق: 259 / 1.

(4) ابن الأبار، التكملة: 193 / 1.

(5) ابن الأبار، التكملة: 876 / 2.

(6) ابن الفرضي، المصدر السابق: 294 / 1.

القرآن وكان بعض الناس فيه، ويذكر أنه بدء بالاسماع سنة (359هـ / 969م)⁽¹⁾ وتوفي سنة (420هـ / 1029م)⁽²⁾.

ومسجد المؤمن الذي يقع بمقبرة الرصافة والذي دفن فيه العالم المحدث يحيى بن مالك بن عائذ بن كيسان سنة (375هـ / 985م)⁽³⁾. أما مسجد مهران فكان يصلي فيه المقرئ محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد (ت 930هـ / 999م)⁽⁴⁾. وبمسجد النخلة بالرقاقين عند باب العطارين بالربض الغربي بقرطبة نزل المقرئ مكي بن ابي طالب (ت 437هـ / 1045م) عندما قدم قرطبة من القيروان سنة (393هـ / 1002م) وأقرأ به⁽⁵⁾. ويقع مسجد ابن طوريل بالربض الغربي من قرطبة وجلس فيه للاسماع الإمام المحدث احمد بن محمد بن علي بن شريعة اللخمي (ت 396هـ / 1005م)⁽⁶⁾.

ومن المساجد الأخرى مسجد القاضي عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس (ت 402هـ / 1011م) وكان يملئ الحديث على الناس في مسجده المذكور الذي بناه وعاش فترة الدولة العامرية وتولى قضاء الجماعة سنة

(1) ابن بشكوال، المصدر السابق: 185 / 1.

(2) المصدر نفسه: 38 / 1.

(3) ابن الفرضي، المصدر السابق: 192 / 2.

(4) ابن بشكوال، المصدر السابق: 499 / 2.

(5) المصدر نفسه: 633 / 2؛ ابو العباس شمس الدين بن خلكان، وفيات الاعيان وأبناء أبناء الزمان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، اعد فهارسه: رياض عبد الله عبد الهادي، بيروت، دار احياء التراث، 1997: 139 / 3.

(6) ابن بشكوال، المصدر السابق: 12 / 1.

(396هـ / 1005م)⁽¹⁾. ومسجد رحلة الشتاء والصيف فكان يقع في مقبرة مرمرة سكن عنده المحدث أحمد بن محمد بن أحمد بن سيد أبيه بن نوفل (ت 398هـ / 1007م)⁽²⁾.

كما بنى المقرئ أحمد بن وليد بن هشام بن أبي المفوز مسجدا له كان يقرأ فيه إلى أن توفي سنة (399هـ / 1008م) وكانت سكناه بمقبرة أبي العباس بزقاق الشبلاري⁽³⁾، وكان مسجد الأمير هشام بن عبد الرحمن يصلي فيه الأديب المحدث عبد الله بن محمد بن نصر بن أبيض (ت 399هـ / 1008م) الواقع بزقاق دحيم بمقبرة أبي العباس بالربض الشرقي من قرطبة⁽⁴⁾ وبنى الإمام يوسف بن خلف بن سفيان الغاني المكتب (ت 400هـ / 1009م) مسجدا يعلم القرآن فيه بنفسه⁽⁵⁾.

ومن المساجد الأخرى مسجد متعة الواقع شمال مدينة قرطبة⁽⁶⁾. ويتعبد فيه المحدث الزاهد خلف بن علي بن ناصر بن منصور البلوي (ت 400هـ / 1009م)⁽⁷⁾. ومسجد فائق بالربض الشرقي من قرطبة⁽⁸⁾، وارتاد

(1) ابن بشكوال، المصدر السابق: 310 / 1.

(2) المصدر نفسه: 13 / 1.

(3) المصدر نفسه: 15 / 1.

(4) المصدر نفسه: 249 / 1.

(5) المصدر نفسه: 275 / 2.

(6) أبو بكر بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، 1973، ص 290؛ خلاف، قرطبة الإسلامية، ص 50.

(7) ابن بشكوال، المصدر السابق: 177 / 1.

(8) المصدر نفسه: 334 / 2.

ابن حزم الاندلسي (ت 456هـ / 1063م) مسجد القمري بالجانب الغربي من قرطبة لسماع الحديث سنة (401هـ / 1010م)⁽¹⁾. وتردد الزاهد ابو سلمة الزاهد ابو سلمة الزاهري (ت 403هـ / 1012م) مسجد عين طار الذي يقع داخل مدينة قرطبة للتعبد والصلاة⁽²⁾. وكان يؤذن في مسجده بقرطبة القاضي احمد بن محمد بن مبشر الى ان توفي سنة (403هـ / 1012م)⁽³⁾. وبمسجد الليث بالزقاق الكبير كانت صلاة الامام راشد بن إبراهيم بن عبد الله بن راشد (ت 404هـ / 1013م)⁽⁴⁾. ومسجد سعيد بن عامر فكان إمامه المحدث سليمان بن بيطير بن سليمان (ت 404هـ / 1013م) وكان هذا المسجد بسويقة القومس بقرطبة⁽⁵⁾. كما بنى قاضي الجماعة بقرطبة يحيى بن عبد الرحمن بن وافد اللخمي مسجدا يؤذن ويقيم الصلاة فيه الى ان توفي سنة (404هـ / 1013م)⁽⁶⁾. أما مسجد اليتم فكان يقع بالنشارين بالربض الشرقي وهو أحد احياء قرطبة وكان امام هذا المسجد الشيخ الراوي خلف بن يحيى بن غيث الفهري (ت 405هـ / 1014م)، كما كان له مسجد خاص به يختم فيه القرآن ثلاث ختمات فقط في رمضان من كل سنة⁽⁷⁾.

(1) ابن حزم، طوق الحمامة في الالف والالاف، تحقيق: بشير محمد عيون، دمشق، دار البيان، 2002، ص 66.

(2) ابن بشكوال، المصدر السابق: 232 / 1.

(3) ابن بشكوال، المصدر السابق: 27 / 1.

(4) المصدر نفسه: 186 / 1.

(5) المصدر نفسه: 197 / 1.

(6) المصدر نفسه: 663 / 2.

(7) المصدر نفسه: 163 / 1.

وبربض الزجاجة⁽¹⁾ كان يقع مسجد منظر الذي يتعبد فيه القاضي سليمان بن خلف بن عمرو بن عبد ربه (ت 408 هـ / 1017م)⁽²⁾، أما مسجد ابن وضاح فكان يصلي فيه الفقيه عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن سهل بن حويل (ت 409 هـ / 1018م) وهو الذي قدمه بن فطيس إلى مجلس الشورى سنة (395 هـ / 1004م) وكان سكناه بجومة القوق بمينة جعفر⁽³⁾. كما كان الشيخ المقرئ أحمد بن قاسم بن عيسى بن فرج اللخمي (ت 410 هـ / 1019م) ملتزماً في مسجد الغازي بقرطبة لإقراء الناس عن شيوخ لقيهم بالمشرق⁽⁴⁾.

والى جانب هذه المساجد المذكورة اتخذ البعض مساكنهم كمساجد في قرطبة للتعبد والتعليم، ومن أمثلة هؤلاء النساء أخت القاضي المنذر بن سعيد البلوطي، وتدعى أم الحسن وكانت مقيمة في فحص البلوط وكان يقصدها إلى مسجدها صالح النساء للذكر والتفقه في الدين ودراسة سير الغابرين⁽⁵⁾.

أما حجم وشكل هذه المساجد فلا تسعفنا المصادر التاريخية بالإشارة إلى ذكر شيء من هذا القبيل إلا أن مسجد السيدة الكبرى (مرجانة زوجة الخليفة

(1) الزجاجة: تسمية أطلقت على سلالة محمد بن سعيد الكاتب الوزير وهم سلالة مشهورة بقرطبة كان لهم أدوار متميزة في قرطبة بكافة العصور، ففي عصر الخلافة اتخذ الخليفة الناصر منهم وزيراً وصاحباً لخطة العرض، وسمي ربض بقرطبة باسم هذه السلالة ويقع بين باب عامر وباب اليهود، فضلاً عن تسمية مقبرة باسمهم ومنتزه مشهور لهم كان يعرف بـ (حير الزجالي). ينظر: ابن حيان، تحقيق: محمود علي مكي، ص 176؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 137.

(2) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 198.

(3) المصدر نفسه: 1/ 316. وينظر: خارطة رقم (2)

(4) المصدر نفسه: 1/ 32.

(5) ابن الأبار، أعلام النساء، ص 114.

الناصر) بالربض الغربي كان أوسع مساجد قرطبة بناءً وأحسنها عمارة حيث كان يعمل فيه عدد كبير من السدنة والعاملين عليه مما يدل على سعة مساحته⁽¹⁾. وزينت هذه المساجد شوارع وأرباض قرطبة آنذاك بجمالها وعمارتها ولم يتبقى منها اليوم سوى ثلاث مآذن هي اليوم أبراج كنائس في سان خوان وسانتا كلارا وسانت ياجو⁽²⁾.

وفضلاً عن المساجد المذكورة اعتاد الناس بقرطبة على إقامة بعض صلواتهم في ساحات فسيحة يجتمع فيها عدد كبير من الناس وعرفت هذه الأماكن بالمصلى أو المصليات وكانت تقام فيها صلاة الاستسقاء أيام القحط والجفاف وصلاة العيدين⁽³⁾. واتخذوا لذلك عدة أماكن للصلاة منها مصلى المصارة الذي يقع بفحص المصارة بغربي قرطبة ويعرف بالمصلى العتيق واهتم الخليفة الناصر بهذا المصلى حيث أقام له محراباً جديداً سنة (306هـ/ 918م) وبناه بالصخر والشيد⁽⁴⁾ وأتقن في بنيانه وإحكامه⁽⁵⁾.

(1) ابن حيان، تحقيق شاليتا، ص 13-14.

(2) سالم، تاريخ المسلمين، ص 310.

(3) ليفي بروقنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: لطفي عبد البديع، القاهرة، 1956، ص 80-81؛ سالم، قرطبة: 1/ 207.

(4) الشيد: مادة تطلق بها الجدران ويذكر بأنها كل ما طلي به الحائط من حصى أو البلاط وتشيد البناء هو أحكامه، والبناء المشيد هو المعمول بمادة الشيد. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 2/ 392.

(5) Leve Provencal , Emilio Garcia Gomes , una cronica Anomima De Abd al-Rahman III AL-Nasir , Madrid , Granada , 1950 , P. 57

والى جانب هذا المصلى كان هناك مصلى آخر اقيم بربض شقندة وعرف بمصلى الربض وبه برز سنة (302هـ/ 914م) صاحب الصلاة بقرطبة الفقيه محمد بن عامر بن لبابة (ت 314هـ/ 926م)⁽¹⁾، واستسقى بالناس خمس مرات في أيام مختلفة وذلك عندما توالى القحط وعم الجفاف في هذه السنة⁽²⁾.

وفي اخر عهد الخليفة الناصر قحط الناس فأمر القاضي المنذر بن سعيد البلوطي بالبروز والاستسقاء واجتمع الناس حتى غصت بهم ساحة المصلى⁽³⁾. ومن منشآت العمارة الدينية المستحدثة في القرن الرابع الهجري دار الصدقة التي ابتناها الخليفة الحكم المستنصر بغربي المسجد الجامع بقرطبة وذلك لتفريق الصدقات على الفقراء والمحتاجين في قرطبة⁽⁴⁾. وهذا يدل على مدى التكافل الاجتماعي في الأندلس واهتمام الحكومة المتواصل بالرعية والمساعدة على تحسين أوضاعهم.

وهكذا نرى ان العمارة الدينية أخذت اهتماماً واسعاً من الدولة والرعية على حد سواء في قرطبة. ويظهر الكم الكبير من العماثر الدينية على مدى الاهتمام والرعاية من الطرفين فكان دالة على العصر واهتماماته.

(1) عن ترجمته ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص76؛ الضبي، المصدر السابق، ص101.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 166؛ سالم، قرطبة: 1/ 207.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص304-305؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 90-91؛ سالم، قرطبة: 208/1.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص19؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 240؛ المقرئ، نفح الطيب: 79/2.

الفصل الثالث

العمارة العسكرية

الفصل الثالث العمارة العسكرية

يعتبر تحصين المدينة في الإسلام من مكونات إقامة المدينة الإسلامية والعنصر المهم في استتباب الأمن، والركيزة الأساسية لنشأة المجتمع الحضري المستقر ويعكس ذلك بوضوح دعوة أبي الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) لربه ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾⁽¹⁾ فسبق الدعاء بالأمان الدعوة بطلب الرزق مما يؤكد أهمية هذا العنصر في تكوين المدينة عند المسلمين⁽²⁾.

وكان السبب في تكوين التحصينات العسكرية في المدينة لحمايتها إما من الأخطار الخارجية المتمثلة بالغزوات التي كانت تتعرض لها المدينة⁽³⁾ أو الأخطار الداخلية المتمثلة بالفتن والاضطرابات الداخلية⁽⁴⁾ او عمليات السلب والنهب الداخلي في المدينة نفسها حيث اشتهر الشطار في الأندلس بكثرة شرهم وأعبائهم في أمور التلصص فكان لابد من حماية السكان من هذه الأخطار⁽⁵⁾.

واعتبر الإسلام بناء الحصون وإقامة الأسوار والأبراج والقلاع والحصون

(1) سورة البقرة، الآية (126).

(2) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، الكويت، بصدرها المجلس الوطني للفنون والآداب، 1988، ص 147.

(3) المصدر نفسه، ص 147.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 85 / 3.

(5) المقرئ (برواية ابن سعيد)، نفح الطيب: 180 / 1؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص 305.

من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض، وعملت الدولة على وقف الاحباس عليها لترميمها وتقويتها وإلزام العامة على المشاركة في ذلك ما دامت تحقق مصالحهم خصوصاً إذا احتاجت الدولة لذلك فضلاً عن تكفل الدولة بنفسها بتحصين المدن وتقوية أسوارها⁽¹⁾.

ومن الملاحظ انه كلما ازداد الخطر على المدينة كثرت وسائل الدفاع عدة وعددا ولذلك كانت تحصينات الثغور تحصينات حربية كاملة كما في مدن الثغور القريبة من حدود الزوم والمدن الساحلية في الأندلس بينما المدن الداخلية كانت تصفف فيها التصحينات ولا تظهر أحيانا إلا في أوقات الفتن والحروب⁽²⁾.

وكان تخطيط المدن الإسلامية له اثر كبير على تحصينها، فقرطبة كانت من المدن التي امتد تخطيطها خارج أسوارها بحيث شكلت ارباضاً تحيط بها فبنيت لها أسواراً خاصة بها وكانت تربطها بأسوار المدينة سبل اتصال كالطرق والأبواب وبذلك شكلت حولها طوقاً أمنياً واسعاً للدفاع عن المدينة⁽³⁾.

وبحسب النصوص المتوفرة لدينا، لم يظهر لي أن مدينة قرطبة كان لها بناءاً

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 388-389؛ وينظر: عثمان، المرجع السابق، ص 135-136.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 99/3؛ المقري، نفح الطيب: 11/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 171/1.

(3) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 103؛ المقري، نفح الطيب: 11/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 171/1؛ عثمان، المرجع السابق، ص 147.

خاصاً للربط، ربما لكونها مدينة داخلية لا تحتاج لذلك واقتصر ظهور الربط على مناطق الثغور والمدن القريبة من الحدود الشمالية للأندلس أي مناطق الجهاد⁽¹⁾.

وكان اهتمام خلفاء الأمويين في الأندلس بتحصين قرطبة بالدرجة الأساس باعتبارها مقراً وعاصمة لدولتهم⁽²⁾. ولما تولى الخليفة الناصر مهام الحكم كانت الأندلس كما وصفها المؤرخون نار تحترق⁽³⁾، مما دفعه الى الاهتمام بتحصين الأندلس عامة وقرطبة خاصة فكان له عمال مختصين في بناء الحصون من مهندسين أمثال محمد بن وليد بن فشتيق وهو كبير المهندسين في قرطبة بعصر الخليفة الناصر وعدد كبير من النجارين والبنائين ولهم من الآلات الخاصة ببناء الحصون والمعقل ليس فقط بقرطبة بل بكافة بلاد الأندلس⁽⁴⁾.

أما الخليفة الحكم المستنصر فقد أهتم بالتحصين وذلك بإقامة العديد من

(1) ومنها مدينة سالم التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر عام (335هـ/946م) بالثغر الأوسط الشرقي المواجه لقشتالة شمال الأندلس وتعرض هذه البلاد للكثير من الحروب التي شنها النصارى الأسباب عليها. فأحكم الخليفة الناصر بناءها، ونقل إليها البناءون وانتشرت فيها الربط. ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق: 2/214؛ الحميري، المصدر السابق، ص 483؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب، ص 320.

(2) ابن بسام، المصدر السابق: 1/33؛ المراكش، المصدر السابق، ص 31؛ ابن شباط، المصدر السابق، ص 141.

(3) ابن القواطية، المصدر السابق، ص 131-132؛ أخبار مجموعة، ص 153؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/157-158؛ النويري، المصدر السابق: 22/115.

(4) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 388-389.

الحصون في كافة الأندلس وفي قرطبة خاصة، فقد قام حصن سمي بحصن عقبة البقر وسيأتي ذكره لاحقاً⁽¹⁾.

كما عمل الحاجب المنصور بن أبي عامر على تحصين قرطبة وذلك من خلال تحصين أسوارها وأبوابها ونشر الحراس والآلات حولها وذلك لدفع الأخطار عن العاصمة قرطبة⁽²⁾.

ويشتمل هذا النوع من العمارة في قرطبة على الحصون وما يرافقها من حفر للخنادق والأسوار المحيطة بالمدن والأبواب والأبراج وايضا إنشاء القلاع او المدن الملكية، وما أدخل عليها من تحسينات تدعم النظم الدفاعية للمدينة.

وتحتفظ المدن الأندلسية ومنها قرطبة في وقتنا الحاضر على تراث ضخم من الأسوار والقلاع الإسلامية التي تنطق حقا بالدور الكبير الذي قامت به، كما تعبر عن الجهاد المرير الذي قام به المسلمين في الأندلس للحفاظ على وطنهم وأمنهم وسلامة بلادهم.

أولا: الاقاليم والحصون

تعتبر قرطبة مدينة محصنة جغرافيا بحكم موقعها على سهل مرتفع، يتراوح ارتفاعه ما بين 100 - 123 متر فوق مستوى سطح البحر في سفح جبل العروس. وهو أحد جبال سيرا مورينا شمال قرطبة⁽³⁾.

(1) سالم، تاريخ المسلمين، ص414؛ النقيب، المرجع السابق، ص176.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 275، 278.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص296؛ الادريس، المصدر السابق، ص208؛ الحميري، المصدر السابق، ص456؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 15؛ عنان، الآثار الاندلسية، ص18.

ولغرض إيضاح مواقع الأقاليم والحصون واعدادها لا بد من التنكير بالحدود الجغرافية لقرطبة وضواحيها. فهي تقع من جهة الجنوب على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير⁽¹⁾، ويحدها شرقا مدينة جيان ومن الغرب مدينة أشبيلية⁽²⁾، ومن الشمال جبال سرامورينا⁽³⁾. وكان مجرى نهر الوادي الكبير متعرجاً يجعل المسالك الى قرطبة أكثر مناعة مما يعين الدفاع عنه⁽⁴⁾.

وكانت تتبع قرطبة العديد من الاقاليم التي شكلت درع حصين لحماية قرطبة عسكرياً أثناء التعرض للخطر. فاعبرت قرطبة مدينة محصنة جغرافياً.

أما مصطلح الاقليم فليس هنالك اتفاق بين الكتاب على وصفه، وهو اصطلاح يطلق على كل قرية كبيرة جدا مع ما يحيطها من مناطق. وقد يبدو أكبر من ذلك بكثير فبحسب وصف العذري⁽⁵⁾، أن لمدينة سرقطة على سبيل المثال

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص 296؛ وصف جديد لقرطبة ن ص 166؛ المقري، نفح الطيب: 5/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 15/1.

(2) المراكش، المصدر السابق، ص 30؛ ابو الفداء، المصدر السابق، ص 175 - 177؛ الحميري، المصدر السابق، ص 458؛ الفلقشندي، المصدر السابق: 219/5.

(3) الادريسي، المصدر السابق، ص 208؛ الحميري، المصدر السابق، ص 456.

(4) الجيوسي، المرجع السابق: 184/2.

(5) نصوص عن الأندلس، ص 23 - 24، 96؛ الحميري، المصدر السابق، ص 101؛ وينظر: طه، الفتح والاستقرار، ص 204؛ وبحسب رواية ياقوت الحموي عن الاقاليم في الاندلس يقول: ((فانهم يسمون كل قرية كبيرة جامعة اقليما، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح الا خواصهم.. فاذا قال الاندلسي انا من اقليم كذا فانما يعني بلدة او رستاقا بعينه)). ينظر، معجم البلدان: 39/1.

أقاليم تمتد أربعين ميلا. وهكذا يظهر أن الأقاليم تختلف في حدودها ومساحتها من مكان لآخر⁽¹⁾.

وبالنسبة لمدينة قرطبة فقد احتوت على العديد من الاقاليم، وكان عددها ما يقارب الـ 15 إقليما⁽²⁾ ويحتوي كل واحد منها على العديد من القرى المحصنة المحيطة بها وهذه الاقاليم هي حسب رواية صاحب كتاب وصف جديد لقرطبة⁽³⁾. اقليم المدور ويحوي على 90 قرية، واطليم القصب 87 قرية واطليم لوره 67 قرية، اقليم الصدف 28 قرية، اقليم بني مسرة 17 قرية، اقليم منياية 26 قرية، اقليم كرتش 60 قرية واطليم القشتل 48 قرية واطليم الهزهاز 73 قرية واطليم الملاحة 84 قرية واطليم الشعر 90 قرية واطليم السهلة 102 قرية و اقليم اولية 86 قرية اما اقليم الوادي فله 11 قرية وأخيرا اقليم مريم 113 قرية.

في حين يشير المقدسي⁽⁴⁾ الى ان لقرطبة 13 إقليما وهي: ارجونة، قسطلة، شوذر، مارتش، قبنانش، فج ابن لقيط، بلاط مروان، حصن بلكونة، الشنيدة، وادي عبد الله، فريش، المائدة، جيان. وكل واحدة من هذه الاقاليم تتبعها العديد من القرى، وكانت محصنة حيث اعتبرت فريش درع قرطبة الحصين، وهي تقوم

ويعلق حسين مؤنس، فجر الاندلس، ص 579 على قول ياقوت بقوله وهذا تعريف واضح يدل على ان الاندلسيين يعنون بالاقليم القرية الكبيرة او البلدة وحوزها المتصل بها طبعاً فالاقليم في الاندلس بلدة تتبعها أرض وفي المشرق أرض تتبعها بلاد.

(1) المرجع نفسه، ص 204.

(2) العذري، المصدر السابق، ص 122؛ وصف جديد لقرطبة، ص 180؛ ذكر بلاد الاندلس: 33-35، 43-45.

(3) مؤلف مجهول، ص 180-181.

(4) احسن التقاسيم، ص 223-224.

الى الشمال الغربي من العاصمة قرطبة⁽¹⁾. وقد ذكر ابن غالب⁽²⁾ اسماء خمسة من اقاليم هي ((إقليم لواتة وإقليم المرج وإقليم السند وإقليم قسطانية وإقليم موالى موسى)).

وعلى الرغم من اختلاف الكتاب في ذكر أعدادها ومحتوياتها من القرى والحصون والأبراج، فإن أهميتها في العمارة العسكرية تنبع من كون ان مساحتها الكبيرة وتحصيناتها المهمة شكلت بعضها كما يقول حسين مؤنس⁽³⁾ ((درع قرطبة [فريش] فهي بأقاليمها الواسعة تقوم الى الشمال الغربي من العاصمة، وتمتد أقاليمها شمالها وشمال شرقها.. فهي اذن في عداد الثغور، ولهذا ظل حكمها حكم الثغور واعتبرت مدينة)).

وكما حصل تباين في تعريف الاقليم بين الكتاب، فكذلك الحال فيما يخص مصطلح الحصن، الذي يراه البعض انه المدينة المحصنة التي تقع على مكان مرتفع وكان لها حوزها الخاص بها. وربما وجدت حصون أخرى في مواقع منخفضة. وذكرت حصونا لا تشبه المثالين السابقين وهي مدن محصنة كان لها قرى عديدة ومصادر طبيعية غنية. وسميت هذه بالمدينة تارة وبالحصن تارة أخرى. وربما كانت لبعض الحصون ولايات وقرى. وأخيرا هناك حصون أخرى أساسها قواعد رومانية او قوطية وتحتوي على العديد من الاثار. وعندما يتوسع الحصن ويصبح أكبر حجما يطلق عليه اسم القلعة⁽⁴⁾.

(1) مؤنس، فجر الاندلس، ص 569.

(2) فرحة الأنفس، ص 290.

(3) فجر الاندلس، ص 569.

(4) طه، الفتح والاستقرار، ص 205 - 206.

وبحسب رواية اوردها لنا صاحب كتاب وصف جديد لقرطبة⁽¹⁾ كان فيها 148 حصناً منتشرة في أقاليمها ومنها على سبيل المثال: إقليم القصب 7 حصون، وإقليم لورمر 3 حصون، وإقليم الصدف 8 حصون، وإقليم بني مسرة 13 حصناً، وإقليم منيانة 4 حصون، وإقليم كرتش 10 حصون، وفي إقليم القشتل 3 حصون، وإقليم الشعر 20 حصناً، وإقليم السهلة 26 حصناً أما إقليم أولية فله 6 حصون وإقليم الوادي 17 حصناً، وأخيراً إقليم مريم فله 12 حصناً.

والى جانب هذه الحصون وردت في كتب التراجم والجغرافين أسماء أخرى من الحصون المنتشرة حول قرطبة دون تحديد تاريخ بناءها فربما بعضها يعود تاريخه الى مدة سابقة للبحث ولا يستبعد تعميرها وترميمها لاحقاً، والقسم الآخر محدث في القرن الرابع الهجري.

- حصن مراد: الذي يقع غرب مدينة قرطبة، وسمى بمراد نسبة الى بني مراد الذين سكنوا في هذه المنطقة من قرطبة⁽²⁾، وهو حصن مشهور ومهم في قرطبة⁽³⁾ وينسب إليه الشاعر والأديب عبد الملك بن سعيد الخازن⁽⁴⁾.

- حصن المدور: يقع هذا الحصن على جبل يبلغ ارتفاعه 155 متراً في الطريق

(1) مؤلف مجهول، ص 180-181.

(2) ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 232؛ القلقشندي، المصدر السابق: 5/ 219؛ وينظر: طه، الفتح والاستقرار، ص 227؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص 478.

(3) الادريس، المصدر السابق، ص 207؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 92؛ ابو الفداء، المصدر السابق، ص 175؛ القلقشندي، المصدر السابق: 5/ 219.

(4) وينظر في ترجمة: الحميدي، المصدر السابق، ص 285؛ الضبي، المصدر السابق، ص 367.

ما بين قرطبة واشبيلية غربي قرطبة وبالتحديد في الجزء الجنوبي من فحص البلوط⁽¹⁾. ويعتبر هذا الحصن من الحصون المنيعة حيث يحتوي على أسوار وأبراج ضخمة ومجهزة بكافة الآلات والتجهيزات العسكرية⁽²⁾. كما امتاز أهل هذا الحصن بالشجاعة والصلابة في محاربة الأعداء والغرباء⁽³⁾.

- حصن غافق: وهو حصن آخر من حصون قرطبة يقع الى الشمال الغربي من قرطبة، على نحو مئة وأربع كيلومترات من قرطبة في المنطقة السهلية الحصنية لفحص البلوط⁽⁴⁾. وهو حصن منيع وأهله أهل حزم وجلد وعزم ولهم العديد من المواقف مع الاعداء الذين كانوا يغيرون على اراضيهم⁽⁵⁾. وينسب إليها الغافقيون الذين يعود نسبهم الى عبد الرحمن الغافقي والي الاندلي (112هـ/ 730م - 114هـ/ 732م)⁽⁶⁾.

- حصن بطروش: حصن بالقرب من فحص البلوط، وهو حصن كثير

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص 207؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 77/5؛ القلقشندي، المصدر السابق: 219/5؛ وينظر: سالم، العمارة الحربية بالأندلس، مقال منشور بدائرة معارف الشعب، عدد 64، القاهرة، مطابع الشعب، 1959، ص 159-160.

(2) الادريسي، المصدر السابق، ص 207؛ ابن الخطيب، الإحاطة: 509/1؛ القلقشندي، المصدر السابق: 219/5؛ وينظر: سالم، العمارة الحربية، ص 160.

(3) ابن سعيد، المصدر السابق: 227/1.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 183/4؛ الانصاري، المصدر السابق، ص 242؛ طه، الفتح والاستقرار، ص 220.

(5) الادريسي، المصدر السابق، ص 213؛ الحميري، المصدر السابق، ص 426-427.

(6) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 154.

العمارة حصين اهله أهل صمود ورهبة على الأعداء⁽¹⁾، وبينه وبين حصن غافق 7 أميال (11.263 كم)⁽²⁾.

- حصن مسطاسة: حصن يقع في الجوف من قرطبة من أعمال فحص البلوط وسمي باسم قبيلة من قبائل البربر⁽³⁾.

- حصن بريانة: من حصون قرطبة أيضا ذا سور من حجارة منيع حصين⁽⁴⁾.

- حصن فرنجولش: يقع في حوز فرنجولش غرب قرطبة قرب حصن المدور⁽⁵⁾.

- حصن القصير: ويقع في شرق قرطبة على نهر الوادي الكبير وله العديد من الكور التي تنسب إليه⁽⁶⁾.

- حصن بلكونة: من الحصون المهمة أيضا بقرطبة ويحيط به سور من الحجارة ويمتاز بكثرة العيون وأشجار الزيتون⁽⁷⁾.

- حصن بطروح: ويقع في الجوف من قرطبة وهو حصن من أعمال فحص البلوط⁽⁸⁾.

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص 213؛ الحميري، المصدر السابق، ص 93.

(2) الادريسي، المصدر السابق، ص 213.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/126.

(4) المقدسي، المصدر السابق، ص 233.

(5) الادريسي، المصدر السابق، ص 207؛ الحميري، المصدر السابق، ص 440.

(6) ابن سعيد، المصدر السابق: 1/226؛ القلشندي، المصدر السابق: 5/219.

(7) المقدسي، المصدر السابق، ص 234.

(8) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/447.

- حصن أبلية او المهدومة: هو أيضا من حصون قرطبة⁽¹⁾.
- حصن آبال: يقع شمال قرطبة وهو مشهور أيضا بمعدن الزئبق⁽²⁾.
- حصن لك: وهو من أعمال قلعة أوريط⁽³⁾ غرب قرطبة⁽⁴⁾.
- حصن عقبة البقر: وهو الحصن الذي يقع على الطريق الموصل بين قرطبة وفحص البلوط وهو من ما تبقى من عصر الخليفة الحكم المستنصر⁽⁵⁾.
- حصن غرماج: وهو الحصن الذي بناه قواد الخليفة الحكم المستنصر غالب بن يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون سنة (354هـ/ 965م)، ويقع في وادي دويرة غرب قرطبة. ويعتبر من الحصون الدفاعية المهمة في قرطبة⁽⁶⁾.

(1) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 294؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 303. ولم توضح المصادر موقعه بالنسبة لقرطبة.

(2) الادريسي، المصدر السابق، ص 213.

(3) قلعة أوريط: تقع في قرطبة في فحص البلوط وفيها العديد من المعادن ويتشر فيها شجر البلوط الحلو المذاق. ينظر: ابن غالب، المصدر السابق، ص 289؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 279.

(4) الانصاري، المصدر السابق، ص 242.

(5) سالم، تاريخ المسلمين، ص 414؛ النقيب، المرجع السابق، ص 176؛ زيدون، المرجع السابق، ص 340.

(6) المقرئ، نفح الطيب: 1/ 360؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص 414.

ومن الحصون الأخرى حصن الحرب⁽¹⁾ وحصن البلوط⁽²⁾ ولم يتم معرفة مواقعها بالضبط من قرطبة.

ومن خلال دراسة مواقع الحصون المارة الذكر نلاحظ إنها استقرت في جهة الغرب من قرطبة دون جهاتها الأخرى مما يشير الى ضعف في التحصين من ناحية الشرق والشمال والجنوب منها. وربما لأنها كانت محصنة جغرافيا من تلك الجهات.

ويمكن القول ان هذه الحصون وغيرها في قرطبة، شكلت خطأ دفاعياً وأمنياً للمدينة حماها من الاعداد. ويضيف بيرتون بيج⁽³⁾ ان هذه الحصون ببساطتها ودقة تناسبها تختلف من حصن لآخر في معظم الأحيان.

ثانياً: الخنادق

يعتبر الخندق بمثابة أول عائق أساس لمن يهاجم المدينة ومن المعروف أن هذه الفكرة استخدمت في عهد الرسول (ﷺ) في المدينة وذلك عندما أراد تحصينها قبيل معركة الخندق سنة (5 هـ / 626م) مع مشركي مكة، فأشار عليه الصحابي سلمان الفارسي (رضي الله عنه) ببناء خندق حول المدينة⁽⁴⁾.

(1) الانصاري، المصدر السابق، ص 242.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

(3) البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة: إبراهيم خورشيد وآخرون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981، ص 43

(4) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، ط 5، القاهرة، دار المعارف، 1960: 566/2؛ ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج

ويعد حفر الخندق حول مدينة قرطبة، تحقيقاً لتلك الغاية وكان هذا الخندق يحيط بجميع أرباض قرطبة، ويبلغ طوله حوالي 23 ميلاً (37.007 كم)⁽¹⁾. وأشار ابن حيان إلى أنه لم يتخذ في الإسلام أعظم من هذا الخندق وكان يكس كفه من جميع نواحيه أيام الحرب سلاحاً وعدة ورجالاً⁽²⁾.

وتم حفر خندق حول قصر الخلافة بقرطبة من قبل الحاجب المنصور بن أبي عامر وذلك عندما أراد تحصين قصر الخلافة لما استتب له الأمر⁽³⁾.

وفي عصر الفتنة وتحديدًا عصر الخليفة محمد بن هشام الملقب بالمهدي (17 جمادى الآخرة سنة 399هـ / 6 فبراير 1009م - 8 ذي الحجة سنة 400هـ / 23 يوليو 1010م) اتبنى خندقاً حول محلة فحص السراق بالطرف الشرقي من مدينة قرطبة وهي محلة البربر كما عمل (عام 400هـ / 1010م) على حفر خندق آخر يحيط بكافة قرطبة وأقيم وراءه سور للدفاع عن المدينة وتحصينها من الأخطار التي كانت تتعرض لها آنذاك من قبل البربر⁽⁴⁾.

وبذلك تعتبر الخنادق من الخطوط الدفاعية المهمة في قرطبة وكان بناءها مهماً للدفاع عن المدينة.

الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة النصرية، 2: 1988/215؛ وينظر: عثمان، المرجع السابق، ص 141.

(1) ابن غالب، المرجع السابق، ص 296.

(2) برواية ابن غالب، المصدر نفسه، ص 296.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 278.

(4) المصدر نفسه: 3/ 99؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 103؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 11؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 646 - 649.

ثالثاً: المدن الملكية

((وهي تلك المدن التي كان تخطيطها بتوجه أساساً لحماية الحاكم الذي يتخذها مقراً له ويظهر في هذه المدن الأثر الواضح بين تحصيناتها القوية التي اهتم ببنائها اهتماماً خاصاً لتأمين الحاكم والسلطة، وكان تخطيط شوارعها وتكويناتها الأساسية ممثلة في المسجد الجامع والقصر أو دار الإمارة والدواوين وكذلك تكويناتها الثانوية المتمثلة في المنازل الخاصة بالأعوان من القادة والجند وكذلك الأسواق والحوانيت والمرافق الفرعية الأخرى التي تكفل حياة مستقرة في هذا النوع من المدن))⁽¹⁾.

وإذا لاحظنا تخطيط مدينة قرطبة لوجدنا ان تخطيطها في عصر الخلافة كان قائماً على أساس وجود ثلاث مدن ملكية الأولى هي المدينة الوسطى أو القصبة التي كانت مركزاً مهماً لشركات الجند، كما سميت بالمدينة العتيقة⁽²⁾. وكانت هذه المدينة محصنة تحصينا كاملاً بالأسوار والأبراج والقلاع أي القصور التي تحمي الحاكم ودواوين الدولة وأموالها ومرافقها الحكومية من أي اعتداء خارجي. ويمكن الإطلاع على تفاصيل وسائل التحصين هذه في الفقرات القادمة.

وفضلاً عن تحصين المدينة الوسطى فكان القصر الخلافي الواقع الى الجنوب الغربي داخل القصبة قرطبة محصناً تحصينا كاملاً حيث كان القصر فسيحاً ذا

(1) عثمان، المرجع السابق، ص 155.

(2) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 103؛ المقرئ، نفح الطيب: 10/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 163/1.

سور حصين وابراج عالية⁽¹⁾. ويبلغ محيطه 1100 ذراع⁽²⁾. وكان سور يحتوي على أبواب محصنة وعددها ستة⁽³⁾.

كما كان القصر الخلافي يطل على فحصر السراشق الواقع الى الجنوب من نهر قرطبة بالطرق الشرقي من المدينة المخصص للفعاليات العسكرية التي يقوم بها الجند ويراقبهم الخليفة عن كثب سواء اكانوا ماضين للحرب او عائدین منها⁽⁴⁾.

كما عمل الحاجب المنصور بن ابي عامر على تحصين القصر الخلافي وذلك من خلال رفع الأسوار وحفر خندق حول القصر وذلك لتأمين وحماية الخليفة ومنع وصول الصقالبة المتآمرين ضد الحاجب⁽⁵⁾.

ويتبين لنا من خلال ذلك ان القصر الخلافي كان محصنا تحصينا عسكريا يحمي الخليفة ويعكس لنا الحس الأمني للبلاد آنذاك.

أما المدينة الثانية فكانت مدينة الزهراء التي بناها الخليفة الناصر سنة (325هـ/ 936م)، رغبة منه في إقامة مدينة ملكية خاصة به أو دارا للخلافة التي اقامها لتكون مقرا لمقابلة الوفود التي تقاطرت على قرطبة أيام الخليفة الناصر

(1) أخبار مجموعة، ص 93؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 188.

(2) العذري، المصدر السابق، ص 122 - 123؛ ذكر بلاد الاندلس، ص 32؛ المقري، نفح الطيب: 5/ 2.

(3) العذري، المصدر السابق، ص 122 - 123؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10. وسوف نتكلم عن هذه الأبواب الستة في فقرة الأبواب لاحقا.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 278.

(5) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

حيث مثل عصر مجد وازدهار لقرطبة⁽¹⁾. فعمل على تحصينها وتأمينها ليليق بمكانته ومجده. وكان بناءها قائما على أساس مدرج، حيث كان مكونا من أجزاء، الجزء الأعلى منها يضم قصر الخليفة أما الجزء الأوسط فيضم الرياض والبساتين، والجزء الثالث فكان يحوي على دور العامة والأسواق وغيرها من المرافق، وكل جزء منها كان مسورا بسور حصين⁽²⁾ فيه 300 برج⁽³⁾. وفتح فيه عدة أبواب⁽⁴⁾.

وروعي في تخطيطها نظام المدينة الكاملة لتستوعب أجهزة الحكم ورجال الحاشية والجيش. حيث اشتملت المدينة على دور خاصة بالجند وحراس الخليفة وبلغ عددهم بمدينة الزهراء فقط حين وفاة الخليفة الناصر ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين رجلا⁽⁵⁾. وعمل الخليفة الناصر على إنشاء دارا لصناعة الآلات والسلاح للحرب⁽⁶⁾ فيها وأصبحت بذلك مدينة قادرة على حماية الدولة والخليفة ومرافق الحكومة من أي مكروه.

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 213 / 2، 215، 218؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 143 / 4؛ المقرئ، نفع الطيب: 298 / 2 - 299.

(2) الادريسي، المصدر السابق، ص 212.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص 47.

(4) المقرئ، ازهار الرياض: 287 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 242 / 1.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 232 / 2؛ وينظر: عبد الواحد ذنون طه، دراسات في التاريخ الاندلسي، الموصل، مطابع جامعة الموصل، 1987، ص 45؛ ييضمون، المرجع السابق، ص 314.

(6) ابن خلدون، المصدر السابق: 144 / 4؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 438 / 2، شلي، موسوعة التاريخ: 100 / 4؛ سالم، مقالة بعنوان الاندلس، دائرة معارف الشعب، مدريد، مطابع الشعب، عدد 61، 1959، ص 28.

أما المدينة الثالثة فهي الزاهرة التي بناها الحاجب المنصور بن أبي عامر سنة (368هـ / 978م) بعد أن استطاع التحكم بشؤون الدولة والسيطرة على زمامها⁽¹⁾. وجعلها مقراً له بعد أن خاف على نفسه من أنصار الخليفة هشام المؤيد من جند وحاشية⁽²⁾، وتوسع في خطتها وبنائها وعمل على تحصينها حمايةً لنفسه، وذلك من خلال المبالغة برفع الأسوار⁽³⁾ وتوثيق الأبواب⁽⁴⁾ ومنها باب السباع والجنان⁽⁵⁾ وباب الفتح⁽⁶⁾.

كما نقل إليها الدواوين وأموال الدولة وشحنها بذلك بالأسلحة وحصنها تحصيناً كاملاً للحفاظ على أمنها. كما أقطع ما حولها من الأراضي لقواده وحاشيته وبذلك ضمن حمايته من الأعداء⁽⁷⁾.

وهكذا يتضح لنا أن بناء هذه المرافق المدنية (المدن) لا تخلو من وسائل التحصين، مما يدل على الحس الأمني العالي للدولة ليس فقط على مستوى الأمن الداخلي وإنما حتى الخارجي وكان الدولة صممت لنفسها أبنية محصنة لتواجه بها الاطماع والاختراقات بكل ألوانها ومصادرها.

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 275 / 2؛ الحميري، المصدر السابق، ص 283.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 275 / 2.

(3) الحميري، المصدر السابق، ص 284؛ المقرئ، نفح الطيب: 95 / 2.

(4) الحميري، المصدر السابق، ص 284.

(5) النويري، المصدر السابق: 129 / 22؛ وينظر: سالم، قرطبة: 259 / 1.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 62 / 3.

(7) المصدر نفسه: 275 / 2 - 276؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 536 / 2؛ سالم، قرطبة: 259 / 1.

رابعاً: الأسوار والأبواب

تعتبر الأسوار من الوسائل الدفاعية المهمة وبناءها من المعايير الحضارية لبناء المدن. فقرطبة عند الفتح الإسلامي كانت تتكون من مركزين عمرانيين (قسم شرقي وقسم غربي) يفصل بينهما سور حاجر كما سبق أن ألمحنا وهذا السور يعود بناؤه إلى العصر الروماني وعند الفتح الإسلامي لقرطبة سنة (92هـ/710م) كانت قرطبة مسورة إلا أنه كان مثلما في بعض أجزائه ولعله السور الغربي بحيث استلزم الأمر قيام الوالي السمع بن مالك الخولاني بترميمه بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز (99هـ/717م - 101هـ/719م) بإعادة بناءه من اللبن أي الجير⁽¹⁾.

ولما أصبحت قرطبة حاضرة للإمارة الأموية في الأندلس سنة (138هـ/756م) استلزم الأمر في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل بناء سور حصين نتيجة للظروف والاضطرابات التي كانت تحيط بقرطبة وخاصة من الداخل. حيث استطاع ابن الوالي السابق عبد الرحمن بن يوسف الفهري⁽²⁾ سنة (139هـ/756م) أن يغير على قرطبة ويحاصر والي قرطبة أبا عثمان عبد الله بن

(1) أخبار مجموعة، ص 24؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 26/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/163؛ فكري، المرجع السابق، ص 169 - 170.

(2) عبد الرحمن بن يوسف الفهري، يدعى أبو زيد وهو ابن الوالي يوسف الفهري (129هـ/746م - 138هـ/756م) قتل على يد عبد الرحمن الداخل عام (142هـ - 759م) وهو في معتقله بعد قتل والده. ينظر: ابن الأبار، الحلي السراء: 2/341؛ أخبار مجموعة، ص 92-93؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/51؛ عنان، دولة الإسلام: 1/159؛ مؤنس، معالم المغرب، ص 747 - 748.

عثمان⁽¹⁾ في صومعة الجامع التي في القصر اثناء غياب الأمير عبد الرحمن الداخل دون عائق⁽²⁾

ولذلك عمل الأمير عبد الرحمن الداخل على بناء سور حصين يحيط بقرطبة سنة (150هـ / 767م)⁽³⁾. وقد بني من الحجارة⁽⁴⁾ ويؤكد ابن حوقل⁽⁵⁾ هذا الأمر بقوله إن قرطبة ((حصنية السور وسورها من حجر)).

في حين يشير كل من عبد العزيز سالم⁽⁶⁾ وأحمد فكري⁽⁷⁾ الى ان اعمال الأمير عبد الامير عبد الرحمن الداخل، اقتصرت على إعادة بناء الجزء الذي تهدم منذ الفتح الإسلامي لقرطبة والذي تولى السماح بن مالك ترميمه باللبن، فبناه الأمير عبد الرحمن الداخل بالحجارة.

ويذكر الادريسي⁽⁸⁾ إن قرطبة عبارة عن ((مدن خمسة تيلو بعضها بعضا، بين المدينة والمدينة سور حاجز)).

(1) ابا عثمان بن عبيد الله بن عثمان هو الذي ولاه عبد الرحمن الداخل على قرطبة عندما خرج الأمير عبد الرحمن الداخل لقتال يوسف الفهري والصميل بن حاتم عام (139هـ / 759م). ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق: 48 / 2.

(2) أخبار مجموعة، ص 93.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق: 123 / 4؛ ينظر: عنان، دولة الإسلام: 200 / 1.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 324 / 4؛ ابو الفداء، المصدر السابق، ص 175؛ القلقشندي، المصدر السابق: 219 / 5؛ وينظر: سالم، قرطبة: 166 / 1.

(5) صورة الأرض، ص 108.

(6) قرطبة: 166 / 1.

(7) قرطبة الإسلامية، ص 170.

(8) نزهة المشتاق، ص 212.

ومن الملاحظ ان ابن حوقل⁽¹⁾ ذكر حين زيارته لقرطبة سنة (337هـ/ 977م) في عصر الخليفة الناصر ان القسبة وحدها تختص بالسور دون ما يحيط بها من الارياض والمباني فهي كانت قائمة خارجها نتيجة لتزايد عدد السكان آنذاك.

وبذلك يمكن القول ان مدن قرطبة الخمس التي ذكرها الادريسي لم يكن مسورا منها سوى قسبة قرطبة وكان شكل هذا السور يقرب الى المتوازي الأضلاع ويمتد احد جانبيه على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير مسافة تصل حوالي الى 1600 ذراع⁽²⁾ ويبلغ محيط السور بأكمله 33000 ذراع⁽³⁾ بحيث استطاع ابن حوقل⁽⁴⁾ ان يطوف حوله في قدر ساعة كما صرح بذلك، كما يؤكد من جانب آخر حصانة هذا السور المبني من الحجارة.

ويجمع المؤرخون العرب وجغرافيوهم على ان سور قرطبة كان يفتح فيه سبعة أبواب⁽⁵⁾.

في حين يشير المقدسي⁽⁶⁾ المتوفي (380هـ/ 990م) ان ((للمدينة خمسة أبواب هي باب الحديد، باب العطارين، باب القنطرة، باب اليهود وباب عامر)).

(1) صورة الأرض، ص 108.

(2) المقرئ، نفح الطيب: 6/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 167/1.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص 296؛ المقرئ، نفح الطيب: 5/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 167/1؛ فكري، المرجع السابق، ص 173.

(4) صورة الأرض، ص 108.

(5) المصدر نفسه، ص 108؛ ابن غالب، المصدر السابق، ص 296؛ وصف جديد لقرطبة، ص 167؛ المقرئ، نفح الطيب: 10/2.

(6) أحسن التقاسيم، ص 233.

ويشير عبد العزيز سالم⁽¹⁾ أنه من الممكن ان تكون أبواب مدينة قرطبة خمساً في عصر الإمارة وأصبحت سبعة منذ عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر.

حيث أمر الخليفة الناصر سنة (303هـ/ 915م) بفتح باب في سور قرطبة الغربي عرف بباب عامر القرشي لتيسير الاتصال الى مقبرة قريش وكان مغلقاً قبلها⁽²⁾.

كما اهتم الخليفة الناصر اهتماماً كبيراً بتحسين أبواب مدينة قرطبة من خلال بناء أبواب داخلية توازيها سنة (301هـ/ 913م) لتسهيل الدفاع عنها ولمضاعفة الحراس على الأبواب الداخلية والخارجية⁽³⁾. وقد كانت أبواب قرطبة القديمة تتألف من فتحة واحدة في السور، وبهذا العمل جعل لها فتحتان او مدخلان وعمل على وضع مصاريع حديدية تغلق بها هذه الأبواب. والهدف الرئيسي من ذلك كان المبالغة في أحكام إغلاق هذه الأبواب⁽⁴⁾.

وأبواب قرطبة السبعة المفتوحة في سورها بالقرن الرابع الهجري موزعة على أربعة جهات هي⁽⁵⁾.

- الجهة الشمالية: يفتح فيها باب واحد وسمي بخمسة تسميات هي الباب

(1) قرطبة: 170 / 1.

(2) Provençal L. comes , O.P , P. 51 وينظر: سالم، قرطبة: 170 / 1.

(3) العذري، المصدر السابق، ص 122؛ وينظر: سالم، قرطبة: 171 / 1؛

Provençal. comes , O.P , P 48.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 108؛ وينظر: سالم، قرطبة: 171 / 1؛ سالم، العمارة الحربية، ص 152.

(5) سالم، قرطبة: 172 / 1 - 175.

الجوفي⁽¹⁾ لوقعة في جوف قرطبة أي في السور الشمالي منها، وهو أيضا باب اليهود أو باب الهدى وسمي كذلك لقربه من حي اليهود⁽²⁾، وعرف أيضا بباب ليون أو باب طلبيرة وسمي كذلك لأنه يفتح على الطريق المؤدي إلى طلبيرة⁽³⁾.

- الجهة الجنوبية: وفيها أيضا باب واحد له ثمانية تسميات هي باب القنطرة نسبة إلى قنطرة قرطبة القائمة على نهر الوادي الكبير ويعتبر أكبر أبواب قرطبة⁽⁴⁾.

وكذلك سمي بباب الجسر نسبة لقنطرة قرطبة الواردة في أعلاه⁽⁵⁾، كما سمي أيضا بالباب القبلي لوقوعه في جنوب قرطبة، وباب الشكال أو باب الصورة وسمي كذلك نسبة لتمثال قديم يمثل العذراء صاحبة قرطبة⁽⁶⁾، كما أطلق عليه اسم باب الوادي لوقوعه على نهر الوادي الكبير⁽⁷⁾، كما

(1) العذري، المصدر السابق، ص 122؛ الحميري، المصدر السابق، ص 458.

(2) العذري، المصدر السابق، ص 122؛ وصف جديد لقرطبة، ص 167؛ المقرئ، نفح الطيب. 137/1؛ وينظر: سالم، قرطبة: 174/1.

(3) المقرئ، نفح الطيب: 10/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 174/1.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجري، ص 209؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص 208؛ أخبار مجموعة، ص 10، 11، 21؛ الحميري، المصدر السابق، ص 458؛ المقرئ، نفح الطيب: 13/2.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 74/2؛ سالم، قرطبة: 172/1.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 56/3؛ وسمي أيضا باب الصورة نسبة لنفس التمثال المذكور وقد أصابه واسقطه عمر بن حفصون في عهد الأمير عبد الله بن محمد، وهي صورة وضعتها أقدام حكام قرطبة على باب القنطرة. ينظر: أخبار مجموعة، ص 11-15؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 14/3.

(7) ابن غالب، المصدر السابق، ص 295؛ المقرئ، نفح الطيب: 10/2.

سمي أيضا بباب الجزيرة لأنه يفتح على الطريق المؤدي الى الجزيرة الخضراء⁽¹⁾، وأيضاً يدعى باب المحجة لمرور المحجة العظمى منه⁽²⁾.

- الجهة الشرقية: وهذه الجهة من سور قرطبة بابان.

1- الباب الأول: وله تسميتان هما باب الجديد⁽³⁾ وسمي بهذا الاسم لأنه فتح في العصر الإسلامي وبالتحديد في عصر الحكم الرضي⁽⁴⁾. وسمي أيضاً باب سرقة لأنه يفتح على الطريق المؤدي الى هذه المدينة⁽⁵⁾.

2- الباب الثاني: وله ثلاث أسماء الأول باب عبد الجبار نسبة الى عبد الجبار بن خطاب بن نذير مولى معاوية بن هارون⁽⁶⁾، وقيل مولى مروان بن الحكم⁽⁷⁾ وعبد الجبار هو من طالعة بلج بن بشر⁽⁸⁾ وسمي بذلك

(1) أخبار مجموعة، ص 21.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 209.

(3) ابن حيان، المصدر نفسه، ص 209، 213؛ ويكتب أيضاً باسم باب الحديد، ينظر: المقرئ، نفح الطيب: 10/2؛ وينظر: التهامي الراجي الهاشمي، الأبواب بالأندلس، الرباط، مطبعة فضالة، 1979، ص 26-27.

(4) بروفنسال، الإسلام في المغرب، ص 60؛ سالم، قرطبة: 1/173.

(5) المقرئ، نفح الطيب: 10/2، وسرقسطة. مدينة تقع شرق الأندلس تسمى أيضاً المدينة البيضاء وهي من قواعد الأندلس الواسعة الديار وحسنة الأسواق والشوارع وهي مدينة محصنة وذات جسر عظيم: للمزيد ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 317.

(6) العذاري، المصدر السابق، ص 122؛ سالم، قرطبة: 1/173.

(7) ابن الأبار، التكملة: 2/561؛ وصف جديد لقرطبة، ص 167.

(8) العذري، المصدر السابق، ص 15، بلج بن بشر بن عياض القشيري المتوفي سنة (124هـ/742م) وهو قائد عربي شجاع دمشقي، كان على رأس الفرسان الشاميين في الجيش الذي سيره الخليفة

باسمه ويذكر العذري⁽¹⁾ ان هذا الباب كان مغلقا في أيامه حيث طمس أيام الفتنة بالصخر.

وسمي أيضا بباب طليطلة بسبب مرور السكة العظمي المؤدية الى الطريق الأخذ الى طليطلة عبر هذا الباب⁽²⁾، وسمي أيضا باب رومية بسبب مرور السكة العظمي أيضا منه وتنتهي بروما وكانت تتشعب منه الطرق الثلاثة التي تخترق أسبانيا من قادس الى اربونة ثم الى روما⁽³⁾.

– أما الجهة الغربية: فينفتح فيه ثلاثة أبواب هي:

1- باب عامر القرشي وسمي بهذا الاسم نسبة الى عامر بن عمر والذي نزل بمنية تقع غرب قرطبة قريبة من هذا الباب⁽⁴⁾.

ويذكر عبد العزيز سالم⁽⁵⁾ أنه استحدث في زمن الخليفة عبد الرحمن

هشام بن عبد الملك سنة (123هـ / 741م) لقتال البربر بقيادة كلثوم بن عياض (عم بلج) الى أفريقية، للمزيد ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص 233؛ خير الدين الزركلي، الإعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ط 4، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت: 73 / 2؛ دائرة المعارف الإسلامية، مادة (بلج): 77 / 4 - 78.

(1) نصوص عن الأندلس، ص 122.

(2) المقرئ، نفح الطيب: 10 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 173 / 1.

(3) المقرئ، نفح الطيب: 10 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 173 / 1.

(4) العذري، المصدر السابق، ص 122؛ أخبار مجموعة، ص 63؛ المقرئ، نفح الطيب: 10 / 2؛ وعامر القرشي هو عامر بن عمرو بن وهب بن مصعب بن أبي عزيز بن زرارعة بن عمير بن هشام بن عبد مناف يدعى بالعبدري وكان يلي المغازي في جيش يوسف الفهري، سكن قرطبة وقتل عام (38هـ / 658م) وسمي الباب باسمه. ينظر: العذري، المصدر السابق، ص 122؛ ابن الأبار، الحلة: 344 / 2 - 346؛ وصف جديد لقرطبة، ص 167.

(5) قرطبة: 170 / 1، 174.

الناصر تسهيلا للاتصال بين مدينة قرطبة وبين المقبرة الواقعة خلف
ال سور الغربي من تلك الجهة، وتدعى بمقبرة قريش⁽¹⁾.

2- باب الجوز⁽²⁾ وله تسميتان سمي كذلك نسبة الى شجرة الجوز التي
كانت مغروسة في خارجه⁽³⁾. وقد شاهدة العذري⁽⁴⁾ مغلقة زمن الفتنة،
ويعرف أيضا باسم باب بطليوس لانفتاحه على الطريق المؤدي
الى بطليوس⁽⁵⁾.

3- باب العطارين⁽⁶⁾ عرف بهذا الاسم لوقوعه في سوق العطارين بقرطبة
ويذكر ابن حزم⁽⁷⁾ ان هذا المكان كان مجمع النساء.

كما سمي أيضا بباب اشبيلية وعرف بذلك لانفتاحه على الطريق المتجهة
لمدينة اشبيلية⁽⁸⁾.

ولم يقتصر إقامة الأسوار على القصبة الوسطى لقرطبة فقط بل عندما

(1) ابن الفرضي، المصدر السابق: 72 / 1؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 141 / 1؛ ابن الأبار، الحلة: 344 / 2.

(2) العذري، المصدر السابق، ص 122؛ وصف جديد لقرطبة، ص 167.

(3) سالم، قرطبة: 174-175.

(4) نصوص عن الأندلس، ص 122.

(5) المقري، نفح الطيب: 10 / 2؛ وينظر التهامي، المرجع السابق، ص 25.

(6) وصف جديد لقرطبة، ص 167؛ المقري، نفح الطيب: 10 / 2.

(7) طرق الحمامة، ص 44.

(8) أخبار مجموعة، ص 12؛ ذكر فتح الأندلس، ص 9؛ المقري، نفح الطيب: 10 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 175 / 1.

قام الخليفة الناصر ببناء مدينة الزهراء سنة (325هـ/ 1936م)⁽¹⁾ بنى حولها سور متين⁽²⁾.

كما حصن الحاجب المنصور بن ابي عامر سور القصر الخلافي في قرطبة ونشر حوله الحراس وادار حوله الخندق⁽³⁾ كما سبق وان ذكر. وبعد ان بنى الحاجب المنصور بن ابي عامر مدينة سميت بالزاهرة سنة (370هـ/ 980م) بالغ في رفع أسوارها وحصنها تحصينا مثاليا بالأسلحة والاجناد⁽⁴⁾.

وفي عصر الفتنة بني الخليفة محمد المهدي سور يدور حول ارباض قرطبة حتى لا تتعرض للهجوم بشكل مفاجئ⁽⁵⁾، ويذكر أنه فتح في هذا السور ثلاثة أبواب منها باب الحديد جنوبي السور الشرقي للشرقية⁽⁶⁾، وباب الفرج الواقع بين السكة العظمي وطريق الرملة، وأخيرا باب عباس الذي تمر منه السكة العظمي بعد خروجها من باب عبد الجبار⁽⁷⁾.

وبذلك كانت للأسوار وأبوابها دور كبير في فن العمارة العسكرية بقرطبة للحفاظ على أمن وسلامة ثكنات الحكومة ومرافقها من أي اعتداء قد يؤدي

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص300؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 209 / 2.

(2) ابن حوقل، المصدر السابق، ص108؛ الادريسي، المصدر السابق، ص212.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 278 / 2.

(4) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(5) المصدر نفسه: 99 / 3؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص103؛ المقرئ، نفح الطيب: 11 / 2.

(6) ابن الفرضي، المصدر السابق: 65 / 2؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 81 / 3؛ المقرئ، نفح الطيب: 10 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 171 / 1.

(7) ابن الابار، التكملة: 561 / 2؛ وصف جديد لقرطبة، ص167؛ وينظر: سالم، قرطبة: 171 / 1.

بالتالي الى سقوط الدولة بأكملها وبذلك كانت الأسوار إحدى أسس العمارة العسكرية المهمة في المدن الإسلامية.

خامساً: الأبراج

عرفت أسوار مدينة قرطبة وحصونها أبراجاً متعددة وهي جزء أساسي من نظام الدفاع لكشف الأخطار القادمة قبل وصولها، وامتازت الأبراج بقرطبة كونها أبراج مربعة او مستطيلة الشكل متقاربة الأبعاد ولا يبرز فيها بروز كبير واستخدام في بناءها الأحجار وأكثرها الحجار المأخوذة من المباني القديمة⁽¹⁾.

ويتألف البرج المربع من ((نصفين: نصف أدنى مصمت ونصف، علوي تشغله غرفة وينفتح شطه مع سور المشى و تعلوا جدرانها العليا شرفات، وقد تشغله غرفتان الواحدة فوق الأخرى تخصص عادة للحامية، وتزود جدران البرج في العادة بمنافذ للسهم تنفتح فيه وتغطي الغرفة في معظم الأحيان قبوات نصف كروية))⁽²⁾.

(1) بيج، المرجع السابق، ص 40-41؛ وتعريف البرج وجمعها أبراج هنا يختلف عن مصطلح البرج الذي ذكر عند مؤلف مجهول لكتاب ذكر بلاد الأندلس، والذي ربما قصد به القرى الاستيطانية العسكرية القوطية، والتي كانت تسمى باللاتينية (Burgus) (Burgo بالقشتالية)، وتعني هذه الكلمة قرية او مستوطنة تعتمد على مستوطنة أكبر منها. ينظر: طه، الفتح و الاستقرار، ص 206.

(2) عبد العزيز سالم، العمارة العربية الإسلامية، مجلة عالم الفكر، العدد 1، بلا. م، 1977، مجلد 8، ص 128.

ويذكر بيج ان المهندس المعماري القرطبي استلهم عمله في الأبراج من الأبراج المدعمة التي تفصل أسوار الجامع الكبير في قرطبة⁽¹⁾.

وتمتاز هذه الأبراج المنتشرة في أسوار قرطبة بوجود مسافة بين كل برج وآخر بحيث لا يحصل ازدواج بينهم وهي منتظمة في سور قرطبة وعددها حوالي 207 برجاً⁽²⁾.

كما حوت أسوار القصر الخلافي في داخل قرطبة أبراجاً امتازت بعلوها وقيل ان الأمير عبد الرحمن الداخل استخدم احداها أثناء بناءه للمسجد الجامع سنة (170هـ/ 386م) كمئذنة للصلاة⁽³⁾، واحتوى سور مدينة الزهراء 300 برج امتازت بعلوها وارتفاعها الشاهق⁽⁴⁾.

وكان لاقليم قرطبة وحصونها المنتشرة حولها أبراجاً متعددة بلغت ما يقارب 343 برجاً⁽⁵⁾.

(1) البرج في العمارة الإسلامية، ص 41.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص 296.

(3) أخبار مجموعة، ص 93؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 188.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص 47.

(5) وصف جديد لقرطبة، ص 179-181؛ وهذه الأبراج هي:

- إقليم القصب 87 برجاً، إقليم لومر 16 برجاً

- إقليم الصدف 20 برجاً، إقليم بني مرة 16 برجاً.

- إقليم منيانة 13 برجاً، إقليم كرتش 20 برجاً.

- إقليم القشتل 7 أبراج، إقليم الهرهار 16 برجاً.

ويشير ابن عذاري⁽¹⁾ الى احد أبراج قرطبة وذلك في حوادث سنة (334هـ/ 945م) حيث تعرضت قرطبة لسيل عظيم ((فبلغ الماء في البرج المعروف ببرج الأسد، فهدم في آخر القنطرة، وثلم الرصيف)). ويقع هذا البرج من خلال النص على الجهة الجنوبية من قرطبة على ضفة نهر الوادي الكبير⁽²⁾. واعتبرت بذلك قرطبة من المدن المحصنة من خلال دور كل خليفة في تحصين قرطبة من بناء الحصون وحفر الخندق وبناء الأسوار والأبراج وذلك لحمايتها من خطر الأعداء الطامعين خصوصا بعد ان أصبحت هذه المدينة من أعظم مدن الأندلس في عصر الخلافة وكانت مركزا لجميع الفعاليات التي تقام في الدولة الأموية في الأندلس.

-
- إقليم الملاحه 17 برجا، إقليم الشعر 40 برجا.
 - إقليم السهلة 35 برجا، إقليم اولية 20 برجا.
 - إقليم الوادي 30 برجا، إقليم مريم 16 برجا.
 - ما عدا إقليم المدور لم يذكر له أية أبراج.

(1) البيان، المغرب: 213 / 2.

(2) المصدر نفسه: 213 / 2.

الفصل الرابع

العمارة المدنية

الفصل الرابع العمارة المدنية

لقد أصبحت قرطبة في القرن الرابع الهجري على درجة عالية من الرقي والابهة والرفاهية مما ادى بدوره الى تزايد عدد السكان حتى بلغ في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ما يقارب النصف مليون نسمة⁽¹⁾. ونتيجة لظروف الاستقرار والامن النسبي السياسي والاجتماعي والاقتصادي فقد اهتم الخلفاء والحجاب والوزراء وحتى العامة من الميسورين وغيرهم بالبناء والتشييد، حيث بنى الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (325هـ/ 936م) على سبيل المثال مدينة الزهراء⁽²⁾، ودعى العامة الى البناء فيها فتسارع الناس من كل صوب الى البناء في الزهراء⁽³⁾. كذلك بنى الحاجب المنصور بن ابي عامر سنة (368هـ/ 978م) مدينته الزاهرة⁽⁴⁾.

كما اهتم الخلفاء ببناء وإعمار المرافق العامة التي توفر الخدمات والراحة لسكان قرطبة كالشوارع والطرق والأرصقة ومشاريع المياه وبناء دور العلم والمكتبات ودور الصناعة وغيرها من المنشآت الخدمية، وفيما يلي تفصيل لكل ما تم بناءه وتجديده من أعمار في كافة المجالات المدنية في قرطبة وضواحيها.

(1) مصطفى، المرجع السابق: 34 / 2.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 209 / 2؛ ذكر بلاد الاندلس، ص 162.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 107.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 275 / 2؛ الحميري، المصدر السابق، ص 284.

أولاً: القصور

أ. القصر الخلافي

يقع القصر الخلافي في القسم القبلي الغربي أي الجنوبي الغربي داخل قصبة قرطبة أو المدينة الوسطى⁽¹⁾، واصل هذا القصر بناء روماني قديم اتخذته المسلمين داراً للإمارة منذ الفتح الإسلامي سنة (92هـ - 710م) ثم اتخذته الولاة منذ ولاية أيوب بن حبيب اللخمي⁽²⁾ (رجب 97هـ / مارس 716م - ذي الحجة 97هـ / آب 716م) مقراً لهم إلى أن قامت الإمارة الأموية (138هـ / 755م - 316هـ / 928م) فوسع فيه الأمراء وشيدوا القاعات و المجالس والقصور واتقنوا في تزيينها حتى بلغت الغاية من الفخامة⁽³⁾.

ولما كان الخليفة عبد الرحمن الناصر محباً للبناء ومولعاً به لم يترك قصر الإمارة دون أن يصنع فيه لمسة من عصره، فبدأ بتجديده وتزيينه⁽⁴⁾، وقد أنشأ داخل أسواره قصراً لسكناه أسماه دار الروضة⁽⁵⁾، نسبة لمقبرة أمراء بني أمية التي

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص 208؛ الحميري، المصدر السابق، ص 458؛ ويشير أحمد بدر إلى أن القصر الخلافي يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية للمدينة المسورة. ينظر: تاريخ الاندلس، ص 149.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 25؛ زامباور، معجم الأنساب والاسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة: زكي محمد حسن بك وآخرون، بيروت، دار صادر، 1980، ص 85.

(3) المقرئ، نفح الطيب: 2/ 9، 30، 95؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 187؛ سالم، العمارة المدنية بالاندلس، دائرة معارف الشعب، عدد 64، مدريد، 1959، ص 125 - 127؛ العبادي، دراسات، ص 506.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 224؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 189.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 95؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 435 - 436.

تقع داخل القصر⁽¹⁾ ويقع دار الروضة بجانب القصر الزاهر⁽²⁾، الذي استقبل فيه الخليفة عبد الرحمن الناصر سفير بيزنطة سنة (338هـ/ 949م)⁽³⁾. كما أسس الدار المعروفة بدار الرخام داخل القصر⁽⁴⁾.

وعمل الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (306هـ/ 918م) على الاستعانة برجال الهندسة والبناء الذين كانوا يعملون في بناء الزهراء بإنشاء نافورة أمام باب العدل احدا ابواب القصر⁽⁵⁾. وبموجب ذلك أخذت المياه العذبة تتدفق الى القصر للملئ البحيرات والصهاريج وأحواض الرخام ذات النقوش العجيبة⁽⁶⁾.

أما بالنسبة لأعمال الخليفة الحكم المستنصر في القصر الخلافي فلا تسعفنا المصادر التاريخية في إبراز انجازاته العمرانية فيه، إلا انه عثرت على ستة تيجان أعمدة نقش على ثلاثة منها ما يبين أنها عملت بأمر الخليفة الحكم المستنصر لغرف القصر، وحملت أربعة من هذه التيجان تاريخ سنة (353هـ/ 964م)⁽⁷⁾.

(1) ابن حيان، تحقيق ملشور انطوانيا، ص3؛ وينظر: سالم، قرطبة: 189 / 1.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق: 144 / 4؛ المقرئ، نفح الطيب: 10 / 2.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 215 / 2؛ سالم، قرطبة: 189 / 1.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجري، ص193؛ وينظر: سالم، قرطبة: 189 / 1.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 174 / 2. وباب العدل هو أحد أبواب القصر حيث كان الأمير عبد الله بن محمد قد افتتحه في الجهة القبليّة من سور القصر وسمي بباب العدل لأن الأمير عبد الله بن محمد كان يجلس فيه للناس يوما في الأسبوع للنظر في المظالم. ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق: 153 / 2؛ المقرئ، نفح الطيب: 10 / 2؛ سالم، قرطبة: 189 / 1.

(6) المقرئ، نفح الطيب: 9 / 2؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص180-181؛ سالم، قرطبة: 191 / 1.

(7) سالم، قرطبة: 190 / 1.

ويذكر ان الخليفة الحكم المستنصر كان يجلس في أحد مجالس القصر الخلافي وهو البديع أيام مرضه للتسلية وأخذ التهئة من الوزراء والحجاب والعمال وغيرهم أيام المناسبات⁽¹⁾.

ولما استتب الامر للحاجب المنصور بن ابي عامر حفر خندقا حول القصر، وبالع في رفع الأسوار محاولا بذلك تأمين القصر ومنع وصول الصقالبة الفتيان المتآمرين ضده الى الخليفة هشام المؤيد⁽²⁾.

وكان القصر الخلافي فسيحا ذا سور حصين فيه أبراج عالية⁽³⁾، ويبلغ محيطه 1100 ذراع⁽⁴⁾. وتفتح فيه ستة أبواب⁽⁵⁾، كأنه مدينة حصينة وهذا يعكس الحس الأمني والاهتمام بمقر القائم بأمور الخلافة.

ومن هذه الأبواب المهمة، باب السدة، وسمي أيضا باب السطح وبن الجنان وباب الوادي⁽⁶⁾. وهو يفتح على رصيف قرطبة ويعتبر أحد الأبواب

(1) ابن حيان، تحقيق الحجى، ص 230؛ المقرئ، نفح الطيب: 10/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 191/1.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 278/2.

(3) أخبار مجموعة، ص 93؛ وينظر: سالم، قرطبة: 188/1.

(4) العذري، المصدر السابق، ص 122-123؛ ذكر بلاد الأندلس، ص 32؛ المقرئ، نفح الطيب: 5/2.

(5) العذري، المصدر السابق، ص 122-123؛ ذكر بلاد الأندلس، ص 32؛ المقرئ، نفح الطيب: 10/2.

(6) ابن الفرضي، المصدر السابق: 317/1؛ ابن حيان، تحقيق الحجى، ص 26، 45؛ ويقول عبد العزيز سالم، بان هذه الأسماء الأربعة أسماء مختلفة لباب واحد هو الباب القبلي المطل على الوادي.

الرئيسة وأمامه كان يصلب الخارجين عن القانون وكان الخليفة يشرف من السطح على تصفية المتمردين أمام هذا الباب⁽¹⁾.

ومن أبواب القصر الأخرى باب العدل الذي يفضي مباشرة الى الرصيف من الجهة القبليّة⁽²⁾، وفي هذه الجهة أيضا يقع باب الحديد الذي أمر الحاجب المنصور بن أبي عامر سنة (366هـ/976م) بسده بالحجر وذلك لتسهيل مراقبة الداخل والخارج من القصر ويمنع دخول أعداءه اليه⁽³⁾. هذا فضلا عن باب آخر يقع بالجهة الشرقية من سور القصر يعرف بباب الجامع وكان يستخدمه الأمراء للدخول منه على الساباط الى المسجد الجامع⁽⁴⁾. وكذلك كان للقصر الخلفي باب من الجهة الشمالية لسور القصر بقرطبة ويعرف بباب الصناعة وسمي كذلك لمجاورته لدار الصناعة بقرطبة ويعرف بباب قورية⁽⁵⁾. وورد ذكر أسم باب

وقد فتحه الأمير عبد الرحمن الأوسط في سور يمتد من سور المدينة لإغلاق الرصيف وقد كانت دفته من الحديد وبها حلق من الصفر يقال أنه جلب من مدينة أربونة التي تم فتحها في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن. ينظر: المقرئ، نفح الطيب: 10/2؛ سالم، قرطبة: 191/1.

(1) ابن القوطية، المصدر السابق، ص116؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 192/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 192/1.

(2) العذري، المصدر السابق، ص123؛ ذكر بلاد الاندلس، ص32؛ المقرئ، نفح الطيب: 10/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 192/1.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 391/2؛ المقرئ، نفح الطيب: 10/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 193/1.

(4) المقرئ، نفح الطيب: 10/2؛ سالم، قرطبة: 193/1.

(5) المقرئ، نفح الطيب: 10/2؛ سالم، قرطبة: 193/1.

آخر يعرف بباب الملك⁽¹⁾ ويقع أيضا في الجهة الشمالية من سور القصر الخلافي⁽²⁾.

ويذكر ان هذا السور كان يحيط بالمباني أما الرياض والبساتين فكانت خارجة لا تحد بسور⁽³⁾.

وفضلا عن القصور المذكورة في أعلاه ذكرت أسماء لقصور داخلية أخرى تقع داخل القصر الخلافي لكن دون الإشارة الى عصر معين لمنشأها، منها الكامل والمنيف والحائر والمجدد والمبارك والرشيقي والتاج⁽⁴⁾ وقصر البستان بجوار باب العطارين ودار الخليل⁽⁵⁾.

وقد تعرض القصر الخلافي للنهب والسلب والتخريب من قبل البربر أثناء الفتنة وذلك سنة (403هـ / 1012م)⁽⁶⁾.

هكذا ويظهر لنا ان القصر الخلافي يمثل أحد معالم قرطبة الرئيسة ومعلما للخلافة الأموية وقد شهد القرن الرابع الهجري ابها فخامته وروعته العمرانية.

(1) العذري، المصدر السابق، ص 123؛ ذكر بلاد الأندلس، ص 32.

(2) سالم، قرطبة: 1 / 193.

(3) العذري، المصدر السابق، ص 122؛ المقري، نفح الطيب: 2 / 5؛ وينظر: فكري، المرجع السابق ن ص 179.

(4) المقري، نفح الطيب: 2 / 10.

(5) أخبار مجموعة، ص 144؛ المقري، نفح الطيب: 2 / 153؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1 / 191؛ طه، دراسات، ص 58.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 3 / 107.

ب. القصور الخاصة

اشتهرت قرطبة بقصورها الفخمة⁽¹⁾، والتي دلت على حالة الرخاء والعيش الرغيد آنذاك، فقد اهتم أهل قرطبة بإنشاء القصور سواء اكانوا خلفاء او وزراء او حجاب وحتى عامة الشعب من الميسورين بينما بقية الرعية فكان دورهم أقرب الى البساطة منها الى الفخامة. وقد اهتم الخلفاء باتخاذ قصور لهم ولأفراد أسرهم من الذكور، فالخليفة الناصر على سبيل المثال، اتخذ لكل ولد من أولاده الذكور قصرا يسكنه وضياع وعقار بداخل قرطبة كما فعل الأمراء من أجداده قبله⁽²⁾. ومنها دار الملك التي اتخذها لأبنة الحكم المستنصر، ودار أبي مروان الأكبر عبد الله بن الناصر، ودار أبي الاصبع عبد العزيز، ودار أبي الوليد عبد الجبار بقرب باب عامر ودار أبي محمد عبد الله ابن الناصر ودار أبي مروان عبد الملك ودار أبي ايوب سليمان بن الناصر ودار أبي المطرف المغيرة بن الناصر ودار أبي الحكم المنذر بن الناصر، وأخيرا دار القاسم بن الاصبع بن الناصر⁽³⁾. وكل هذه القصور ابتاعها او ورثها الخليفة فمن قبله من الأمراء فدار أبي ايوب سليمان بن الناصر مثلا كانت في الاصل لبني عبادل واتباعها الخليفة الناصر لأبنة سليمان⁽⁴⁾.

كما عرفت القصور في قرطبة باسم المنية⁽⁵⁾ وغالبا ما تكون على نهر

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 107 / 3.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 15.

(3) المصدر نفسه، ص 18 - 20.

(4) المصدر نفسه، ص 19.

(5) مصطلح المنية: بضم الميم وسكون النون، ومعناها قريب من معنى الضيعة او الفيلا في النظم الرومانية ((وتعني القصر الريفي الذي تحيط به ضيعة أو ضياع واسعة يملكها صاحب القصر.

الوادي الكبير⁽¹⁾. واتخذ الخلفاء وكبار رجال الدولة العديد من المنيات الواسعة وعند دراسة تاريخ عمارة المنيات، نجد انفسنا أمام ثلاثة أصناف من المنيات:

1- القسم الأول: يعود تاريخه الى عصر الإمارة، وجرت عليه تحسينات وإضافات في عصر الخلافة.

2- القسم الثاني: غير واضحة التاريخ واستخدمت من قبل حكام الأندلس في القرن الرابع الهجري.

3- القسم الثالث: مستحدثة في مدة البحث في إطار التوسع العمراني الذي شهدته قرطبة وضواحيها. ومن هذه المنيات ما يلي:

- منية الناعورة: التي تقع على شاطئ نهر قرطبة بجوار فحص المصاراة وقد أنشأها الأمير عبد الله بن محمد الذي اشترى أرضها وما حولها من الحقول أيام والده الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة (253هـ / 867)⁽²⁾. وانتقلت ملكية المنية بعده الى الخليفة الناصر فأقام بها قصر الناعورة⁽³⁾. وبنى جسرا على القناة المؤدية للمنية فجرت المياه العذبة من جبل قرطبة الى المنية واستغرق العمل فيها 14 شهرا وذلك سنة (329هـ / 940م)⁽⁴⁾.

ومصطلح المنية الذي كان شائعا في الأندلس. فتعريف المنية عندهم قريب من تعريف الفيلا، ولكن هناك فرقا واضحا بين الضياع والمنيات، فالضياع قرى تصير الى ملك مالك كبير وربما أقام بها، في حين ان المنية ضيعة تنشأ حول قصر ريفي ينشئه المالك الكبير ولكن كليهما من حيث الهيئة والوضع يقابل الفيلات الرومانية)). ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص 593-594.

(1) الحميدي، المصدر السابق، ص 324؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 13؛ العبادي، دراسات، 385.

(2) ابن حيان، نشر ملشور انطونيا، ص 38؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 204-205.

(3) المقرئ، نفح الطيب: 2/ 95، 100؛ وينظر: بول، المرجع السابق، ص 129.

(4) المقرئ، نفح الطيب: 2/ 10؛ ازهار الرياض: 2/ 266-267؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 205.

واصبحت هذه المنية المقر الأثير لدى الخليفة الناصر فكان يقيم فيها للراحة بعد غزواته، فيذكر ابن عذاري⁽¹⁾ أنه سنة (317هـ / 929م) ((كانت للناصر خرجة من قصر الناعورة مطالعا لبشتر، ومعاينا لما قام من البنيان بها، وما تم من ترتيبه منها، وكان خروجه من منية الناعورة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال ونزوله بجبل بيشر يوم الخميس لعشر بقين منه، فدخل المدينة وجال فيها واحكم ماله من قصة أمرها، ثم صدر عنها في اليوم الثاني، ودخل بالناعورة يوم الثلاثاء لأربع بقين من شوال)).

واستخدمت هذه المنية أيضا لاستقبال الوفود ففي عهد الخليفة الحكم المستنصر نزل فيها ملك ليون اردون الرابع عند قدومه الى قرطبة سنة (351هـ / 962م)⁽²⁾. كما استخدمها الخليفة الحكم المستنصر كمقر له أثناء انتقاله من الزهراء الى قرطبة عندما أصيب بالفالج⁽³⁾.

ومنية البنتلي⁽⁴⁾ (البنتل، البنتي): التي تقع شرقي مدينة قرطبة وكان يقصدها الخليفة الناصر للتنزه⁽⁵⁾، وفي سنة (328هـ / 939م) ورد على الخليفة الناصر محمد بن مدين بن موسى بن ابي العافية المكناسي من

(1) البيان المغرب: 201 / 2.

(2) المصدر نفسه: 235 / 2؛ المقرئ، نفح الطيب: 302-303، 403.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجى، ص 212؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 42؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 259 / 2.

(4) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 57؛ وترد هذه المنية أيضا باسم البنتي: وهذه الألفاظ أعجمية تعني الجسر (Al Puente) وتصغيرها (Al Pontiello) ينظر: ابن حيان، تحقيق الحجى، ص 72.

(5) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 459.

العدوة المغربية فأنزله الخليفة الناصر بقصر البتيل⁽¹⁾، وفي سنة (361هـ/ 971م) وفد على الخليفة الحكم المستنصر رسول صاحب القسطنطينية، فأنزله الخليفة في هذه المنية⁽²⁾.

- منية الرمان او الغراء: وتقع هذه المنية في وادي الرمان بقرطبة وكانت للفتى الكبير دري الخازن الصقلي وقد بالغ في الأنفاق عليها حتى جعلها مبلغ الغاية وعندما أكملها اهداها للخليفة الحكم المستنصر سنة (362هـ/ 972م) بجميع ما كانت تحويه من أراض وممتلكات داخلها وخارجها⁽³⁾.

- منية ابن ابي الحكم القرشية: وتقع على نهر الوادي الكبير بمنطقة الشامات او الشاعات⁽⁴⁾ وقد نزلها عيال علي بن الاندلس صاحب المسيلة⁽⁵⁾ وعيال أخيه جعفر عندما وفدوا الى قرطبة سنة (360هـ/ 970م)، وقد كانت هذه المنية حصينة منيعة، وقد بالغ الخليفة الحكم المستنصر في حراستهم وذلك برفع أسوار هذه المنية لحمايتهم⁽⁶⁾.

(1) المصدر نفسه، ص 459.

(2) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص 72.

(3) المصدر نفسه، ص 106-107؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص 183.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 43؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 209-210.

(5) المسيلة: مدينة بالمغرب من بلاد الزاب، تقع على نهر يسمى نهر سهل وأسس المدينة ابو القاسم إسماعيل بن عبيد الله الشيعي سنة (313هـ/ 925م) والمتولي لبنائها كان علي بن حمدون الجذامي المعروف بأبن الأندلسي، وكان أميرها وخلفه أبنه جعفر. وهي بلاد عامرة كثيرة النخل والخيرات والعيون والمزارع. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 558.

(6) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 43؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 209-210.

- دار الفتى فائق الصقلي: صاحب البرد والطراز في عهد الخليفة الحكم المستنصر وكانت داره تقع في الجانب الشرقي من قصر الزهراء، ونقله الخليفة الحكم المستنصر سنة (361هـ / 971م) الى دار جعفر بن عثمان بن عبد الرحمن الصقلي المتوفي سنة (360هـ / 970م) وتقع في الجانب الغربي من قصر الخليفة الحكم المستنصر وذلك تقديرا له من الخليفة لحسن مكانته لديه⁽¹⁾.

- منية ابن عبد العزيز: وتقع في الصحراء الممتدة ما بين قرطبة ومدينة الزهراء غربي قرطبة، والزائر إليها يصل بعد ان يعرج على السدة والمصارة والعقبة وربض مسجد الشفاء ثم ربض حمام الالبيري او اللبدي، وهذه المنية نزل فيها يحيى بن علي صاحب المسلية واخوه جعفر في (27 ذي القعدة من سنة 360هـ / 970م)⁽²⁾.

- المنية المصحفية: وهي التي أقامها الحاجب الوزير جعفر بن عثمان المصحفي ايام خلافة الحكم المستنصر⁽³⁾، وتقع في غربي قرطبة بالمكان المسمى (بالش)⁽⁴⁾، والت هذه المنية فيما بعد الى الحاجب المنصور بن

(1) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 66.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 45-46؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 208.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 258؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 14؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 212.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 258. والش: بضم اللام بقعة تقع شرقي مدينة قرطبة بنيت عليها مدينة الزاهرة أيام الحاجب المنصور بن ابي عامر وانت تحوي بئر لبنو في أرجاء تلك البئر المدينة، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 283.

أبي عامر بعد أن قضى على الوزير جعفر المصحفي سنة (367هـ/977م) بعد أن سخط عليه الخليفة هشام بن الحكم وأمر بزجه بسجن المطبق بالزهراء⁽¹⁾.

- دار الحاجب المنصور بن أبي عامر: وهي تقع بربض الرصافة وقد بالغ في بناءها واتساعها عندما كان حاجبا أيام الخليفة هشام بن الحكم⁽²⁾.

- المنية العامرية: التي تنسب إلى الحاجب المنصور بن أبي عامر أسسها سنة (369هـ/979م) إلى جانب مدينة الزهراء⁽³⁾، وأحاطها بالرياض والبساتين وأجرى إليها المياه وكانت تزهر حدائقها بالترجس والياسمين وأنشد فيها:

حَيْتِكَ يَا قَمَرَ الْعُلَا وَالْمَجْلِسِ أَزْكِي تَحِيَّتَهَا عِيُونَ النَّرْجِسِ
زَهْرُ ثُرَيْكٍ بُحْسْنَهَا وَبَلُونِهَا زُهْرُ النَّجُومِ الْجَارِيَاتِ الْكُنُسِ⁽⁴⁾

وورد ذكر أسماء أخرى من المنيات في قرطبة كمنية نصر الفتى⁽⁵⁾ ومنية

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 255/2 - 256؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 61، المقري،

نفع الطيب: 14/2؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص 329-330.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 258/2.

(3) المصدر نفسه: 277/2؛ المقري، نفع الطيب: 97/2 - 98.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 16/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 214/1.

(5) تعود هذه المنية إلى الفتى نصر مولى الأمير عبد الرحمن الأوسط، وكان أكبر الفتيان في بلاط الأمير، وتقع منيته في عدوه الرض تشرف على النهر بجوار مقبرة الرض العتيق، وأصبحت هذه المنية للحكم المستنصر أيام الخليفة الناصر. للمزيد ينظر: ابن حيان، تحقيق الحجى، ص 46؛ الحميري، المصدر السابق، ص 548؛ المقري، ازهار الرياض: 258/2؛ سالم، قرطبة: 208/1 - 209؛ العبادي، دراسات، ص 385.

عجب⁽¹⁾، ومنية الجنة التي قصدها الخليفة الناصر سنة (300هـ / 912م) للتصيد فيها وتقع شرقي مدينة قرطبة⁽²⁾.

وقد جلس الشاعر غالب بن أمية الموردي سنة (389هـ / 998م) على نهر قرطبة فأنشد في قصور قرطبة قائلاً:

يا قَصْرَكُمْ الْفَتْ مِنْ مَلِكٍ دارتْ عَلَيْهِمْ دَوَائِرُ الْفُلُكِ
يا قَصْرَكُمْ قَدْ حَوَيْتَ مِنْ بَقَمٍ دارتْ لَقَى فِي عُورِ أَرْضِ السِّكِّ
أَنْفَ بِمَا شِئْتَ كُلُّ مُتَّخِذٍ يَعُودُ يَوْمًا لِحَالِ مُتْرَكٍ⁽³⁾

وفضلاً عن هذه القصور حوت قرطبة على العديد من الدور الخاصة والرسمية كدار الرهائن المجاور لباب القنطرة⁽⁴⁾، ودار القومة التي كانت خاصة بقومة المسجد الجامع وتقع شمال المسجد الجامع بقرطبة⁽⁵⁾، وأما دار الورزاء فكانت خاصة بالوزراء وتقع في جانب من القصر الخلافي بقرطبة⁽⁶⁾.

(1) وهي المنية المنسوبة الى جارية الأمير الحكم الربضي (180هـ / 796م - 206هـ / 821م)، وتقع في الرض القبلي في مواجهة السد والرصيف، ونسب اي هذه المنية العديد من الشخصيات القرطبية نتيجة لسكنائهم فيها أمثال يوسف بن عمرو بن سعيدي وخلف بن سعيد المني (ت 305هـ / 917م). ينظر: الخشني، اخبار الفقهاء، ص 383؛ الضبي، المصدر السابق، ص 269.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 41.

(3) الحميدي، المصدر السابق، ص 324.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجري، ص 176؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1 / 221.

(5) ابن حيان، تحقيق الحجري، ص 104؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1 / 221.

(6) ابن القوطية، المصدر السابق، ص 62؛ ابن حيان، تحقيق الحجري، ص 25؛ وينظر: سالم، قرطبة:

221 / 1 - 222.

ثانيا: دور العامة (النازل)

ان قرطبة في عصر الخلافة بلغت الغاية من العمران والتمصير كما أسلفنا، وقد احصيت دور قرطبة في عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر فكان عددها 213 / 077 ألف دار العامة و 6300 در للأكابر والوزراء والكتاب والاجناد⁽¹⁾، وكان أهل قرطبة يسرون في الطرقات ليلا على ضوء السرج والمصابيح العامة⁽²⁾، كما كادت الدور في هذا العصر ان تتصل بين قرطبة والزهاء والزاهرة⁽³⁾.

وتتألف المنازل من جزئين أساسيين هما الواجهة الخارجية وداخل المنزل، فالواجهة الخارجية كان ذا مظهر متواضع لا يحوي على زخارف على العكس من داخل المنزل الذي بلغ الغاية من الزخرفة والتنميقات الرائعة التي تعكس حب أهل الأندلس للرفاهية⁽⁴⁾ ويعكس هذا التوجه الأندلس بالرغبة في الاهتمام براحة الإنسان داخل المنزل وإضفاء الأجواء اللطيفة والمرحة لساكن المنزل.

وغالبية المنازل في قرطبة في القرن الرابع الهجري كانت تتألف من طوابق عالية يصعد إليها بسلام ضيقة عالية ذا درجات غاية في الارتفاع⁽⁵⁾. كما كان

(1) ذكر بلاد الأندلس، ص 33؛ المقري، نفح الطيب: 2 / 67، 68؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص 296؛ مصطفى، المرجع السابق: 2 / 33.

(2) الشقندي، المصدر السابق، ص 55؛ المقري، نفح الطيب: 2 / 4.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 107؛ الشقندي، المصدر السابق، ص 55.

(4) سالم، العمارة المدنية، ص 121.

(5) ليوبولدو توريس بلباس، الأبنية الأسبانية الإسلامية، ترجمة: علي إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، عدد 1، مدريد، 1953، ص 127.

حجم المنزل يتحدد وفقا لعوامل منها مساحة الأرض المبنى عليها المنزل، وعدد أفراد الأسرة. فتميزت بذلك المنازل بالخصوصية وبناءها البسيط فكانت تحوي على الأبواب و الصحن الذي يعتبر أساس المنزل في قرطبة وهو عبارة عن فناء مكشوف يتوسط البناء، ويعتبر جزءاً أساسياً من المنزل لأن فيه تقوم المرأة بأعمالها المنزلية ويعتبر مرتع للأطفال وتزرع فيه الأشجار والأزهار، وجميع المنازل في قرطبة كان يتوسط صحنها بركة للمياه أي الأحواض المائية الجارية⁽¹⁾. حيث عمل الخلفاء على إيصال المياه الى دور العامة في قرطبة⁽²⁾. أما النوافذ فكانت تطل على الصحن لغرض التهوية والإنارة⁽³⁾، كما حوت المنازل على العديد من الغرف كغرف النوم وغرفة المعيشة وغرفة الاستقبال الخاصة بالضيوف وغالبا ما تكون بعيدة عن غرف المنزل الأخرى وذلك لغرض خصوصيتها، والحفاظ على حرمة المنزل⁽⁴⁾.

وأوردت كتب التاريخ والتراجم ذكر أسماء ومواقع عدد من الدور المنازل واصحابها ومواقعها ومنها:

- دار القاضي منذر بن سعيد البلوطي: التي تقع بجوار مسجد السيدة الكبرى بالربض الغربي من قرطبة⁽⁵⁾.

(1) الونشريسي، المصدر السابق: 77 / 2؛ وينظر: بلباس، المرجع السابق، ص 127؛ مصطفى، المرجع السابق: 50 / 2.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق: 144 / 4؛ المقرئ، نفح الطيب: 78-79، 85-86.

(3) عثمان، المرجع السابق، ص 336، ص 340.

(4) المرجع نفسه، ص 343.

(5) الضبي، المصدر السابق، ص 451؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 383 / 2؛ المقرئ، نفح الطيب: 290-293؛ ازهار الرياض: 295 / 2.

- الدار المنسوبة الى اولاد زكريا أخي نجدة الصقلي الذي أراده الخليفة الناصر لأحدى جواريه فرفض القاضي منذر بن سعيد بيعه لأنه مال ايتام ويقع هذا الدار بقرب النشارين في الربض الشرقي من قرطبة⁽¹⁾.

- دار الأمام محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن معاوية ولد سنة (313هـ/ 925م) الواقع بمقبرة مرمرة⁽²⁾، ودار الأمام عبد الله بن سليمان بن وليد بن طالب بن عبيدة الجذامي ولد سنة (321هـ/ 933م) الواقع بالقناطر في الجهة الجنوبية من قرطبة⁽³⁾. ودار الأمام عبد الله بن خلف بن عطية الازدي ولد سنة (327هـ/ 938م) الواقعة بزقاق الشيلاري بالربض الشرقي من قرطبة⁽⁴⁾.

وفي فحص البلوط بقرطبة كان يقع دار أم الحسن اخت القاضي المنذر بن سعيد البلوطي، وكان دارها مقسما الى دار للسكن ودار للعبادة حيث كان يقصده النساء الاتقياء للعبادة والتفقه في الدين⁽⁵⁾.

ودار محمد بن طرفة القريب من مقبرة عامر القرشي الواقعة خارج باب عامر⁽⁶⁾، وايضا دار ريان الوصيف الواقع بجوار منار الجامع⁽⁷⁾، ودار حبيب بن

(1) المقرئ، نفح الطيب: 2/ 191 - 192.

(2) ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 496.

(3) المصدر نفسه: 1/ 248.

(4) المصدر نفسه: 1/ 248.

(5) ابن الابار، أعلام النساء، ص 114.

(6) ابن حيان، تحقيق الحجري، ص 200. وينظر: خارطة رقم 5.

(7) المصدر نفسه، ص 200.

أحمد الشطيري شاعر أدرك عهد الخليفة الحكم المستنصر (ت 430هـ / 1038) ويقع بالقرب من بيعة شنت أجلاج بقرطبة⁽¹⁾، ودار الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن الجسور (ت 401هـ / 1010م) ويقع ببلاط مغيث بقرطبة⁽²⁾.

ويظهر أن بعض هذه الدور، كانت مهياة لاستقبال الوفود الزائرة لدار الخلافة في قرطبة، مما يؤشر إمكانات أصحابها المادية وكونها بيوتا غير عادية قياسا إلى بقية دور الرعية فعلى سبيل المثال تمت استضافة نساء جعفر بن الأندلسي في دار يوسف بن سليمان المعروفة بدار البياني الواقع داخل قرطبة⁽³⁾، كما أقامت نساء يحيى بن الأندلسي في دار قاسم بن يعيش داخل المدينة قرطبة في عهد الخليفة الحكم المستنصر⁽⁴⁾.

ثالثا: إنشاء المدن

أ. مدينة الزهراء

تقع مدينة الزهراء في الجهة الغربية من قرطبة⁽⁵⁾، وتبعد عنها مسافة خمسة

(1) ابن جليل، المصدر السابق، ص 96؛ الحميدي، المصدر السابق، ص 186 - 187.

(2) المصدر نفسه، ص 107.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 44.

(4) المصدر نفسه، ص 44، 53.

(5) الأدریس: المصدر السابق، ص 212؛ العذاري، المصدر السابق، ص 123؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3 / 161؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2 / 209؛ الانصاري، المصدر السابق، ص 242؛ الحميري، المصدر السابق، ص 295؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص 201. وينظر خارطة رقم 2.

أميال (8.045 كم)⁽¹⁾، في موضع يعرف قديماً باسم قوقريط⁽²⁾، على سفح جبل العروس المعروف بكثرة زرعه وجمال رياضة وبساتينه⁽³⁾.

وقد اجمع المؤرخون على ان سنة ابتداء الخليفة الناصر ببناء هذه المدينة كان في الأول من محرم سنة (325هـ / 936م)⁽⁴⁾.

أما بصدد الأسباب الكافية وراء بناء الزهراء، فقد تضاربت الروايات التاريخية ويمكن استعراض أهمها:

حيث يقال ان سبب بناء الخليفة الناصر لهذه المدينة جاء عقب وفاة جارية له تركت مالا كبيرا فأمر بأن يفك بهذا المال أسرى المسلمين في بلاد الافرنج إلا انه لم يكن هناك اسرى. فطلبت منه جاريته الأخرى التي تدعى الزهراء ان يبني

-
- (1) الادريس، المصدر السابق، ص212؛ وقيل تبعد عنها مسافة ((اربعة أميال وثلثي ميل)). ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان: 3/ 15؛ وينظر: زيدون، المرجع السابق، ص337.
- (2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص478؛ العذري، المصدر السابق، ص123.
- (3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص107؛ النويري، المصدر السابق: 22/ 115-116؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 437؛ سالم، قرطبة: 1/ 233؛ العزي، المرجع السابق، ص32.
- (4) ابن غالب، المصدر السابق، ص300؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 209؛ ذكر بلاد الاندلس، ص162؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص38؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص46-47؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص58؛ الحميري، المصدر السابق، ص95؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 55؛ ازهار الرياض: 2/ 269؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 437؛ العبادي، في التاريخ العباسي، ص416؛ سالم، قرطبة: 1/ 233؛ الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية، دمشق، دار الفكر، 1973، ص337؛ زيدون، المرجع السابق، ص338.

لها قصراً خاصاً بها، فاستجاب لرغبتها، وحقق لها رجاءها، وبنى مدينة الزهراء
واتقن بناءها⁽¹⁾.

ويستبعد عبد العزيز سالم⁽²⁾ هذه الرواية وخضوع الناصر لنزوة إحدى
جواريه لتفسير سبب بناء الزهراء، إذ أنه لا يعقل أن رجلاً في قوة الناصر وعظمة
آنذاك أن يضعف أمام نزوة جارية يمتلكها كما يقول.

وتكمن الأسباب الرئيسة التي دفعت الخليفة الناصر إلى هذا البناء وبحسب
عدد لا بأس به من المؤرخين القدامى، رغبته في البناء والتشييد حيث مثل عصره
الذروة العليا من الازدهار السياسي والاقتصادي والثقافي فأسس مدينة الزهراء
إشباعاً لرغبته في البناء وتحقيقاً لمجده وعظمته وإظهاراً لفخامة ملكه⁽³⁾.

كما وجد الخليفة الناصر أن قصر الخلفاء داخل قرطبة لم يعد يتسع
للمظاهر الكبرى التي تناسب عظمة دولته آنذاك، إذ تقاطرت الوفود على قرطبة

(1) المقري، نفح الطيب: 55/2؛ وينظر: حمودة، المرجع السابق، ص 214؛ سالم، قرطبة: 1/233؛
هونكة، المرجع السابق، ص 498. ويذكر أن الخليفة الناصر تعب نتيجة لخسارته في معركة الخندق
سنة (325هـ/936م) وتأثر كثيراً فأشير عليه بأن يعكس همه إلى حب الأشياء عنده فكان
البنيان فبنى الزهراء. ينظر: ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 437.

(2) قرطبة: 1/234.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص 302؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 1/179-180؛ ابن خلدون،
المصدر السابق: 4/144؛ المقري، نفح الطيب: 2/89؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/436؛
مرزوق، المرجع السابق، ص 45.

في أيام الخليفة الناصر وما بعده حتى أواخر القرن الرابع الهجري الذي مثل عصر سيادة قرطبة ومجدها الزاهر⁽¹⁾.

أما سبب تسميتها بالزهراء فقليل أنه ((تانبث الازهر، وهو الأبيض المشرق والمؤنثة زهراء والازهر النير))⁽²⁾. وربما تيمناً باسم جاريته الزهراء كما مر بنا في اعلاه. وقد يكون كما يقول ابن غالب وغيره⁽³⁾، أطلق عليها هذه التسمية لكثرة ازهار بساكنها المحيطة بها فكانت الزهراء صفة لهذه المدينة.

وعهد الخليفة الناصر بناء المدينة الى العريف المهندس مسلمة بن عبد الله للنظر في بنيان الزهراء⁽⁴⁾، وساعده في ذلك ثلاث أمناء هم عبد الله بن يوسف عريف البنائين وحسن بن محمد وعلي بن جعفر الاسكندراني⁽⁵⁾، وكان المتولي والمشرف على هذا البنيان ابنه الحكم المستنصر⁽⁶⁾. ويشير ابن خلدون⁽⁷⁾ أن الخليفة الناصر حشد لبناء الزهراء امهر المهندسين والصناع والفنانين من سائر الانحاء، ولاسيما من بغداد والقسطنطينية. فاستخدم في بناءها كل يوم من حذاق

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 213 / 2، 215، 218؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 143 / 4؛ المقرئ، نفح الطيب: 298 / 1 - 299؛ وينظر: حمودة، المرجع السابق، ص 192؛ حتى، المرجع السابق: 623 - 624.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 161 / 2.

(3) فرحة الانفس، ص 300؛ المقرئ، نفح الطيب: 56 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 235 / 1.

(4) ابن غالب، المصدر السابق، ص 300؛ وينظر: العبادي، في التاريخ العباسي، ص 416.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 231 / 2؛ المقرئ، نفح الطيب: 88 / 2.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 231 / 2؛ المقرئ، نفح الطيب: 88 / 2؛ وينظر: العبادي، في التاريخ العباسي، ص 416؛ سالم، قرطبة: 238 / 1.

(7) العبر: 144 / 4.

البناء ثلاثمائة والنجارين مئتان ومن العمال والفعلة خمسمائة ما عدا من كان يشترك في البناء من النصارى الأسبان⁽¹⁾. وقيل كانت عدتهم عشرة الاف رجل يتفاوت اجر الواحد منهم ما بين درهم ونصف وثلاثة دراهم من الفضة⁽²⁾.

كما استخدمت مواد أولية كثيرة في البناء كالصخر المستعمل للتبليط فضلا عن الجير والجبس⁽³⁾، أما الرخام فاستخدم في البناء بمدينة الزهراء بكافة ألوانه مما كان يجلب من داخل البلاد او خارجها حيث كان يتولى جلبه عريف البنائين عبد الله بن يوسف وعلى بن جعفر الاسكندراني من قرطاجنة وأفريقية وتونس⁽⁴⁾. كما استخدمت سوارى الرخام المجلوبة من القسطنطينية وأفريقية وروما⁽⁵⁾. واعتمد على الخشب في صناعة الأبواب فبلغت عدد الأبواب في الزهراء ما يقارب الـ 15 ألف باب⁽⁶⁾. وربما عدد الأبواب هنا مبالغ فيه نوعا ما.

وبهذا اقام الخليفة الناصر مدينته التي بلغت غاية من العظمة والرخاء

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص 300.

(2) المقرئ، نفح الطيب: 57 / 2؛ وينظر: الرفاعي، الإسلام في حضارته، ص 362 - 363.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص 300؛ ابن عذارى، المصدر السابق: 231 / 2؛ المقرئ، نفح الطيب: 57 / 2؛ ازهار الرياض: 269 / 2.

(4) ابن عذارى، المصدر السابق: 231 / 2؛ المقرئ، نفح الطيب: 88 / 2.

(5) ابن غالب، المصدر السابق، ص 300-301؛ ابن عذارى، المصدر السابق: 231 / 2؛ ذكر بلاد الاندلس، ص 162؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 161 / 3؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 38؛ المقرئ، نفح الطيب: 86 / 2؛ عنان، دولة الإسلام: 437 / 2؛ سالم، قرطبة: 239 / 1.

(6) ابن غالب، المصدر السابق، ص 301؛ المقرئ، نفح الطيب: 56 / 2.

ويقدم لنا الادريسي⁽¹⁾ وصفا لشكل بناءها فيقول إنها كانت ((في ذاتها مدينة عظيمة مدرجة البنية مدينة فوق مدينة سطح الثلث الأعلى يوازي على الجزء الأوسط و سطح الثلث الاوسط يوازي على الثلث الاسفل وكل ثلث منها له سور)).

فالجزء الاعلى من المدينة كان يضم قصر الخلافة وهو أول بناء إقامه عرفاء الخليفة الناصر⁽²⁾ ويضم مجلسين هما المجلس الشرقي الذي يعرف بقصر المؤنس يشرف على الرياض وهو بيت المنام الخلافي⁽³⁾، ولهذا المجلس محراب كان يجلس فيه الخليفة الحكم المستنصر ويشرف على الرياض⁽⁴⁾، وهو مزين بحوض من الرخام الأخضر نصب في وسطه وحفرت عليه نقوش تمثل صورا آدمية مذهب، كان قد جلب من قبل كل من احمد اليوناني وربيعة الاسقف⁽⁵⁾ من القسطنطينية وادير حوله اثني عشر تمثالا من النحاس مرصعة بالدر النفيس من صناعة قرطبة

(1) نزهة المشتاق، ص 212.

(2) المصدر نفسه، ص 212؛ النويري، المصدر السابق: 22/ 115-116؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 58، 86؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 239.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 231؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/ 58؛ ازهار الرياض: 2/ 270؛ وينظر: بول، المرجع السابق، ص 134-136؛ سالم، قرطبة: 1/ 239-240.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 28.

(5) وهو ربيع بن زيد من نصارى قرطبة ويدعى (رسوموندو) وعمل سفيرا لدى الخليفة الناصر، وكان يتحدث الى جانب العربية اللاتينية بشكل جيد، ومثل كئائب في عدة سفارات للدولة الأموية في الأندلس كالسفارة التي أرسلت لإمبراطور الجرمان وايضا السفارة التي أرسلت الى القسطنطينية. ينظر: Arie , Op. cit, P.7.

وتمثل هذه التماثيل صور الحيوانات كالأسد والغزال والتمساح والثعبان والعقاب والحمامة والشاهين والطاووس والدجاجة والديك والفيل والحداة والنسر ويخرج الماء من أفواهها⁽¹⁾.

أما المجلس الغربي والذي يسمى بالبديع⁽²⁾ فكانت جدرانه مصنوعة من القراميد المذهبة بالرخام الملون وكسيت أرضيته بالرخام الملون الصافي، وكان يتوسط هذا المجلس اليتيمة التي جلبها ليون صاحب القسطنطينية⁽³⁾، وهو حوض مذهب كبير ملأه الخليفة الناصر بالزئبق وقيل ان الناصر اذا أراد ان يفرغ أحدا من أهل مجلسه او صقالبته يحرك الزئبق فيظهر في المجلس لمعان البرق من النور فيأخذ بمجامع القلوب⁽⁴⁾.

ويتوسط هذين المجلسين بهو اوسط كبير المساحة، وجدرانه مذهب

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص 301؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 231 / 2؛ ذكر بلاد الاندلس، ص 163؛ المقرئ، نفح الطيب: 88 / 2؛ ازهار الرياض: 270 / 2 - 271؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 237 / 2 - 238؛ الرفاعي، الإسلام في حضارته، ص 263 - 364؛ لوبون، المرجع السابق، ص 290؛ وينظر: Arie , Op., cit , P. 7 - 8

(2) ابن غالب ن المصدر السابق، ص 301؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 232 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 240 / 1.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص 301؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 232 / 2؛ المقرئ، نفح الطيب: 58 / 2.

(4) ابي عبد الله محمد بن بكر الزهري، كتاب الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب، تحقيق: محمد حاج صادق، دمشق، منشورات المعهد الفرنسي، 1970، ص 87 - 88؛ النويري، المصدر السابق: 116 / 22؛ المقرئ، نفح الطيب: 58 / 2؛ وينظر: لوبون، المرجع السابق، ص 287؛ عنان، دولة الإسلام: 437 / 2.

أعدت خصيصاً للاحتفالات الكبرى واستقبال السفارات ومبايعة الخلفاء⁽¹⁾، ففي هذا البهو جلس شائجة بن زدمير عندما وفد على الخليفة الناصر سنة 347هـ/ 958م⁽²⁾، وجلس فيه أردون الرابع عندما قدم الى قرطبة ليستنصر بالخليفة الحكم المستنصر⁽³⁾.

كما اشتمل القصر الخلافي في الزهراء على العديد من الدور كدار الجند الذي كان مخصصاً لحرس الخلافة⁽⁴⁾. وقيل انه كان فيه 125 داراً ومخازن واهراء للزيت⁽⁵⁾ وأيضاً شمل على السجن الكبير⁽⁶⁾.

واحيط القصر بالفصالات⁽⁷⁾ كفصيل الكتاب وفصيل ابي العراض⁽⁸⁾ واحيط القصر بسور⁽⁹⁾ فتح فيه عدة أبواب منها باب المدينة المطل على الصحراء وباب الاقباء⁽¹⁰⁾ وباب السدة الأعظم وعرف بباب الصورة الاعظم⁽¹¹⁾.

(1) المقرئ، نفح الطيب: 301 / 1.

(2) المصدر نفسه: 286 / 1.

(3) المصدر نفسه: 302-303 / 1.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 156، 197.

(5) ابن غالب، المصدر السابق، ص 301.

(6) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 104.

(7) مفردة الفصيل: ويعنى حائط مرصوف بالحجارة قصير دون سور المدينة او الحصن، ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 1102 / 2.

(8) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 50-51.

(9) الادريسي، المصدر السابق، ص 212؛ ويشير ابن حوقل الى ان سور مدينة الزهراء لم يكن تام البناء. ينظر: صورة الأرض، ص 108؛ ويذكر الذهبي، ان سور الزهراء كان محاطاً بثلاثمائة برج. ينظر: تاريخ الإسلام، ص 47.

(10) المقرئ، ازهار الرياض: 287 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 242 / 1.

(11) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 49.

والى الشرق من القصر الخلافي في مدينة الزهراء كانت هناك الدور والقصور للوزراء وإشراف الناس وكبار رجالات الخدمة⁽¹⁾.

أما الطبقة الثانية من مدينة الزهراء فأشتملت على الرياض والبساتين الواسعة واتخذت في احدى جوانبها مسارح للحيوانات فجعل فيها ((محلات للوحوش فسيحة الفناء متباعدة السياج ومسارح للطيور مظلة بالشباك))⁽²⁾. وأقام في جانبها الآخر حوضاً للسباحة وقد أشار الفتح بن خاقان⁽³⁾ (ت535هـ/1140م) الى هذا الحوض في معرض حديثه عن القاضي منذر بن سعيد البلوطي عندما حضر مع الخليفة الحكم الى بركة السباحة.

وفي جانب آخر من الرياض أقيمت بحيرات للأسماك وأنواع الحيتان التي كان يخبز لها في كل يوم 800 خبزة⁽⁴⁾ وقيل 12 ألف خبزة⁽⁵⁾ وهو رقم مبالغ فيه، وكان ينقع لها من الحمص الأسود ستة اقفزة كل يوم⁽⁶⁾.

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص301.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق: 144/4؛ المقري، نفح الطيب: 95/2؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 238/2؛ لوبون، المرجع السابق، ص290؛ سالم، قرطبة: 443/1؛ جودة هلال ومحمد محمود صبح، قرطبة في التاريخ الإسلامي، القاهرة، دار القلم، 1962، ص63.

(3) مطمح الانفس، ص255-266؛ وينظر: المقري، نفح الطيب: 193/2؛ وعن برك السباحة ينظر: المقري، نفح الطيب: 86/2.

(4) وصف جديد لقرطبة، ص170؛ وينظر: سالم، قرطبة: 244/1؛ وقيل ثلاثون خبزة في اليوم، ينظر: مؤلف مجهول، كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مجلد 9-10، مدريد، 1961-1962، ص81.

(5) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص38؛ وينظر: سالم، قرطبة: 244/1.

(6) وصف جديد لقرطبة، ص170؛ ذكر بلاد الأندلس ن ص166. والقفيز يعادل قيمته 42 مداً من امداد النبي أي انه كان يكيل 44.16 لتراً. وينظر: فالترهانس، المكايل والأوزان الإسلامية

أما الطبقة الثالثة من المدينة الزهراء فكانت تحوي دور العامة والأسواق والحمامات والخانات والمتزهات والمسجد الجامع⁽¹⁾، وقد شجع الخليفة الناصر الناس على البناء في مدينة الزهراء وذلك بأن أعطى مكافئة تبلغ 400 درهم لمن يبنى فيها فتسارع الناس للبناء، وامتد العمران فيها حتى كادت الابنية تتصل فيها بينها⁽²⁾.

ولم يمضي أربع سنوات على إنشاء جامع الزهراء حتى احتفل الخليفة الناصر سنة (333هـ/944م) باستقبال محمد بن أبي العيش بن عمر بن ادريس بقصر الزهراء ((وقعد له أفخم قعود، فأوصله الى نفسه وابلغ في تكريمه))⁽³⁾. وفي العام التالي انتقل الى المدينة بيته وحرسه وخدمة ورجال حاشيته، وفي سنة (336هـ/976م) نقل دار السكة من قرطبة الى الزهراء⁽⁴⁾، كما نقل إليها بيت المال والدواوين والسجن والخزائن⁽⁵⁾، وأقام فيها داراً لصناعة الآلات والحلي⁽⁶⁾، ومنذ ذلك الحين أصبحت مدينة الزهراء مركزاً للدولة وبلغت الغاية من الفخامة فقدر حجم ما انفق عليها في عهد الخليفة الناصر في كل سنة 300 ألف دينار⁽⁷⁾.

وما يعادها في النظام المترى، ترجمة: كامل العسلي، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، 1970، ص 68.

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص 212.

(2) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 107.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 212؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 247.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 215؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 247.

(5) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 107.

(6) المقرئ، نفح الطيب: 2/ 95.

(7) المصدر نفسه: 2/ 88؛ ازهار الرياض: 2/ 269.

واستمر العمل في مدينة الزهراء بعد وفاة الخليفة الناصر (350هـ / 961م) وكمل البناء في عهد الخليفة الحكم المستنصر⁽¹⁾، ويغلب الظن ان أعمال البناء بدأت في مدينة الزهراء منذ سنة (360هـ / 970م) استنادا الى تاج من الطراز المركب مؤرخ في سنة (361هـ / 971م) وتيجان تحمل اسم الخليفة الحكم المستنصر وثبت عليها تاريخ (361هـ / 971م) تم اكتشافهم في إطلال المدينة⁽²⁾. كما ينسب الى الخليفة الحكم المستنصر إقامة دار الملك التي جعلها مكانا لجلوس ابنه الأمير هشام مع معلمه الفقيه احمد بن يوسف (ت 367هـ / 977م) للتعلم⁽³⁾. وبلغت مساحة مدينة الزهراء عند تمام بناءها من الشرق الى الغرب 2700 ذراع وعرضها من القبلة الى الجنوب 1500 ذراع⁽⁴⁾.

وقد وصلت العناية بمدينة الزهراء، بناءا وجمالا أثارت عند الشعراء الحفيظة فجعلتهم يصفونها بأجمل الأوصاف ومن ذلك على سبيل المثال حيث قال الشاعر محمد بن شخصين⁽⁵⁾ يصف الزهراء:

هَذي تباني أمير المؤمنين غدت

يُزري بها آخر الدنيا على الأول

كذا الدراري وجَدنا الشمسَ

(1) المقرئ، نفح الطيب: 95 / 2.

(2) سالم، قرطبة: 249 / 1.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 76-77؛ وينظر: النقيب، المرجع السابق، ص 173.

(4) المقرئ، نفح الطيب: 56 / 2.

(5) وهو محمد بن مظرف بن شخيص توفي قبل الأربعمئة. ينظر في ترجمته: الحميدي، المصدر السابق، ص 91؛ الضبي، المصدر السابق، ص 119.

قدراً وان قصرت في العلو عن

لقد جلا مصنع الزهراء عن اثر

مُوحِدِ القدر عن مثلٍ وعن مثلٍ

فأنت محاسنها مجُهودَ واصِفها

فالقولُ كالسكتِ والايجازُ

وجاءت وفاة الخليفة الحكم المستنصر سنة (366هـ/ 976م) الحد الفاصل للزيادة والتوسع في بنيان مدينة الزهراء، وبقيت مدينة الزهراء مركزاً للخلافة في عهد الخليفة هشام بن الحكم وكان الحاجب المنصور بن ابي عامر قد اتخذ له منية عرفت بالمنية العامرية الى جانب مدينة الزهراء سنة (369هـ/ 979م)⁽²⁾. وبعد ان استلم السلطة واستبد بها نقل مركز السلطة من مدينة الزهراء الى مدنيته الجديدة الزاهرة واصبحت المقر الأثير للحكم وبذلك سلب كل نشاط مدينة الزهراء الإداري والاقتصادي⁽³⁾.

ولما اشتعلت نار الفتنة البربرية في الاندلس سنة (399هـ/ 1008م)⁽⁴⁾ تعرضت مدينة الزهراء الى موجات من التخريب على يد البربر حيث أحرق مسجدها والقصر والدور وجميع المستغلات سنة (403هـ/ 1017م) وبذلك

(1) الكتاني، المصدر السابق: 73 / 1.

(2) المقرئ، نفح الطيب: 97 / 2 - 98.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 275 / 2؛ وينظر: Arie , Op. cit , P. 12

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 38 / 3 - 39؛ الحميري، المصدر السابق، ص 295؛ وينظر: هلال، المرجع السابق، ص 69.

اندثرت مدينة الزهراء نتيجة للخراب الذي لحقها⁽¹⁾. وظل ذكراها يمثل معلماً للخلافة الأموية بالأندلس، ودلالة على النهوض العمراني والتقدم الذي شهدته البلاد آنذاك.

ب. مدينة الزاهرة

تقع مدينة الزاهرة شرقي مدينة قرطبة على ضفة نهر الوادي الكبير بقرطبة في الموقع المعروف بالش⁽²⁾.

بناها الحاجب المنصور بن ابي عامر سنة (368هـ/ 978م) بعد ان تمكن من الاستئثار بالحجابة والاستبداد بشؤون الدولة والسيطرة على زمامها⁽³⁾ متمثلاً بذلك بأمراء الديلم بالنسبة للخلفاء العباسيين في بغداد⁽⁴⁾. ومن الممكن ان الحاجب المنصور أراد ان يعبر عن مدى عظمته وقدرته وتمكنه من زمام الدولة بالبيان تقليداً للذين سبقوه من خلفاء الأندلس ويعبر ابن خاقان⁽⁵⁾ عن مثل هذا

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 107/3؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/251؛ ييضمون، المرجع السابق، ص314-315.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 258/2؛ الحميري، المصدر السابق، ص283-284؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 235/2؛ سالم، قرطبة: 1/258؛ ييضمون، المرجع السابق، ص351.

والش: مضمومة اللام، وهي موضع يقع شرقي مدينة قرطبة، وكان بها بئر يعود لأبن بدر بني حوله مدينة الزاهرة أيام الحاجب المنصور ابي عامر، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص283.

(3) ذكر بلاد الاندلس، ص180؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 275/2؛ الحميري، المصدر السابق، ص283.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 272/2.

(5) نقلا عن الحميري، المصدر السابق، ص283؛ المقرئ، نفح الطيب: 2/95.

التوجه بقوله ((عندما تكامل واستفحل امره، واتقد جهره، وظهر استبداده... فسمّا الى ما سمت إليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ويحل بأهله وذويه، ويضم إليه رياسته، ويتم به تدبيره وسياسة، ويجمع فيه فتياه وغلمانه)).

ويشير ابن عذاري⁽¹⁾ الى سبب آخر للبناء وهو ان الحاجب المنصور بن ابي عامر خشي على نفسه من الأعداء الجدد كأنصار حكم الخليفة الشرعي هشام المؤيد من جند وحاشية وحرس وموالين فامتنع الحاجب المنصور بن ابي عامر من الدخول الى القصر وبذلك شرع ببناء قصر جديد له ن وقد ابتدا سنة (368هـ / 978م) في حشد العمال وجلب إليها الآلات والصخور والأخشاب وبداء في تسوية أرضها وبقعتها وتوسع في خطتها واحاطها بأسوار مرتفعة⁽²⁾، وقد فتحت فيها أبواب عديدة منها باب السباع والجنان⁽³⁾ وباب الفتح الذي يقع شرق مدينة الزاهرة⁽⁴⁾، واقامت فيها المنيات والمتزهات والبساتين والرياض ومن منياتها وقصورها التي اقامها الحاجب المنصور بن ابي عامر والتي أجريت فيها المياه والغدران كذات الوادين وارطانية ومنية السرور⁽⁵⁾، واقام لأبنة المظفر قسراً خاصاً به الى جانب الزاهرة⁽⁶⁾. وقال صاعد الأندلس (ت 467هـ / 1069م)⁽⁷⁾:

(1) البيان المغرب: 275 / 2.

(2) المصدر نفسه: 275 / 2؛ المقري، نفح الطيب: 95 / 2.

(3) التويري، المصدر السابق: 129 / 22؛ وينظر: سالم، قرطبة: 259 / 1.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 5 / 3.

(5) المصدر نفسه: 298 / 2 - 299؛ المقري، نفح الطيب: 124 / 2.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 63 / 3.

(7) برواية ابن عذاري، المصدر السابق: 277 / 2.

يا أيها الملك المنصورُ من يَمَنِ
بغزوةٍ في قلوبِ الشريكِ راتِعةٍ
أما ترى العينُ تجري فوق مَرمرِها
أجريتِها فطما الزاهبِ بحريتها
تخالُ فيه جنودُ الماءِ رافلةً
تخفها من قُتون الأيِّكِ زاهرةً
بديعةُ الملِّكِ ما ينفكُ ناظرِها
لا يحسنُ الدهرُ أن يُنشِي لها مثلاً
والمبُتني نسباً غيرَ الذي انتسباً
بين المنايا ثناغى السُمرِ والقصبِ
زهاً فتجري على أحسائها الطرباً
كما طموت فسدتُ العُجم والعربا
مستلثماتِ ثريكَ الدرعِ واليلبَا
قد أورقتُ فضةً إذ أثمرت ذهباً
يتلو على السَّمعِ منها آيةٌ عجبا
ولو تُعنت فيها نفسهُ طلباً

واستغرق العمل في بناء معظم الزاهرة عامين وانتقل إليها سنة (370هـ / 980م) فنزلها بخاصته وعامته ((وشحنها بجميع أسلحته وأمواله وامتنعته واتخذ فيها الدواوين وعمل في داخلها الأهرار وأطلق بساحتها الأرحاء ثم اقطع ما حولها لوزرائه وكتابه وقواده وحجابه، فابتنوا بها كبار الدور المفيدة، والمنازه (المتزهات) المشيدة وقامت بها الأسواق... وتنافس الناس بالتزول بأكنافها، والحلول بأطرافها، للذنو من صاحب الدولة وتناهى العلو في البناء حوله حتى اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة))⁽¹⁾.

كما عمل الحاجب المنصور بن أبي عامر على بناء المسجد الجامع فيها والذي سبق ذكره في موضوع المساجد الجامعة، وهكذا حلت

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 275 / 2 - 276؛ ويقارن: المقري، نفح الطيب: 96 / 2؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 536 / 2؛ مصطفى، المرجع السابق: 218 / 1؛ سالم، قرطبة: 259 / 1.

الزاهرة محل الزهراء وأصبحت بحق مركزا للسلطة وقاعدة للحكم ففيها استقبل الحاجب المنصور ملك نافار وحاضرتها بنبلونة شانجة الثاني (359هـ / 970م - 385هـ / 994م) سنة (382هـ / 992م)، وجلس على سريريه وقد اكتنفه وزرائه وأعظم رجال دولته، فبهت شانجة من عظمة المجلس وروعة الموقف مما عاينه من فخامة السلطة⁽¹⁾.

وبعد الخليفة هشام المؤيد من الشخصيات البارزة التي زارت الزاهرة في عهد المظفر بن ابي عامر سنة (398هـ / 1007م) لأغراض التزهة والاستجمام، فسر الخليفة لهذه الزيارة⁽²⁾.

وبقيت الزاهرة مركزا للسلطة حتى بعد وفاة الحاجب المنصور بن ابي عامر حيث استقبل المظفر بن ابي عامر سنة (394هـ / 1003م) الملك شانجة بن غرسية (391هـ / 1000م - 427هـ / 1035م) الذي قدم قرطبة ليلتمس الصلح من المظفر⁽³⁾.

ولم تطل حياة مدينة الزاهرة أكثر من ثلاثين عاما حيث داهمتها الفتنة البربرية بنارها فكانت أولى ضحاياها وهاجمها الشائرون في جمادي الأولى سنة (399هـ / 1008م) فنقبوا سورها واقتحموا المدينة ونهبوا خزائنها وكل ما كان فيها، وهدموا مبانيها وبذلك طمست معالمها وتلاشى أمرها⁽⁴⁾.

(1) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 88.

(2) المصدر نفسه، ص 73 - 74؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 260-261.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 10؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 328.

(4) ذكر بلاد الأندلس، ص 181؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 103؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 262؛ هلال، المرجع السابق، ص 76.

وهكذا شكل قرطا قرطبة الزهراء والزاهرة دليلا على عظمة الخلافة الأموية في الأندلس، المتمثلة بقوتها السياسية والاقتصادية في القرن الرابع الهجري، فقدمت بذلك إنجازات عمرانية كبيرة ظلت شاهدا على العصر.

رابعا: الخدمات العامة

أ. الارصفة والطرق

كان المسلمون يطلقون اسم الرصيف على كل الطرق المرصوفة كالطرق الرومانية، ومن بينها المحجة الكبرى او السكة العظمى (Via Augusta) وهي الطريق الروماني المرصوف بالحجارة والذي يبدأ من ميناء قادس في الجنوب على المحيط الاطلسي وينتهي بمدينة اربونة شمالا داخل الأراضي الفرنسية مارا بقرطبة واشبيلية وسرقطة وطركونة⁽¹⁾. وتتوسط هذه السكة المدينة العتيقة وتقطعها ابتداء من باب القنطرة جنوبا مارا بين المسجد الجامع وقصر الإمارة الى باب اليهود شمالا، وكان يلتقي بهذا الطريق الأعظم طريقان أحدهما غربي يمتد من باب عامر والثاني شمالي يمتد من باب اليهود بحيث يتألف من تقاطع هذه الطرق الثلاثة شكل صليبي، وهذا التخطيط في الشوارع هو النظام الرئيسي في تخطيط المدن الرومانية قديماً⁽²⁾.

ومن هذه الطرق الرئيسة كان يتفرع منها شبكة من الدروب والطرق

(1) المقرئ، نفح الطيب: 10/2؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص302.

(2) المقرئ، نفح الطيب: 10/2، وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص304-305؛ وينظر: خارطة رقم

الفرعية وقد اهتم الخلفاء بانشاء الارصفة والدروب، ففي سنة (326هـ / 937م) أمر الخليفة الناصر بعمل رصيف على ضفة النهر من الباب الجديد الى باب منية الناعورة تسهيلاً للطريق والذي لم يكن مرصوفاً مسبقاً ونظر للأمر بنفسه فتم له ذلك وأخذ الناس منه منفعة كبيرة⁽¹⁾.

ومن الطرق المستحدثة أيضاً في عهد الخليفة الناصر سنة (330هـ / 941م) بناء طريق ما بين قصره بالناعورة الى مدينة الزهراء، التي بناها سنة (325هـ / 936م)، وذلك تسهيلاً للطريق في تلك الجهة فجمع الأيدي العاملة والفعلة وتم انجازه في مدة شهر، فقدم خدمة كبيرة للسالكين⁽²⁾.

وورد ذكر اسم درب متصل بقصر لزامرة التي بناها الحاجب المنصور بن ابي عامر والذي كان متصلاً بالدرب الآخر من النهر (الوادي الكبير) الى الجانب الشرقي من قرطبة⁽³⁾.

وتشير المصادر التاريخية الى اسماء العديد من الدروب والسكك في قرطبة بعضها يعود الى عصر الإمارة والقسم الآخر الى القرن الرابع الهجري ومن هذه الدروب درب أشار إليه الخشني⁽⁴⁾ يعود الى ان جده عمر بن شراحيل المعافري كان يسكن بدرب الفضل بن كامل الواقع قبلي مسجد ابي عثمان أيام الأمير عبد الرحمن الداخل. وورد ذكر اسم درب يعود الى عهد الأمير عبد الرحمن

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 424.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجبي، ص 70-71.

(3) ابن حزم، طوق الحمامة، ص 98.

(4) قضاة قرطبة، ص 30.

اللاوسط، اسمه درب بني شراحيل نسبة الى قاضي قرطبة محمد بن شراحيل المعافري⁽¹⁾.

وفي القرن الرابع الهجري ذكر لنا ابن الفرضي⁽²⁾ اسم دربين آخرين بقرطبة الاول اسمه درب ابي اشهب، والآخر درب بني فطيس. واورد ابن بشكوال⁽³⁾ اسم محجة عرفت بمحجة بيرا بن عبد الحميد الواقعة بالربض الغربي من قرطبة، وسكن فيها الإمام احمد بن نصر بن عبد الله البكري.

وكان يقوم بحراسة كل درب من هذه الدروب حارس يسمى درب مفرد درابون ومسلح تسليحا كاملا لحماية الأزقة من اللصوص وقطاع الطرق⁽⁴⁾.

ويقدم ابن سعيد⁽⁵⁾ وصفا لمشاهد الدروب في الاندلس واسباب العناية الامنية بما قاله عنها: أن ((بلاد الاندلس لها دروب باغلاق تغلق بعد العتمة، ولكل زقاق بئث فيه، له سراج مغلق وكلب يسهر، وسلاح معد، وذلك لشرطة عامتها، وكثرة شرهم وإعيائهم في امور التلصص، الى ان يظهروا على المباني المشيدة، ويفتحوا الاغلاق الصعبة، ويقتلوا صاحب الدار خوفاً ان يقر عليهم، أو يطالبهم بعد ذلك)). ودروب قرطبة كانت مضياء ليلا بضوء السرج المتشرة

(1) ابن القوطية، المصدر السابق، ص 80؛ ابن حيان، تحقيق مكى، ص 179.

(2) تاريخ علماء الاندلس: 1/ 181، 2/ 79؛ وينظر: ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 481.

(3) الصلة: 1/ 19.

(4) المقرئ، نفح الطيب: 1/ 180؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص 305.

(5) نقلا عن المقرئ، نفح الطيب: 1/ 180؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص 305.

في كل دروبها⁽¹⁾، ومن هنا نلاحظ أهمية الدروب في حماية أهل قرطبة لأن الخروج من منفذ واحد يسهل الدفاع عنهم، فضلا عن كون هذه الدروب مضاءة مما يزيد الأمن والاطمئنان للمارة فيها.

وحافظت الدولة على حماية الطرق من الاقذار واصلاح الطرق المتضررة التي تحجر فيها المياه، كما كان كل شخص مسؤول عن إصلاح فناء داره لدفع الضرر عن الآخرين⁽²⁾.

وكان المحتسب يمنع إشغال الطرق بأي شيء يتسبب في ضيقها⁽³⁾، حتى تناسب حركة المواصلات ويسهل تحرك المارة داخل المدينة.

ب. الأسواق

كان بقرطبة سوقين كبيرين وهما يمثلان مركزا مهما للتجارة في قرطبة يقع احدهما في الجهة الشرقية وتحوي العديد من الحوانيت كحوانيت السراجين التي حبسها الخليفة الحكم المستنصر على المعلمين سنة (364هـ / 974م) وأمرهم بتعليم أولاد الضعفاء والمساكين من أهل قرطبة⁽⁴⁾، أما السوق الآخر فكان يقع باتجاه باب العطارين⁽⁵⁾ وكان يحوي على العديد من الحوانيت كحوانيت

(1) الشقندي، المصدر السابق، ص55؛ المقري، نفح الطيب: 4/2.

(2) ابن عبدون، المصدر السابق، ص37.

(3) المصدر نفسه، ص53؛ وينظر: خلاف، قرطبة الإسلامية، ص36.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص207؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 249/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 206/1.

(5) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص383.

البزازين⁽¹⁾ وحوانيت الريحاني⁽²⁾ والرقاقين⁽³⁾، كما وردت أسماء عدد آخر من الحوانيت لم يحدد بالضبط مواقعها كحوانيت الصوافين والنجارين والخراطين والمشاطين⁽⁴⁾ وقد أشار صاحب كتاب وصف جديد لقرطبة⁽⁵⁾ إلى أعداد حوانيت قرطبة بأنها بلغت ما يقارب 3452 حانوتاً، وقيل 80455 حانوتاً⁽⁶⁾.

وضمنت قرطبة قيساريات⁽⁷⁾ كبيرة حوت العديد من الحوانيت ففي سنة (361هـ/ 971م) أمر الخليفة الحكم المستنصر بإقامة حوانيت للبزازين بمكان دار البرد بغربي قصر قرطبة وفي صدر سوقها العظمي نتيجة لشكوى البزازين لضيق حوانيتهم وبذلك أصبحت دار البرد القديمة قيسارية للتجار توسعت بها السوق⁽⁸⁾. كما وجدت في قرطبة قيسارية إلى الجنوب الشرقي من المسجد الجامع على خريطة يعود تاريخها إلى سنة 1811م تجدد موضع هذه القيسارية⁽⁹⁾.

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 383.

(2) ابن بشكوال، المصدر السابق: 38/1؛ وينظر: سالم، قرطبة: 206/1.

(3) ابن بشكوال، المصدر السابق: 15/1، وينظر: سالم، قرطبة: 206/1.

(4) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 142.

(5) مجهول، ص 169.

(6) المقري، نفح الطيب: 68/2.

(7) القيساريات: وهي تعريب للكلمة اليونانية اللاتينية (Kaisareie) وتعني السوق القيصري التابع للدولة، وهو عبارة عن بناء كبير على شكل مستطيل، بداخله طريق وتتوزع فيه الحوانيت على كلا الصفيين. ينظر: سالم، العمارة المدنية، ص 145.

(8) ابن حيان، تحقيق الحججي، ص 66؛ وينظر: سحر عبد العزيز سالم، دار الطراز في عصر دولة بني أمية، مجلة دراسات أندلسية، عدد 13، تونس، 1995، ص 89.

(9) سالم، قرطبة: 181/1؛ مصطفى، المرجع السابق: 405/1.

وفضلاً عن إنشاء القيساريات اهتم خلفاء بني أمية بتشييد الأسواق وتوسيعها والاهتمام بها، ففي سنة (324هـ / 935م) أيام الخليفة الناصر شب حريق كبير بسوق قرطبة مما أدى إلى حرق عدد كبير من حوانيت السوق، حتى وصل الحريق دار البرد فأمر الخليفة الناصر بإعادة بناء السوق وتوسيعه والاهتمام به⁽¹⁾.

كما نلاحظ توسعاً في سوق قرطبة في عصر الخليفة الحكم المستنصر واصبحت تمتد حتى الرصيف، وكانت حوانيت القصابين تصل في الامتداد إلى النهر بحيث عرف الرصيف برصيف القصابين⁽²⁾.

وفي سنة (361هـ / 971م) أمر الخليفة الحكم المستنصر بتوسيع المحجة العظمى في سوق قرطبة لتوسيع السوق⁽³⁾، كما أمر بإقامة سوق نافقة للعلماء فيها الكتب وقد جلبت من كافة الأقطار⁽⁴⁾، حتى قيل انه ((إذا مات عالم باشيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى اشيلية))⁽⁵⁾.

وأورد الخشني⁽⁶⁾ اسم سوق عرف بسوق الحديد بقرطبة، وذكر اسم سوق

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 383.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجري، ص 145.

(3) المصدر نفسه، ص 71؛ وينظر: محمد عبد الوهاب خلاف، صاحب الشرطة في الاندلس، مجلة الاوراق، عدد 3، مدريد، المعهد الأسباني الثقافي، 1980، ص 75.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 146؛ المقرئ، نفح الطيب: 1/ 300: 2/ 8.

(5) المصدر نفسه: 2/ 9؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص 296.

(6) أخبار الفقهاء، ص 181.

آخر يقع خارج أسواق قرطبة للدواب⁽¹⁾، وأشار ابن عذاري⁽²⁾ الى عدة أسواق منها سوق الخشابين والنشارين والصاغة والبيازرة، وسوق السراشق الواقع بالقرب من قنطرة قرطبة⁽³⁾.

وعرفت العديد من الأرصفة باسم الأسواق التي وجدت فيها مثل شارع الخياطين ورصيف القصابين⁽⁴⁾.

ووجدت في أسواق قرطبة العديد من اصناف المواد كالفواكه والخضروات واللحوم المذبوحة كما وجدت في أسواق قرطبة الأسماك الطازجة، والحلوى التي كان لها بائعين خاصين، وأيضا وجد الحناطون أي بائعي القمح والشعير والبول والعدس والحمص، فضلا عن بائعي الملح والخل⁽⁵⁾.

وأخذت الدولة على عاتقها الاهتمام بنظافة الأسواق كما منعت الناس من الدخول الى القيساريات والأسواق على ظهور الدواب وذلك حفاظاً على نظافة الأسواق ومنع حصول أي ازدحام في الأسواق بالمارة⁽⁶⁾.

ج. الفنادق (الخانات)

تعد مدينة قرطبة من المدن الاندلسية التي انتشرت فيها مباني تدعى

(1) المقرئ، نفح الطيب: 138 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 182 / 1.

(2) البيان الغرب: 57 / 3، 107؛ وينظر: ابن خاقان، مطمح الانفس، ص 252.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 80 / 3؛ وينظر: سالم، قرطبة: 182 / 1.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 71.

(5) ابن عبدون، المصدر السابق، ص 44-45 وما بعدها.

(6) احمد بن عبد الله عبد الرؤوف، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، 1955، ص 111.

بالفنادق او الخانات⁽¹⁾، وقد كتب أحد المؤلفين المجهولين ان مدينة قرطبة احتوت على نحو 1600 فندق وخان وكانت هذه الخانات امكنة صالحة لاستقبال التجار والمسافرين والأفراد الأجانب وغيرهم⁽²⁾.

والى جانب وظيفتها في كونها مأوى للتجار والغرباء فقد كانت مخازن لتخزين المواد كالحبوب والفحم، وسميت بعض الفنادق باسم الاشياء التي تباع فيها⁽³⁾.

أما نظام بناء هذه الفنادق فكان على العموم متواضعاً في المساحة وبني تقريباً من مخزن او مخزين مرتفعين. ومخطط الطابق بسيط مؤلف من غرف صغيرة حول الفناء الداخلي الرئيس. ويمكن للتجار ان يقيموا في غرف الضيوف في الأعلى، في حين تبيت الحيوانات والبضائع في الطابق الأرضي بأمان حول الفناء⁽⁴⁾. وإذا كانت للفندق أهمية كبيرة فانه يشتمل على طابق آخر له نفس وظيفة الطابق السابق⁽⁵⁾.

(1) الفندق: كلمة اعجمية تعني بلغة أهل الشام خان، وهو المكان الذي ينزل فيه الناس، وتكون موجودة في المدن. ينظر: ابي منصور موهوب بن احمد بن محمد الجو اليقي، المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط2، بلا.م، مطبعة دار الكتب، 1969، ص287.

(2) وصف جديد لقرطبة، ص170.

(3) بلباس، المرجع السابق، ص118.

(4) كونستبل، المرجع السابق، ص189.

(5) بلباس، المرجع السابق، ص118.

وكان يعين خادم خاص على باب الفندق ويشترط ان يكون متقدما في السن وقوراً أميناً ولم يكن من المرغوب فيه ان يشغل الشباب او النساء هذه الوظيفة⁽¹⁾.

وبقي فندق أندلس وحيد حتى اليوم في غرناطة يعود للقرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ويطابق بناءه المخطط الأساسي للفنادق الاندلسية المبكرة. ويمكن مقارنته بها على نطاق واسع. ومساحة البناء 30×30م² تقريبا مع باحة رئيسية وثلاث طبقات يحتوي الاثنان الاخيران على نحو عشرين غرفة ضيوف في كل منها. وهي مفتوحة على ممشى على الغناء الرئيسي. ويبدو ان بالإمكان إيواء خمسين تاجرا ان لم يكن اكثر في هذا الفندق⁽²⁾. كما كانت الفنادق تخضع لفحص وتفتيش دقيق من قبل المحتسب للنظر في نظافتها وكيفية إدراتها من قبل صاحب الفندق⁽³⁾.

د. الخدمات الصحية

1. مشاريع المياه

تعد المياه شريان الحياة للإنسان والحيوان على حد سواء وتواجدها في المدينة هو أساس تكوينها. ولما كانت قرطبة واقعة على نهر الوادي الكبير فقد أدى ذلك الاهتمام بمشاريع الري وإيصال الماء العذب الى مختلف الأبنية الخاصة والعامّة وقد شهد القرن الهجري بناء العديد من المرافق الخدمية ومنها:

(1) المرجع نفسه، ص 119.

(2) كونستبل، المرجع السابق، ص 189.

(3) ابن عبدون، المرجع السابق، ص 35.

أ. الأقنية: (قنوات الري)

اهتم حكام الاندلس بإنشاء الأقنية وقنوات الري لإيصال المياه العذبة الى القصور والدور والمتنزهات وبرك السباحة إذ بنى الخليفة الناصر سنة (306هـ/ 919م) أقنية لإيصال المياه العذبة الى القصر الخلافي. وإنشاء ايضاً نافورة في العام نفسه أمام باب العدل أحد ابواب القصر الخلافي وبذلك أخذت المياه تتدفق الى القصر للملئ الصهاريج والبحيرات بالمياه العذبة⁽¹⁾.

وفي سنة (329هـ/ 940م) أمر الخليفة الناصر بإيصال قناة أخرى من جبل قرطبة الى قصر الناعورة غربي قرطبة معتمداً بذلك على المهندسين والمعماريين الذين عملوا على الإبداع في الصنعة فأجروا المياه الى بحيرة عظيمة أقيم عليها أسد عظيم الصورة بديع الصنع يجوز الماء الى مؤخرته فيدفعه الى البحيرة وكانت تسقى فيه كافة جنان القصر ومن ثم يتحول الماء الزائد الى النهر بعد ان تنال المدينة كفايتها⁽²⁾.

وسار الخليفة الحكم المستنصر على نهج والده الناصر في الاهتمام بإنشاء قنوات المياه العذبة في قرطبة، حيث عمل سنة (356هـ/ 966م) على إنشاء قناة تجلب المياه من عين في جبل قرطبة الى المدينة وتمدد سقايات المسجد الجامع

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 174؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 9، وينظر: فكري، المرجع

السابق، ص 180-181؛ 59، 57، P57، Op, cit , carcia , Provencal

(2) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 85-86؛ ازهار

الرياض: 2/ 266-267؛ وينظر: أمير علي، المرجع السابق، ص 438؛ شلي، موسوعة التاريخ:

100/4.

والميضاتين الشرقية والغربية بمياه عذبة تجري عبر قناة طبيعية من الحجر وفي جوفها أنابيب من الرصاص تحفظ المياه من الدنس⁽¹⁾.

ويقول الشاعر محمد بن شخيص:
وقد خَرَقَتْ بطون الأرض عن نُطْفٍ

من أَعَذَبَ الماءَ نَحْوَ الْبَيْتِ تُجْرِئُهَا

طُهْرُ الْجَسُومِ إِذَا زَالَتْ طَهَارَتُهَا

رَيُّ الْقُلُوبِ إِذَا حَرَّتْ صَوَادِيهَا

قَرَأْتُ فَخْرًا بِأَجْرِ قَلٍّ مَا اقْتَرْنَا

فِي أُمَّةٍ إِنْتَ رَاعِيَهَا وَحَامِيَهَا⁽²⁾

وهكذا يلاحظ ان هذه القنوات تكون مصنوعة إما من الحجر أو الرصاص. أما الأحواض والصهاريج فكانت مصنوعة من المرمر أو النحاس المنقوش، ونقش في بعض القصور عليها بالذهب والفضة⁽³⁾. وكان العرب مغرمين برؤية المياه وهي تجري في مختلف الأشكال سواء حول القصر أو الرياض أو حتى في وسط المنازل⁽⁴⁾.

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 240 / 2؛ المقري، نفح الطيب: 78 / 2 - 79؛ وينظر: مصطفى، المرجع السابق: 628 / 2؛ المزروعى، المرجع السابق، ص 140؛ النقيب، المرجع السابق، ص 168.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 240 / 2.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 240 / 2؛ المقري، نفح الطيب: 9 / 2، 85 - 86؛ وينظر: مصطفى، المرجع السابق: 628 / 2.

(4) جوزيف ماك كيب، مدينة العرب في الاندلس، ترجمة: تقي الدين الهلالي، بغداد، مطبعة العاني، 1950، ص 36؛ أمير علي، المرجع السابق، ص 438.

ب. القناطر والسدود والمنابر (الارحاء)

تشير المصادر التاريخية الى وجود قنطرتين بقرطبة: عرفت الأولى بعظمتها وحصانتها وتقع شمالي باب قرطبة الجنوبي على نهر الوادي الكبير وتصل مدينة قرطبة بربضها القبلي المعروف بشقندة⁽¹⁾. وكانت هذه القنطرة من بناء الامبراطور الروماني اغسطس قيصر في القرن الأول قبل الميلاد، وظلت قائمة الى اواخر دولة القوط الغربيين وتهدمت قبيل الفتح الإسلامي ولم يبق منها سوى دعائمها الراكبة في النهر⁽²⁾، وبقيت كذلك حتى ولاية السمع بن مالك الخولاني الذي كتب الى الخليفة عمر بن عبد العزيز يستشيريه في بناء هذه القنطرة من حجر السور فأمره الخليفة ببناء القنطرة سنة (101 هـ / 719 م)⁽³⁾ فرمىها ترميما حسنا حتى أصبحت إحدى مفاخر قرطبة⁽⁴⁾.

وقد تعرضت قنطرة قرطبة المذكورة لاصلاحات عديدة نتيجة لتعرضها لد النهر والسيول ففي سنة (331 هـ / 942 م) تثلمت قنطرة قرطبة بسبب مد

(1) ابن شباط، المصدر السابق، ص 142؛ وصف جديد لقرطبة، ص 165؛ الحميري، المصدر السابق، ص 458؛ المقرئ، نفح الطيب: 22 / 2؛ سالم، قرطبة: 197 / 1؛ وينظر خارطة رقم 5.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 26 / 2؛ المقرئ، نفح الطيب: 22 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 197 / 1.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 26 / 2؛ الرسالة الشريفة، ص 211؛ وصف جديد لقرطبة، ص 165؛ الانصاري، المصدر السابق، ص 242؛ المقرئ، نفح الطيب: 22 / 2.

(4) الادريسي، المصدر السابق، ص 212؛ ابن شباط، ص 142؛ وفيها يقول بعض علماء الاندلس:

بأربع فانت الامصار قرطبة	منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثتان والزهراء ثالثة	والعلم أعظم شئ وهو رابعها.

ينظر: المقرئ، نفح الطيب: 135 / 1.

نهرها⁽¹⁾، وفي سنة (334هـ/ 945م) تعرضت قرطبة لسيل عظيم مما أدى الى بلوغ الماد البرج المعروف ببرج السد فهدم من آخر القنطرة فأمر الخليفة الناصر باصلاحها⁽²⁾. وبعد عام من وفاة الخليفة الناصر أي سنة (351هـ/ 962م) اعيد ترميها من جديد من قبل الخليفة الحكم المستنصر⁽³⁾.

وما زالت هذه القنطرة قائمة ويبلغ طولها 223 مترا وعرض سطحها قريب من 8 أمتار وارتفاع عقودها فوق الارجل قريب من 15 مترا وعدد أقواسها 17 قوسا⁽⁴⁾.

أما القنطرة الثانية في قرطبة، فامر موقعها غير محدد بالضبط ولا يوجد لها أثر يدل عليها في الوقت الحاضر، ويقول عبد العزيز سالم⁽⁵⁾، أن المؤرخ الفرنسي ليفي بروفنسال يحدد موقعها في نقطة وصل الرصيف الى المصارة، وقد تكون هذه القنطرة التي يسميها بالعامرية نسبة لمؤسسها الحاجب المنصور بن ابي عامر مقامة من الجهة اليمنى من القنطرة الأولى لوجود بقايا دعائم في نهر قرطبة أيام جفافه.

وقد تسرع في بناءها الحاجب المنصور بن ابي عامر سنة (378هـ/ 988م)

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 210 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 199 / 1؛ فكري، المرجع السابق، ص 175

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 213 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 199 / 1.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 236 / 2.

(4) الادريس، المصدر السابق، ص 212؛ المقري، نفح الطيب: 23 / 2؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص 175-176.

(5) قرطبة: 201 / 1.

وفرغ من بنائها سنة (389هـ/ 998م) وانفق عليها 140 ألف دينار، وجاءت هذه القنطرة بمنفعة عظيمة لأهل قرطبة⁽¹⁾.

وفضلاً عن بناء القناطر، فقد أمر الخليفة الحكم المستنصر سنة (360هـ/ 970م) على بناء سد محكم الصناعة من الصخور والرمال والطفل وذلك على ضفة نهر قرطبة ملاصق للقنطرة الأولى لصرف جريان المياه من هذه الجهة وذلك لكشف الأرجل التي أثر فيها الماء⁽²⁾. وفي النصف من ذي الحجة في العام نفسه عمل الخليفة الحكم لمستنصر (سد المنعة) المعقود أسفل نهر قرطبة في الشرق لرفع جريان الماء عن أصول أرجل الحنايا التي ظهر وهي من أرجل القنطرة الأولى واقتلعت حجارة قنوات الرحي المصاوبة للرصيف بغربي القنطرة كي يستحيل الماء عن الأرجل فيتمكن من التوصل إلى إصلاح أسسها وتقوية ضعفها بالخشب والحديد وشرعت الأيدي العاملة بالعمل والتحصين تحت إشراف الخليفة الحكم نفسه الذي كان يطل على الموقع ليشاهد كيف يسير العمل فيها وإذا لم ينزل إلى المكان كان يرتقي إلى سطح قصر قرطبة المطل على باب السدة ويشرف على العمل وفي يوم الأحد لأربع بقين من محرم سنة (361هـ/ 971م) انتهى العمل في السد والقنطرة وركبت الخليفة الحكم وإجاز النهر للنظر في القنطرة إذ كمل البناء واستقوى التحصين فسر الخليفة بذلك⁽³⁾.

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 388؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص 71؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص 193-194.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 58.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 64-65؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 199-200؛ النقيب، المرجع السابق، ص 175.

وعلى هذا السد بنيت 3 بيوت ارحاء في كل بيت فيها 4 مطاحن⁽¹⁾. ووردت في الكتب التاريخية اسماء للعديد من الرحي كرحى القنطرة⁽²⁾ وارجاء ناصح⁽³⁾، ويعرف الارجاء باسم المنبر أيضا⁽⁴⁾. وربما لارتفاعها وتميزها عن حافة النهر.

2. الحمامات

كان الاهتمام ببناء الحمامات في بلاد الإسلام عامة، وفي الأندلس خاصة ذا أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية، فهي عادة متصلة في نفوس المسلمين فالطهارة في الإسلام أمر ضروري يستوجب الاغتسال والعناية بنظافة الإنسان، فلا غرابة ان تشهد المدن الأندلسية الكبيرة بناء العديد من الحمامات في أحياءها، ولم تشذ عن ذلك حتى القصور والمنازل المهمة، فقد كان لها حماماتها الخاصة بها⁽⁵⁾.

ويقدم عبد العزيز سالم⁽⁶⁾، وصفا لشكل وهيئة حمامات الأندلس في قوله: ((وكان الحمام الأندلسي يتألف عادة من مدخل يؤدي الى ثلاث قاعات أو أربع رئيسية مقبأة، تضاف إليها ملحقات الحمام من الموقد والمرحاض الى اخره. وكانت هذه القاعات تتصل فيما بينها عن طريق فتحات أو أبواب، وكانت تتخذ جميعها شكلا مستطيلاً، أو مربعاً بخلاف الحمامات المصرية في العصر الإسلامي،

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص212؛ وقارن: الحميري، المصدر السابق، ص458، والرحى: هي الطاحون.

(2) القاضي عياض، المصدر السابق: 3/337.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص68.

(4) المقري، نفح الطيب: 2/20.

(5) بلباس، المرجع السابق، ص108، 109.

(6) سالم، العمارة المدنية، ص140-141؛ وينظر: خلاف، قرطبة الإسلامية، ص30.

اذ كانت تدور حول غرفة مركزية. ويؤدي مدخل الحمام الى اسطوان أو ردهة صغيرة في شكل مرفق، يليه حجرة ضيقة مستطيلة تعلوها قبوه نصف اسطوانية بنهايتها قبوان يعرفان بالخلوتين. ويفصل هاتين الخلوتين عن بقية القاعة عقدان يستندان فيما بينهما على عمود مركزي. وتعرف هذه القاعة باسم (البيت البارد)، وتقابل القاعة (Tepidarium) في الحمامات الرومانية. وكان المستحمون يخلعون فيها ثيابهم عند دخول الحمام، ويلبسونها عند خروجهم منه، وفي أركان الخلوتين مقاعد يستريح عليها المستحمون⁽¹⁾.

واهتم أهل الأندلس ببناء الحمامات والحفاظ على نظافتها فصهاريج الحمامات كانت تغطي بغطاء محكم يؤمن المياه من النجاسة ويبقيها نظيفة وطاهرة⁽¹⁾.

ومن يتبع كتب التاريخ يجد ان عمارة الحمامات في قرطبة وضواحيها انتشرت بشكل واسع لاسيما مع تزايد أعداد السكان فيها في القرن الرابع الهجري، فقد تزايد أعمار الحمامات بحسب إحدى الإحصائيات التي تنسب الى عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر ان أعدادها بلغت قرابة 900 حمام⁽²⁾، وفي كتاب ازهار الرياض⁽³⁾، ذكر رقما لا يخلو من المبالغة وهو 3000 حمام. ولكن يبدو أن ما ذكره ابن غالب⁽⁴⁾ وهو 700 حمام اقرب للتصديق بدلالة ما ذكره ابن عذاري⁽⁵⁾ انه كان للنساء في قرطبة 300 حمام فيصبح للرجال بحدود 400 حمام.

(1) ابن عبدون، المصدر السابق، ص 48.

(2) المقرئ، نفح الطيب: 67 / 2؛ وينظر: الجيوسي، المرجع السابق: 191 / 2.

(3) المقرئ: 272 / 2.

(4) فرحة الأنفس، ص 296.

(5) البيان المغرب: 232 / 2.

ويذكر الادريسي⁽¹⁾ ان قرطبة في ذاتها خمس مدن في كل مدينة منها ما يكفيها من الحمامات وسائر المرافق الأخرى. ويشير المقرئ⁽²⁾ الى وجود حمامين في مدينة الزهراء واحدة داخل القصر خاصة للخليفة والآخرى يقصدها العامة. حيث كشفت التنقيبات الأثرية عن وجود حمام الى الشرق من غرفة الاستراحة في قصر الخلافة في الزهراء وتتكون من غرفتين تنفتح الواحدة على الأخرى وقد جهزت بأنابيب تحمل المياه الى حوض الاستحمام وزينت سقوف الحمام برخام أبيض اللون⁽³⁾.

ويظهر من بعض النصوص التاريخية ان إنشاء الحمامات لم يقتصر على الدولة فقط وإنما كان لعامة الناس دور في تشييدها فجاء ذكرها بأسماء الأشخاص القائمين عليها فعلى سبيل المثال أورد ابن جلعج⁽⁴⁾ اسم حمام منسوب الى خالد بن يزيد النصراني، يقع قرب داره في بيعة شنت اجلج. وحمام باسم أولاد زكريا أخي نجدة الصقلي ويقع في الربض الشرقي قرب النشارين⁽⁵⁾، كما ورد اسم حمام ينسب الى رجل اسمه هشام دون ذكر تفاصيل عنه⁽⁶⁾.

وكان العدد الأعظم من حمامات قرطبة يقع بالقرب من المسجد الجامع ولم

(1) نزهة المشتاق، ص 208

(2) أزهار الرياض: 269 / 2؛ وينظر: نفح الطيب: 87 / 2.

(3) العزى، المرجع السابق، ص 112 - 113.

(4) طبقات الأطباء، ص 96

(5) المقرئ، نفح الطيب، 191 / 2 - 192.

(6) الخشني، اخبار الفقهاء، ص 268؛ ابن القرضي، المصدر السابق: 340 / 1.

يتبقى منها سوى بقايا حمامين أحدهما يقع في شارع الحمام والآخر شارع لاس كوميدياس، وكلاهما بالقرب من المسجد لجامع⁽¹⁾، ويعود أسباب زوال آثار الحمامات إلى تعرضها للتخريب والهدم على أثر حركة الاسترداد النصرانية⁽²⁾.

3. دور التطبيب

لم يظهر لدينا في الأندلس بحسب المصادر التاريخية المتوافرة أي ذكر لوجود المستشفيات أو ما يسمى بالبيمارستانات كما في المشرق إلا أنه كان في الأندلس في القرن الرابع الهجري دور خاصة للتطبيب وهذه الدور إما قامت بتوجيه من الدولة، أو كان إنشاءها من قبل الأطباء أنفسهم فعملوا على تطبيب الناس فيها، ففي قرطبة أمر الخليفة الحكم المستنصر بتولية الطبيب أحمد بن يونس⁽³⁾ - الذي كان طبيباً في القصر الخلفي في الزهراء - بعمل أو إقامة خزانة طبية بالقصر، وكانت هذه الخزانة واسعة يعمل فيها اثنا عشر عنصراً من الصقالبة لطبخ الاشربة والمراهم الخاصة بالتطبيب واعتبرت هذه الخزانة داراً للتطبيب للخاصة والعام على السواء، وسمح للفقراء والمحتاجين بارتياحها دون مقابل، وكان يداوي فيها كافة الأمراض حتى أمراض العيون⁽⁴⁾.

(1) سالم، تاريخ المسلمين، ص 370؛ زيدون، المرجع السابق، ص 342.

(2) شلي، موسوعة التاريخ: 4/ 99.

(3) ينظر في ترجمته: ابن جلدج، المصدر السابق، ص 112 - 113؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 487.

(4) ابن جلدج، المصدر السابق، ص 112 - 113؛ ولم تفصح المصادر المتوفرة عن طبيعة بناء هذه الخزائن ومعالمها العمرانية.

ولم يترك الخليفة الحكم المستنصر ذوي العاهات في حال سبيلهم فقد شملتهم رعاية الخلافة الأموية في الاندلس حيث عمل الخليفة الحكم على إنشاء مجلس للصمم خصص لكل عضو فيه راتباً شهرياً⁽¹⁾.

كما استخدم بعض الأطباء دورهم كمشافي للمرضى كالطبيب ابن ملوكه النصراني (الذي عاش في أول أيام الخليفة الناصر) حيث كانت داره فيها ما يقارب الـ 30 كرسيّاً لعود الناس وكان يطبب الناس بالأشربة والأدوية التي يصنعها بنفسه⁽²⁾. وأما الطبيب يحيى بن اسحق الوزير وكان في صدر دولة الخليفة الناصر فكان يطبب الناس بداره عند باب الجوز⁽³⁾. والطبيب ابو الوليد الكتاني الذي خدم كل من الخليفة الناصر والحكم المستنصر وكان محبوباً لدى العامة والخاصة لسخائه بعمله⁽⁴⁾. ويظهر ان اتخاذ جناح في هذه الدور للطبيب لا يشكل مظهراً معيناً للعمارة بقدر ما هو لتسهيل خدمة إنسانية كان المجتمع بحاجة إليها.

4. المتنزهات السياحية

امتازت قرطبة بطبيعتها الخلابة واهتمام خلفائها بالطبيعة و محاكاتها من خلال الاهتمام ببناء المتنزهات والنظر في نظافتها وهذه المتنزهات بدورها تنقسم

(1) مثنى فلفل سلمان، الحياة الاجتماعية في الاندلس خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، بغداد، 1990، ص 110.

(2) ابن جلعجل، المصدر السابق، ص 97؛ ابن ابي أصبيعة، المصدر السابق، ص 486.

(3) المصدر نفسه، ص 488.

(4) المصدر نفسه، ص 491.

الى متزهات بناها الخلفاء لأنفسهم كمنية الناعورة التي اتخذها الخليفة الناصر لراحته⁽¹⁾. ومنية ارحاء ناصح التي كانت ملاذا للخليفة الحكم المستنصر⁽²⁾. والمنية العامرية التي اتخذها المنصور بن ابي عامر ملاذا له وأيضا⁽³⁾. والقصر الدمشقي الذي بناه بني أمية واتخذوه ميدان مرحهم ومضمار إنشراحهم⁽⁴⁾.

كما عمل الخلفاء الأمويين على إنشاء المتزهات العامة لسكان قرطبة واجروا إليها المياه⁽⁵⁾ ومن أهم هذه المتزهات:

- فحص السرادق وهو أحد معالم قرطبة المهمة⁽⁶⁾ ويقع جنوبي نهر قرطبة بالطرف الشرقي من المدينة⁽⁷⁾ وهو من المتزهات المشهورة والتي يقصدها الناس للراحة والاستجمام، وقد سمي بفحص السرادق لأن خلفاء بني أمية اعتادوا على إقامة السرادق في هذا الفحص. ففي سنة (319هـ / 931م) أبرز الخليفة الناصر السرادق الى هذا الفحص قبل مسيرة

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 201 / 2.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 68.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 277 / 2؛ المقري، نفح الطيب: 97-98؛ وينظر: خلاف، قرطبة الإسلامية، ص 25.

(4) ابن خاقان، فلائد العقيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد العتابي، تونس، الدار العتيقة، 1966، ص 94؛ المقري، نفح الطيب: 14 / 2. ولم تذكر المصادر في أعلاه تاريخه، هل يعود لعصر الإمارة أم الخلافة.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق: 144 / 4؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 436 / 2.

(6) المقري، نفح الطيب: 17 / 2 - 18.

(7) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 43.

لغزو مدينة طليطلة⁽¹⁾ وفي سنة (362هـ / 972م) أبرز السراشق القائد غالب بن عبد الرحمن عندما ذهب لحرب العدو المغربية⁽²⁾.

- أما القصر الفارسي والذي يعتبر من القصور المقصودة للفرجة والتنزه يقع في ظاهر قرطبة من الشمال وهو القصر الذي شهد حب ولادة بنت المستكفي والوزير ابو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون (ت 463هـ / 1070م)⁽³⁾.

- وحر الزجالي الذي يقع خارج باب اليهود بقرطبة⁽⁴⁾ والذي ينسب الى بني الزجالي أصحاب المناصب العالية في الدولة الأموية ففي سنة (300هـ / 912م) اتخذ الخليفة الناصر عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي خطة العرض⁽⁵⁾ ثم الوزارة سنة (344هـ / 955م)⁽⁶⁾ وغيره من بني

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 204 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 210 / 1.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 102.

(3) المقرئ، نفح الطيب: 16 / 2؛ وحول ترجمة الشاعر ابن زيدون. ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص 130؛ ديوان ابن زيدون، شرح وتعليق: كرم البستاني، بيروت، دار صادر، 1964.

(4) المقرئ، نفح الطيب: 137 / 2. والحير: هو تحير الماء أي اجتماعه، والمقصود به هنا هو الرياض الفنية بالأشجار وبحيرات صغيرة للمياه يقصدها العامة للتنزه، ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 767 / 1.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 158 / 2. وخطة العرض: هي خطة في الجيش الاندلسي ويسمى من يتولاها من الرجال بالعارض، ويتولى المسؤول عن هذا التنظيم عرض الجند بين يدي الخليفة لإظهارهم واختبار أحوالهم وكان الخليفة الحكم المستنصر يستمتع بالتطلع إليهم اثناء قيامهم بالتدريب، ينظر: ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 193، 223؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 158 / 2، 159.

(6) المصدر نفسه: 220 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 211 / 1.

الزجالي، وكان هذا الحير من أجمل المتنزهات وأبدعها في قرطبة لحسنها ورياضها الجميلة المزينة بأنواع الأزهار والأشجار⁽¹⁾.

ومن متنزهات قرطبة الأخرى الرملة وهو يقع على طريق الزاهرة ويعرف بطريق الرملة، وهو من المتنزهات المشهورة في قرطبة يقصدها الناس للاستجمام والمتعة وهي كثيرة الجنان والبساتين⁽²⁾.

أما المرج الذي يقع بين نهر الوادي الكبير ونهر صغير يتفرع منه عرف أيضا بالمرج النضير أمتاز بجماله ورونقه وبساتينه⁽³⁾.

ووادي قرطبة يعتبر من أجمل المواضع التي يقصدها أهل قرطبة للتنزه فكان محفوفاً بالبساتين والدور والقصور والمنيات⁽⁴⁾، وذكر أن جريان مياهه كانت ساكنة وأمنة⁽⁵⁾، وكان للحاجب المنصور بن أبي عامر زورق يركب فيه ويطوف النهر⁽⁶⁾.

ويعد السد على نهر الوادي الكبير من متنزهات قرطبة التي يقصدها الشواح والشعراء وقد بالغوا في وصفها وجمال رونقها⁽⁷⁾.

(1) المقرئ، نفح الطيب: 137-138.

(2) ابن حزم، طوق الحمامة، ص 96؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 31/3؛ وينظر: سالم، قرطبة: 222/1.

(3) المقرئ، نفح الطيب: 16/2.

(4) المصدر نفسه: 21/2.

(5) ابن غالب، المصدر السابق، ص 295؛ المقرئ، نفح الطيب: 22/2.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 299/21؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 80.

(7) المقرئ، نفح الطيب: 18/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 202/1.

وقد ورد ذكر اسم متنتزه لا يعرف موقعه بالتحديد يعرف بوادي العقيق كان يقصده الناس للنتزه⁽¹⁾.

ز. دور العلم والمكتبات

شهدت قرطبة في عصر الخلافة نشاطاً علمياً وثقافياً بارزاً، تمثل في الاهتمام بالعلم والعلماء، وإقامة دور العلم ومؤسساته نتيجة لتقدم الحركة العلمية⁽²⁾. فقد برز فيها عدد كبير من المعلمين والمؤدين أمثال عبد الله بن سليمان بن منذر (ت 325هـ/ 936م)⁽³⁾ وأبا بكر محمد بن الحسن الزبيدي معلم الخليفة هشام المؤيد⁽⁴⁾، وأبا القاسم حسين بن وليد المعروف بابن العريف (ت 390هـ/ 999م)⁽⁵⁾ وغيرهم.

وقد أسهمت الخلافة الأموية في عهد الخليفة الحكم المستنصر في بناء أماكن لتعليم الصبيان (الكتائب)، اذ أمر الخليفة سنة (356هـ/ 966م) باتخاذ سبعة وعشرين مكتباً لتعليم أولاد الفقراء والمساكين 3 منها حول المسجد الجامع والباقي منتشرة في أرباض قرطبة واتخذ لهم المؤدين وأجرى عليهم الرواتب

(1) المقرئ، نفح الطيب: 21 / 2.

(2) قارن: ابن بسام، المصدر السابق، ق: 1 / 33.

(3) ابن الأبار، التكملة: 2 / 778؛ وينظر: حسين، المرجع السابق، ص 105.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 133.

(5) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1 / 134 - 135؛ الحميدي، المصدر السابق، ص 194؛ ياقوت

الحموي، معجم الأدباء، بيروت، دار المشرق، د. ت: 10 / 184.

لأبناء الفقراء والمساكين⁽¹⁾. ولم توضح لنا المصادر المتوفرة معالم هذا العمران وهيبته ولكن يبدو أنه كان بسيطاً مكوناً من عدة غرف لجلوس التلاميذ بشكل متقارب العدد وبما يؤمن سير العملية التربوية.

وكانت لهذه الدور دوراً أساسياً ومهم في انتشار العلم وبشكل واسع في قرطبة ورفع الجهل عن سكانها حتى غدت قرطبة آنذاك داراً للعلوم والعلماء⁽²⁾. وإلى جانب دور العلم بقرطبة ظهرت المكتبات والتي أولت الخلافة الأموية وسكان قرطبة اهتماماً كبيراً في بناءها، فكان أهل قرطبة بحسب بعض المصادر من أكثر الناس في بلاد الأندلس شغفاً في اقتناء الكتب والاعتناء بخزائنها⁽³⁾.

وقد ظهرت في الأندلس بالقرن الرابع الهجري، نوعين من المكتبات أشهرها مكتبة القصر الخلافي بقرطبة والتي يمكن عدها ضمن المكتبات العامة، لأنها كانت مفتوحة لكبار العلماء والأدباء فضلاً عن الخاصة من مسؤولي الدولة ومن يتصل بهم.

وهذه المكتبة يعود تأسيسها إلى عصر الإمارة، أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن، ضمن قصر الإمارة، أي أنها شكلت جانباً من القصر دون معرفة تفاصيل عمارتها وعدت مع مرور الزمن من أجل خزائن الكتب في الإسلام،

(1) ابن عذاري، المصدر السابق ك 2/ 240 - 214.

(2) الشقندي، المصدر السابق، ص 53 - 54.

(3) المقرئ، نفح الطيب: 2/ 8.

ولاسيما في القرن الرابع الهجري⁽¹⁾، إذ سهر على الاهتمام بها وتنظيمها الخليفة الحكم المستنصر حتى بلغت في عهده تضم 400 ألف مجلد وعدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب ((أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط))⁽²⁾.

وأولى الخليفة الحكم المستنصر اهتماماً واسعاً بالمكتبة فجلب إليها الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والتجليد والتزين والتنميق وكانوا يتقاضون أجوراً مجزية نظير عملهم⁽³⁾.

وسار الحاجب المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر على نهج الخليفة الحكم المستنصر في الاهتمام بالمكتبة الأموية بقرطبة فاتخذوا العلماء في تاليف الكتب وتصحيحها واستنساخها ووضع المكتبة تحت تصرفهم⁽⁴⁾.

وظهر نوع آخر من المكتبات وهي المكتبات الخاصة التي كان يمتلكها العلماء والمتعلمون من رجال ونساء قرطبة سواء أكانوا أغنياء أو فقراء. ومنها مكتبة أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس (348هـ/994م - 402هـ/1011م) حيث حوت العديد من نفائس الكتب في

(1) القلقشندي، المصدر السابق: 1/466، 467؛ كريم عجيل حسين، الحياة العلمية في بلنسية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1976، ص 277؛ حازم حسين، المرجع السابق، ص 146.

(2) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص 100؛ وقارن، ابن الأبار، التكملة: 1/235؛ الحلة السيرة: 1/203؛ المقري، نفح الطيب: 1/307؛ وينظر: كريم حسين، المرجع السابق، ص 277.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/114؛ المقري، نفح الطيب: 1/300؛ وينظر: كريم حسين، المرجع السابق، ص 278؛ حازم حسين، المرجع السابق، ص 148.

(4) ابن بسام، المصدر السابق، ق 4: 1/79 - 80؛ ابن الأبار، التكملة: 1/384.

مختلف العلوم⁽¹⁾. ويذكر لنا النباهي⁽²⁾ (ت 776هـ / 1374م) وصفاً بديعاً لمكتبة ابن فطيس الخاصة، قلما نجد له نظيراً في المصادر الأخرى اذ قال انه ((كان له بداره مجلس عجيب الصنعة، حسن الالة، ملبس كله بالخضرة: جدرانه وأبوابه وسقفه وفرشه وستوره ونمارقة وكل ذلك متشاكل الصفات، قد ملأه بدفاتر العلم ودواوين الكتب التي ينظر فيها ويخرج منها وبهذا المجلس كان أنسه وخلوته)).

ولم يقتصر اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات على الرجال فقط بل شمل هذا المرأة القرطبية اذ اهتمت بجمع الكتب ونسخها أمثال عائشة بنت احمد بن قادم (ت 4000 هـ / 1009م) وكانت من ابرع نساء عصرها علماً وأدباً وشعراً وكان لها خزانة علم كبيرة حسنة الصنعة⁽³⁾.

كما عرفت أنواع أخرى من المكتبات الخاصة يمكن تسميتها بمكتبات الهواة وهي ان يقتني الشخص الكتب ويسعى باذلال الأموال للحصول على نوادرها لا ليقرأها قراءة العالم وطالب العلم، بل ليشبع رغبة في نفسه وهواية تراوده وهي اقتناء الكتب فحسب ليزين به داره ويفاخر بها أصحابه حيث كان اقتناء الكتب عند أهل قرطبة من احدى سمات الرياسة والنفوذ⁽⁴⁾.

وكانت عناية الهواة كبيرة في تنظيم مكتباتهم - على ما يبدو - من حيث

(1) ابن بشكوال، المصدر السابق: 210 / 1 - 213؛ وينظر: حازم حسين، المرجع السابق، ص 145.

(2) تاريخ قضاة الاندلس، ص 88.

(3) ابن بشكوال، المصدر السابق: 962 / 2؛ وينظر: لوبون، المرجع السابق، ص 404؛ عنان ، دولة الإسلام: 506 / 2 - 507.

(4) المقرئ، نفح الطيب: 8 / 2؛ وينظر: كريم حسين، المرجع السابق، ص 284.

اختيار المكان المناسب لها في الدار وتنسيق كتب المكتبة على الرفوف، وحرصوا على ان يكون الكتاب جيد الخط متقن الضبط حسن التجليد⁽¹⁾.

وقد استمرت نهضة قرطبة العلمية في العصور اللاحقة أيضاً، وخير شاهد على ذلك أنه عندما استولي الأنصاري الأسبان على قرطبة احرقوا في يوم واحد نحو سبعين خزانة للكتب فيها مما يزيد على المليون وخمسين ألف مجلد⁽²⁾، مما يدل على نمطه وغنى مكتبات قرطبة في عصرها الإسلامي الزاهر.

هـ. دور الصناعة

1. دار السكة

أن أول من أنشاء داراً للسكة في قرطبة وضرب الدراهم في عصر الإمارة الأمير عبد الرحمن الأوسط، ولم تكن في الأندلس دارا للسكة عند الفتح الإسلامي⁽³⁾. وكانت تقع الدار على تماس مع باب العطارين من خارج مدينة قرطبة العتيقة⁽⁴⁾.

وفي سنة (319هـ/ 931م) أمر الخليفة الناصر ببناء دارا للسكة في داخل مدينة قرطبة لضرب الدنانير والدراهم الأندلسية وولى خطتها الى الوزير احمد بن موسى بن حدير، وخصصها لضرب العملات الذهبية والفضية الخالصة، وقد

(1) المقرئ، نفح الطيب: 8/2 - 9؛ وينظر: كريم حسين، المرجع السابق، ص 285.

(2) الرفاعي، الإنسان العربي، ص 547.

(3) ابن سعيد، المصدر السابق: 46/1؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 91/2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 215/1.

(4) الهمذاني، المصدر السابق، ص 88؛ سالم، قرطبة: 215/1.

كان الضرب معطلاً قبل عصر الخليفة الناصر لتدهور الأوضاع السياسية بالاندلس، وكان لهذا الإجراء اثر كبير في تثبيت العملة والاستقرار في التعامل⁽¹⁾. وبعد ان اتخذ الخليفة الناصر مدينة الزهراء مركزاً للخلافة وتحديد سنة (336هـ/ 947م) نقل دار السكة من قرطبة الى مدينة الزهراء وقلد خطتها عبد الرحمن بن يحيى⁽²⁾. وبقيت كذلك طيلة فترة الخليفة الحكم المستنصر. إلا انه في عصر الحاجب المنصور بن ابي عامر نقلت دار السكة الى الزاهرة⁽³⁾.

2. دار البرد والطرز⁽⁴⁾

وهي الدار التي أحدثها الأمير عبد الرحمن الداخل على حد قول ابن حيان⁽⁵⁾، واختصت منذ ذلك الحين بصناعة البرود الأميرية ولذلك عرفت بالدار البردية، ثم تطورت في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط فاتسعت مرافقها واتخذ

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 243؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 198؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 447؛ سالم، قرطبة: 1/ 215. ولم توضح المصادر المتوفرة لدينا عن هيئة وعمارة دار السكة شأنها شأن أماكن التطيب و دور العلم والمكتبات وما شابهها.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 244؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 215؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 215.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 275-276؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 92.

(4) البرد: من الثياب وجمعه برود أو برد وبرد والبردة كساء أسود مربع فيه صفر تلبسه الأعراب. ينظر: محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، بيروت، دار الكتاب العربي، 1979، ص 47؛ والطراز: علم الثوب فارسي معرب وقد طرز الثوب تطريز أو الطرز والطراز الهيئة أو الشكل. ينظر: الرازي، المصدر السابق، ص 390.

(5) شالميتا، تحقيق الحججي، ص 66؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 215؛ سحر سالم، المرجع السابق، ص 87؛ ويقول ابن عذاري: 2/ 136، ان الذي أحدثها هو الامير عبد الرحمن الأوسط.

دار الطراز الذي أقيم الى جانب دار البرد لنسج الطرز الاميرية على
أثواب وبرود الأمير وحرمة وخدمه⁽¹⁾، وكان موقعها مصاقباً للقصر الخلافي من
الجهة الغربية⁽²⁾.

وفي سنة (324هـ / 935م) تعرضت الدار لحريق فأتت النيران عليها
وعندئذ أمر الخليفة الناصر بتجديد عمارتها وإعادة دار البرد على رسمه، فسمّا
بناؤها ونصبت أبوابها⁽³⁾. وبذلك اتسع دار البرد والطراز اتساعاً كبيراً وشملت
العديد من المرافق كالحمامات والأسواق والمساجد⁽⁴⁾.

كما اشتهرت المنسوجات في عصر الخليفة الناصر وقد أشار ابن حوقل⁽⁵⁾
الى شهرة قرطبة آنذاك في صناعة جيد الثياب والكسي من لبن الكتان وجيد الخز
والقز. وقد تولى إدارة دار الطراز في عصر الخليفة الناصر الفتى خلف الكبير⁽⁶⁾.

وفي عصر الخليفة الحكم المستنصر ونتيجة لاتساع السوق المجاور لقصر
قرطبة الخلافي وتوسع دار الطراز أمر الخليفة سنة (361هـ / 971م) بنقل دار
الطراز الى دار الزوامل (جمع زاملة وهي ما يحمل عليه من الدواب) بالمصارة
بالطرق الغربي من قرطبة ونقل دار الزوامل الى الدار الواقعة بالقرب من محبس

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 91 / 2؛ سالم، قرطبة: 215 / 1؛ سحر سالم، المرجع السابق، ص 89.
(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص 66؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 40؛ وينظر: سالم، قرطبة:
216 / 1.

(3) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 383.

(4) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 40؛ وينظر: سحر سالم، المرجع السابق، ص 89.

(5) صورة الأرض، ص 108.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 191 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 216 / 1.

القصر قرب قصر الناعورة⁽¹⁾. واسند الخليفة الحكم خطتها الى الفتى فائق الصقلي⁽²⁾.

وكان الحاجب المنصور بن ابي عامر يستدعي اجناد البربر الى الاندلس فيخلع على الرجل منهم بلباس الخز المطرز وغيره بدلا من لباسه القديم⁽³⁾.

ولم يبق من إنتاج دار الطراز بقرطبة سوى قطعة من النسيج الرقيق تعرف بطراز هشام المؤيد بالله تحفظ اليوم في الاكاديمية التاريخية بمadrid⁽⁴⁾.

3. دور صناعة التحف والآلات المعدنية وغيرها

تحولت دار صناعة السفن في قرطبة والتي كان قد أنشأها الأمير عبد الرحمن الأوسط الى دار لصناعة التحف المعدنية والآلات في عصر الخليفة الناصر ومنها صنع اثني عشر تمثالا من البرونز مرصعة بالدر النفيس الغالي ووضعت في المجلس المؤنس بقصر الزهراء⁽⁵⁾.

ونتيجة لتزايد أعمال البناء في قرطبة في القرن الرابع الهجري عمل الخليفة الناصر على بناء دار لصناعة الآلات والسلاح والحلي للزينة في مدينة

(1) ابن حيان، تحقيق الحجى، ص 66؛ وينظر: سحر سالم، المرجع السابق، ص 89.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجى، ص 66.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 279 / 2.

(4) سحر سالم، المرجع السابق، ص 92.

(5) ابن غالب، المصدر السابق، ص 301؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 231 / 2؛ ذكر بلاد الاندلس،

ص 163؛ المقرئ، نفح الطيب: 88 / 2؛ وينظر: سالم، قرطبة: 217 / 1.

الزهراء⁽¹⁾، وقد عثر في حفريات الزهراء على قطع كثيرة من الأدوات الحديدية والتحف مما يؤكد ازدهار قرطبة و صناعتها⁽²⁾.

كما اشتهرت دار الصناعة في قرطبة بصناعة قطع الرخام المنقوشة فعثر على حوض من الرخام غير كامل محفوظ اليوم بمتحف الآثار الأهلي بمديرية نقش عليه تاريخ إنشائه في (عام 377هـ / 987م) بأمر المنصور بن أبي عامر ليوضع في قصر الزاهرة⁽³⁾.

وهذا يدل على مدى ازدهار الصناعة في قرطبة في الفترة المذكورة ودورها الأساسي في استكمال معدات البناء وازدهار الحركة العمرانية والبناء فيها.
و. السجن (المطبق)

ورد ذكر لفظة السجن والمطبق بالمصادر التاريخية في الاندلس بشكل مترادف ولن تشذ مدينة قرطبة عن غيرها من المدن الإسلامية كون بناء السجون كان واحدا من المستلزمات الضرورية لحفظ الأمن والنظام في الدولة.

وعلى حد قول ابن عبدون⁽⁴⁾ (عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) فان قرطبة كانت تحوي عدد من السجون يحبس فيها من ثبت عليهم التهم ولا يسجنون إلا بأمر من القاضي أو السلطان.

(1) ابن خلدون، المصدر السابق: 4 / 144؛ المقري، ازهار الرياض: 2 / 261؛ وينظر: سالم، قرطبة في العصر الإسلامي، ص 52.

(2) المرجع نفسه، ص 53.

(3) سالم، قرطبة في العصر الإسلامي، ص 55.

(4) رسالة في آداب الحسبة، ص 20.

وقد ورد ذكر السجون منذ عصر الإمارة في قرطبة⁽¹⁾، ولم يثبت لدينا ذكر رقم معين لأعدادها من قبل الكتاب والمؤرخين ولا شكل عمارتها سوى ما ورد فيها من ثنايا النصوص التاريخية. ومن هذه السجون في قرطبة ما يسمى بحبس الدويرة⁽²⁾، ويرجع تاريخه الى عهد الحكم الرضي واستمر هذا السجن حتى عصر الخلافة بدليل أنه سجن فيه جماعة من المخالفين للخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (300هـ/912م) وهم كل من محمد بن إبراهيم بن حجاج وحبيب بن عمرو بن سواده وقاسم بن وليد الكلبي صاحب الشرطة بقرطبة وسجنوا معاً في هذا السجن⁽³⁾.

وقد ورد اسم هذا السجن أيضاً في أيام الخليفة الحكم المستنصر⁽⁴⁾ وبسبب تقادم الزمن على هذا السجن لابد وان حركة الاعمار والتجديد والتطوير قد نالته وأحدثت فيه بناءاً جديداً لكي ينسجم مع تزايد أعداد السكان وازدياد المخالفات تبعاً لذلك.

وورد ذكر اسم سجن آخر بقرطبة وهو مطبق الزهراء في قصر الزهراء⁽⁵⁾، حيث سجن فيه عام (361هـ/971م) وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر جماعة

(1) القاضي عياض، المصدر السابق: 4/453؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/50؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/218.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص 90.

(3) المصدر نفسه، ص 90؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/218.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجري، ص 202.

(5) المقرئ، نفح الطيب: 2/11.

من مدينة الزهراء عرفوا (بعصبة البطراء) من أهل قرطبة المستخفين بالخلافة وطاعتها، فاستطاع صاحب الشرطة في مدينة الزهراء إلقاء القبض عليهم ورئيسهم يوسف بن هارون البطليوسي وأودعهم جميعاً في سجن الزهراء⁽¹⁾.

ومن السجون الأخرى بقرطبة الذي يعرف بالمطبق⁽²⁾، وهو السجن الذي حبس فيه الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي وقد عرف هذا السجن أيضاً بسجن العامرية، ويقع داخل قصر قرطبة⁽³⁾. وكان هذا المطبق يحوي على العديد من الغرف أو البيوت التي يجلس فيها الأشخاص والدليل على ذلك أن حبس جعفر بن عثمان المصحفي في بيت يعرف ببيت البراغث داخل المطبق حتى مات فيه، ويمكن إطلاق لفظة السجن الانفرادي عليه والذي بموجبه يعزل المسجون الواحد بغرفة مستقلة عن السجناء الآخرين عقاباً لهم أو زيادة في التعذيب⁽⁴⁾.

وكانت هذه السجون المذكورة مخصصة للرجال، أما النساء اللاتي يثبت عليهن جرم معين فيسجن عند امرأة خيرة يعرف القاضي فضلها ويصرف لها راتباً شهرياً من بيت مال المسلمين⁽⁵⁾.

ي. المقابر (المدافن)

على الرغم من الازدحام العمراني في قرطبة، فإن المخطط العمراني ومنذ

(1) ابن حيان، تحقيق الحجري، ص 75-76.

(2) ابن سعيد، المصدر السابق: 1/72؛ ابن خاقان، مطمح الانفس، ص 156، 159؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص 134، 135.

(3) المصدر نفسه، ص 110، وينظر: سالم، قرطبة: 1/219.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/270.

(5) ابن عبدون، المصدر السابق، ص 19.

عهد مبكر لم ينسَ أن يترك مساحات من الأراضي لتقام عليها المقابر والمدافن الكبرى لأهل قرطبة. وبسبب ذلك اشتهرت عدة مقابر منها في جنوب قرطبة ما يسمى بالمقبرة الكبرى المعروفة بمقبرة الربض وقد خصصت بعض المدافن فيها لقريش⁽¹⁾، وكان يتردد عليها قاضي قرطبة محمد بن عبد الله بن أبي عيسى (ت 339هـ / 950م)⁽²⁾.

أما الجانب الشمالي من قرطبة فيقع فيها مقبرة بخارج باب اليهود تعرف بمقبرة أم سلمة⁽³⁾ زوجة الأمير محمد بن عبد الرحمن وهي تقع في بداية زقاق الزراعيين⁽⁴⁾.

أما من جهة الشرق فكانت هناك مقبرة تدعى بمقبرة البرج ويشير عبد العزيز سالم⁽⁵⁾ بأنها نفس مقبرة العباس. الواقعة في الربض الشرقي بالقرب من باب عباس⁽⁶⁾، وهي المقبرة التي دفن فيها محمد بن أحمد بن عبدون سنة (320هـ / 932م)⁽⁷⁾. والشاعر أحمد بن محمد بن عبد ربة سنة (382هـ / 992م)⁽⁸⁾.

(1) ابن الفرضي، المصدر السابق: 68 / 1؛ ابن حيان، تحقيق الحجى، ص 92؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص 187؛ سالم، قرطبة: 226 / 1.

(2) الخشني، قضاة قرطبة، ص 119.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجى، ص 92؛ الحميري، المصدر السابق، ص 135؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 48 / 1.

(4) ابن الفرضي، المصدر السابق: 118 / 1؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص 187. وينظر خارطة رقم 5.

(5) قرطبة: 226 / 1.

(6) ابن الفرضي، المصدر السابق: 50 / 1؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 15 / 1، 33.

(7) ابن الفرضي، المصدر السابق: 63 / 1.

(8) المصدر نفسه: 50 / 1.

ومن جهة الغرب عرفت لها مقبرتان: احدهما مقبرة عامر القرشي او مقبرة قریش⁽¹⁾ الواقعة خارج باب عامر القرشي⁽²⁾، وسميت أيضا بمقبرة باب عامر⁽³⁾، والمقبرة الثانية هي مقبرة متعة⁽⁴⁾.

وكان للخلفاء اهتمام كبير بالمقابر وتوسيعها فقد عمل الخليفة الحكم المستنصر سنة (361هـ/971م) على سبيل المثال على توسيع مقبرة أم سلمة نتيجة لضيق المقبرة وتكاثر الدفن فيها وذلك بان ابتاع دور عدد من ساكني هذه المقبرة وهدمها وبذلك توسعت المقبرة⁽⁵⁾.

وللخلفاء بقرطبة مقبرة خاصة بهم تسمى الروضة تقع داخل القصر الخلافي⁽⁶⁾، ودفن فيها كافة خلفاء بني أمية ومنهم الخليفة الناصر سنة (350هـ/961م)⁽⁷⁾، كما دفنت في هذه الروضة نساء الخلفاء ففي سنة (389هـ/998م) دفنت والددة أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله⁽⁸⁾.

(1) ابن القوطية، المصدر السابق، ص 64؛ ابن الفرضي، المصدر السابق: 72 / 1؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 141 / 1: 11 / 2.

(2) أخبار مجموعة، ص 63.

(3) ابن الفرضي، المصدر السابق: 222 / 1؛ ابن حزم، طوق الحمامة، ص 96.

(4) ابن الفرضي، المصدر السابق: 59 / 1.

(5) ابن حيان، تحقيق الحجى، ص 92.

(6) المصدر نفسه، نشر ملشور انطونيا، ص 3؛ وينظر: سالم، قرطبة: 189 / 1.

(7) المقرئ، ازهار الرياض: 288 / 2.

(8) ابن الفرضي، المصدر السابق: 210 / 1.

ووجدت في قرطبة مقابر باسم أسر سكنوا قرطبة كانت خاصة لدفن أفراد تلك الأسر، كمقبرة الزجاجلة التي دفن فيها أبناء الزجاجلة أمثال الفقيه عبد الله بن عبد الله الزجاجي (ت 375هـ / 985م)⁽¹⁾، ومن هذه المقابر أيضاً مقبرة بني فطيس التي دفن فيها الوزير القاضي عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس سنة (402هـ / 1011م)⁽²⁾.

ووردت في كتب التراجم أسماء مقابر أخرى في قرطبة منها مقبرة مومرة⁽³⁾ وفرانك⁽⁴⁾ وكلع⁽⁵⁾ والنجم وابن خازم ورحبة غويرة ومقبرة حلال وابن بشتين⁽⁶⁾ دون تحديد لأماكنها.

وهكذا يظهر لنا أن يد العمران طالت كل مرفق حيوي في قرطبة بما فيها المقابر التي لا تخلو من لمسات عمرانية، وتجديد وتطوير تبعاً لتزايد أعداد السكان والحاجة لتوسيعها بما يخدم الصالح العام.

(1) ابن الفرضي، المصدر السابق: 279 / 1.

(2) ابن بشكوال، المصدر السابق: 312 / 1.

(3) ابن الفرضي، المصدر السابق: 66 / 1؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 253 / 1.

(4) ابن الفرضي، المصدر السابق: 134 / 1؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 236 / 1.

(5) المصدر نفسه: 52 / 1؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: 523 / 3.

(6) ابن بشكوال، المصدر السابق: 26 / 1، 138، 262، 306: 481 / 2.

الخاتمة

الخاتمة

نستنتج من هذه الدراسة ما يلي:

1- بالرغم من ان جذور العمارة في قرطبة تعود في بعض أجزاءها الى عهود قديمة قبل الفتح الإسلامي وكذلك ما بعد الفتح (لاسيما عصر الإمارة) فإن العمارة التي تحدثت او استجذت في مدينة قرطبة وضواحيها في ظل الخلافة الأموية (القرن الرابع الهجري) تشكل في مجملها كما ونوعاً أعظم ما شهدته الاندلس خلال الوجود العربي الإسلامي وشكل الأساس لما جرى من بناء وعمارة لاحقاً.

2- من خلال دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية لأحداث القرن الرابع الهجري أتضح لنا ان الاستقرار السياسي والرفاه الاجتماعي والانتعاش الاقتصادي شكل أرضية صالحة للتقدم في كافة مرافق الحياة ولاسيما الجانب العمراني في معظم مرافقه. حيث وفر لهذا الجانب المواد الأولية والأيدي العاملة والأموال وبذلك نشط العمران في مدينة قرطبة وضواحيها.

3- إن بناء المساجد الجامعة الكبرى في (قرطبة والزهراء والزاهرة) وبقية المساجد العامة والعمائر الدينية الأخرى كان دور الدولة والمجتمع على قدم سواء في السبق او التنافس في تعمير بيوت الله رغبة في الثواب أو الأجر وتشهد كتب التراجم والتاريخ وغيرها على ذلك.

4- بسبب الأوضاع والاختار الداخلية والخارجية المحدقة بالأندلس عامة وقرطبة العاصمة خاصة لاحظنا ان اللمسات الأمنية والعسكرية لا تخلو منها العمائر الخاصة بالدولة وكذلك المنشآت والمرافق العامة.

5- ان التنوع المعماري في قرطبة يعكس الاهتمامات الحضارية في كل مرافق الحياة فعلى سبيل المثال كان الاهتمام بالجانب الثقافي والعلمي دليلا على وجود أبنية وعمارات خاصة للعلم ومؤسساته ولاسيما في عصر الخلافة الأموية اذ شهد رعاية أموية من الدولة والمجتمع على حد سواء.

وأیضا اشتهرت مدينة قرطبة وضواحيها بجغرافيتها ومناخها المعتدل وجمال الطبيعة مما جعلها تتألف بروائع العمران من المتزهات والقصور الرائعة الضخمة التي تغنى بها الشعراء في الأنندلس عامة وقرطبة خاصة.

وبذلك أخذت مدينة قرطبة وضواحيها في عصر الخلافة تتألق وتزدهر بالعمران في كافة جوانبه الحيوية بما يفيد الدولة والمجتمع القرطبي على السواء.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

- القرآن الكريم

- ابن الأبار، أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر
(ت 658هـ / 1259م)

1- إعلام نساء الأندلس (مستلة من كتاب التكملة)، تحقيق: منجد
مصطفى بهجت، مجلة المورد، عدد 1، مج 19، العراق، 1990.

2- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عزت العطار الحسيني، بغداد، مطبعة
السعادة، 1955.

3- الحلة السراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة
والنشر، 1963.

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ / 1232م).

4- الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، 1965.

- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت 560هـ / 1164م).

5- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق (قطعة بعنوان صفة المغرب وأرض
السودان ومصر والأندلس)، نشر: رينهارت دوزي ودي غوية، ليدن،
مطبعة بريل، 1968.

- ابن الأزرقي، أبو عبد الله محمد (ت 896هـ / 1490م)

- 6- بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، لبنان، تونس، الدار العربية للكتاب، د. ت.
- الاصطخري، ابو اسحاق إبراهيم بن محمد (ت 348هـ / 959م)
- 7- المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، القاهرة، دار القلم، 1961.
- ابن ابي أصيعة، ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة (ت 668هـ / 1269م)
- 8- عيون الانباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت، مكتبة الحياة، 1965.
- الانصاري، شمس الدين عبد الله محمد (ت 727هـ / 1326م)
- 9- نخبة الدهر عجائب البر والبحر، طبع وتصحيح: فرين ومهرن، بترسبورغ، مطبعة الاكاديمية، 1865.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ / 868م)
- 10- صحيح البخاري، اعتناء: محمد بن الجميل، القاهرة، 2002.
- ابن بسام، ابو الحسن علي الشنتريني (ت 542هـ / 1147م)
- 11- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1975.
- ابن بشكوال، ابو القاسم خلف بن عبد المالك (ت 578هـ / 1182م)
- 12- الصلة، القاهرة، مطابع سجل القاهرة، 1966.
- البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739هـ / 1328م)

13- مراصد الإطلاع على أسماء الامكنة والبقاع (وهو مختصر لكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي)، تحقيق: علي محمد البجاوي، لبنان، دار المعرفة، 1955.

- البكري، ابو عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ / 1094م)

14- جغرافية الندلس وأوربا (من كتاب المسالك والممالك)، تحقيق: عبد الرحمن علي الحججي، بيروت، دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1968.

15- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، نشر: دي سلان، الجزائر، 1957.

- ابن بلقين، عبد الله (ت 483هـ / 1090م)

16- مذكرات عبد الله بن بلقين (المسمى بكتاب التبيان)، تحقيق: ليفي بروفنسال، مصر، دار المعارف، 1955.

- ابن جلجل، ابو داود سليمان بن حسان (ت 377هـ / 987م)

17- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي، 1955.

- الجواليقي، ابي منصور موهوب بن احمد بن محمد (ت 540 هـ / 1145م)

18- المغرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط2، بلا. م، مطبعة دار الكتب، 1969.

- ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد الاندلسي (ت 456هـ / 1063م)

19- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصر، دار المعارف، 1962.

20- رسالة في فضل الاندلس (منشورة بعنوان رسائل ابن حزم)، تحقيق:

إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981.

- 21- طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق: بشير محمد عيون، دمشق، دار البيان، 2002.
- الحميدي، ابو عبد الله محمد بن ابي نصر (ت 488هـ / 1095م)
- 22- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، القاهرة، الدار المصرية، 1966.
- الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ / 1494م)
- 23- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980.
- ابن حوقل، ابو القاسم محمد النصيبي (ت 380هـ / 990م)
- 24- صورة الأرض، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1979.
- ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف بن حيان (ت 469هـ / 1076م)
- 25- المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكّي، القاهرة، 1971.
- 26- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: الاب ملشورم انطونيا، باريس، 1937.
- 27- المقتبس، تحقيق شالميتا وكورنيطي، مدريد- الرباط، المعهد الأسباني العربي، 1979.
- 28- المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، دار الرشاد، 1965.
- ابن خاقان، الفتح بن محمد بن عبد الله القبسي (ت 529هـ / 1134م)
- 29- قلائد العقيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق: محمد العتايبي، تونس، الدار العتيقة، 1966.

- 30- مطمح الأنفس ومسرح التانس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983.
- ابن خردذابة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ / 912م)
- 31- المسالك والممالك، بغداد، مكتبة المثنى، 1889.
- الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن اسد (ت 361هـ / 971م)
- 32- أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: ماريا لويسا ابيللا وموليننا، مدريد، 1992.
- 33- قضاة قرطبة، مصر، الدار المصرية للتراث، 1966.
- ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت 776هـ / 1374م)
- 34- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة، مطبعة الخانجي، 1973.
- 35- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، القسم الثاني، نشر بعنوان تاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق ليفي بروفنسال، ط2، لبنان، دار المكشوف، 1956.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ / 1405م)
- 36- العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1979.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت 681هـ / 1282م)
- 37- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، واعد فهارسه: رياض عبد الله عبد الهادي، بيروت، دار أحياء التراث، 1997.

- ابن خياط، خليفة (ت 240هـ / 854م)
- 38- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي، 1968.
- ابن ابي دينار، ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم (ت 1092 هـ / 1681م)
- 39- المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، تحقيق: محمد شمام، تونس، المكتبة العتيقة، 1967.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ / 1347م)
- 40- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام (حوادث سنة 321هـ - 330هـ)، تحقيق: عبد السلام تدمير، ط4، بيروت، دار الكتاب العربي، 2002.
- 41- دولة الإسلام، تحقيق: فهم محمد شلتون ومحمد مصطفى إبراهيم، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.
- الرازي، محمد بن ابي بكر عبد القادر (كان حيا عام 660هـ / 1261م)
- 42- مختار الصحاح، بيروت، دار الكتاب العربي، 1979.
- الزبيدي، ابو بكر محمد بن الحسن (ت 379هـ / 989م)
- 43- طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، 1973.
- الزهري، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت أواسط القرن السادس الهجري / أواسط القرن الثاني عشر الميلادي)
- 44- كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، دمشق، منشورات المعهد الفرنسي، 1970.
- ابن زيدون، احمد بن عبد الله (ت 463هـ / 1070م)

45- ديوان ابن زيدون، شرح وتعليق: كرم البستاني، بيروت، دار صادر، 1964.

- ابن سعيد، علي بن سعيد المغربي (ت 685هـ/ 1286م)

46- المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1964.

- ابن شباط، محمد بن علي بن محمد (ت 681هـ/ 1282م)

47- صلة السمط وسممة المرط (من كتاب تاريخ الأندلس، نسان جديدان)، تحقيق: احمد مختار العبادي، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1971.

- الشقندي، إسماعيل بن محمد (ت 629هـ/ 1280م)

48- رسالة في فضل الأندلس وأهلها (نشرت بعنوان رسائل ونصوص)، نشر: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1968.

ابن صاعد، صاعد بن احمد الاندلسي (ت 463هـ/ 1070م)

49- طبقات الأمم، النجف، المطبعة الحيدرية، 1967.

- الضبي، احمد بن يحيى بن احمد (ت 599هـ/ 1202م)

50- بغية الملتبس في تاريخ أهل الأندلس، ط3، مدريد، مطابع روخس، 1884.

- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م)

51- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، ط5، القاهرة، دار المعارف، 1960

- ابن عبد الرؤوف، احمد بن عبد الله

- 52- رسالة في آداب الحسبة والمحاسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، 1955.
- ابن عبد ربة، ابو عمر احمد بن محمد (ت 328هـ / 939م)
- 53- العقد الفريد، تحقيق: احمد أمين وآخرون، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1962.
- ابن عبدون، محمد بن احمد التجيبي (ت أواسط القرن السادس الهجري/ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي)
- 54- رسالة في آداب الحسبة والمحاسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، 1955.
- ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد (كان حيا عام 712هـ / 1312م)
- 55- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان وليفى بروفنسال، ط2، بيروت، دار الثقافة، 1980.
- العذري، احمد بن عمر بن انس (ت 478هـ / 1085م)
- 56- نصوص عن الاندلس (من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار) تحقيق: عبد العزيز الالهواني، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965.
- ابن العماد، ابو الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ / 1678م)
- 57- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار الأفاق الجديد، د. ت.
- عياض، عياض بن موسى السبتي (ت 544هـ / 1149م)

- 58- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة إلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن شريفة، المغرب، مطبعة فضالة، 1968.
- ابن غالب، محمد بن ايوب (ت أواسط القرن السادس الهجري/ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي)
- 59- فرحة الانفس في تاريخ الأندلس، تحقيق: لطفي عبد البديع، القاهرة، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 1، ج 2، 1955م- 1956.
- ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل عبد الملك الافضل (ت 732هـ/ 1331م)
- 60- تقويم البلدان، تحقيق: رنيود والبارون ماك كوكين ديسلان، باريس، دار الطباعة السلطانية، 1840.
- ابن الفرضي، ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت 403هـ/ 1012م)
- 61- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، نشر وتصحيح: عزت العطار، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988.
- ابن الفياض، ابو بكر احمد بن سعيد (ت 459هـ/ 1066م)
- 62- نص أندلسي من تاريخ ابن فياض، نشر وتحقيق: عبد الواحد ذنون طه، دمشق، بيروت، دار العلم، 1976.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/ 1283م)
- 63- اثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، 1960.
- القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م)
- 64- صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق: نبيل خالد الخطيب، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987.

- ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر العزيز (ت 367هـ / 977م)
- 65- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، بيروت، دار النشر للجامعيين، 1958.
- الكتاني، ابو عبد الله محمد (ت 420هـ / 1029م)
- 66- التشبيهات من اشعار أهل الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1966.
- ابن الكردبوس، ابو مروان عبد الملك (ت 573هـ / 1177م)
- 67- تاريخ الاندلس (قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء)، تحقيق: احمد مختار العبادي، مدريد، مطبعة الدراسات الإسلامية، 1971.
- مجهول، المؤلف
- 68- أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر ولايتها، نشر وتحقيق: لاقونتي القنطرة، مدريد، مطابع ريدنير، 1867.
- مجهول، المؤلف
- 69- ذكر بلاد الاندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا، مدريد، 1983.
- مجهول، مؤلف
- 70- نبذة من أخبار فتح الأندلس (مأخوذ من الرسالة الشريفة الى الأقطار الأندلسية، ضمن كتاب افتتاح الأندلس لابن القوطية)، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، بيروت، دار النشر للجامعيين، 1958.
- مجهول، مؤلف
- 71- كتاب الطببخ، مدريد، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد 9-10، 1961-1962.

- مجهول، المؤلف
- 72- وصف جديد لقرطبة الإسلامية، تحقيق: حسين مؤنس، مدريد،
صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مجلد 13، 1965-1966.
- المراكشي، ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد (ت 647هـ/ 1249م)
- 73- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: سعيد محمد العريان،
القاهرة، دار أحياء التراث الإسلامي، 1963.
- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 345هـ/ 956م)
- 74- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،
بيروت، المكتبة النصرية، 1988.
- مسلم، ابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
(ت 261هـ/ 874م)
- 75- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار أحياء
التراث العربي، د. ت.
- المقدسي، شمس الدين محمد بن احمد بن ابي بكر (ت 375هـ/ 985م)
- 76- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط2، لندن، مطابع
بريل، 1906.
- المقرئ، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/ 1631م)
- 77- ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، الرباط، اللجنة المشتركة
لنشر التراث، 1978.
- 78- نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد
البقاعي، بيروت، دار الفكر، 1998.
- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ/ 1311م)

- 79- لسان العرب، اعداد وتصحيح: يوسف خياط، بيروت، دار لسان العرب، د.ت.
- النباهي، ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن (ت 776هـ / 1374م)
- 80- تاريخ قضاة الاندلس (المسمى بكتاب المرقبة العليا فمين يستحق القضاء والفتيا)، بيروت، 1979.
- النسائي، ابو عبد الله احمد بن شعيب بن علي (ت 303هـ / 915م)
- 81- سنن النسائي، نشر: محمد علي ييضمون، لبنان، دار الكتب العلمية، 2002.
- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ / 1332م)
- 82- نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: مصطفى ابو صنيف، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1984.
- الونشريسي، احمد بن يحيى (ت 914هـ / 1508)
- 83- المعيار المغرب والجامع المغرب من فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد المنعم (ت 626هـ / 1228م)
- 84- معجم الأدباء، بيروت، دار المستشرق، د.ت.
- 85- معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1957.

ثانيا: المرجع الثانوية

- ارسلان، شكيب
- 86- الحلل السندسية في الأخبار والاثار الاندلسية، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1936.
- ارنولد، توماس
- 87- تراث الإسلام، ترجمة: جرجيس فتح الله، موصل، المطبعة العصرية، 1954.
- بالثيا، انخل جنتال
- 88- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مصر، مكتبة النهضة، 1955.
- البتونني، محمد ليب
- 89- رحلة الأندلس، بلا. م، مطبعة كشكول، 1927.
- بدر، احمد
- 90- تاريخ الاندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة)، دمشق، 1974.
- بروفنسال، ليفي
- 91- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: لطفي عبد البديع، القاهرة، 1956.
- 92- الحضارة العربية في أسبانيا، القاهرة، دار المعارف، 1979.
- بول، ستانلي لين

93- قصة العرب في أسبانيا، ترجمة: علي الجارم، مصر، دار المعارف،
1947

- بيج، بيرتون

94- البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة: إبراهيم خورشيد
وآخرون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981.

- بيضون، إبراهيم

95- الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، بيروت، دار
النهضة، 1978.

- الجناتي، محمد إبراهيم

96- المساجد وأحكامها في التشريع الإسلامي، النجف، مطبعة القضاء،
1948.

- الجيوسي، سلمى الخضراء

97- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط2، بيروت، مركز دراسات
الوحدة العربية، 1999.

- حتي، فيليب

98- تاريخ العرب المطول، بيروت، دار الكشاف، 1951.

- الحججي، عبد الرحمن علي

99- اندلسيات، بيروت، دار الرشاد، 1969.

100- التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دمشق، بيروت،
دار العلم، 1976.

- حسن، إبراهيم حسن

101- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط7، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، 1964.

- حسين، كريم عجيل

102- الحياة العلمية في مدينة بلنسية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1976.

- حمودة، علي محمود

103- تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، نشر: محمد حلمي المنيأوي، مصر، دار الكتاب العربي، 1957م.

- خلاف، محمد عبد الوهاب

104- قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري (الحياة الاقتصادية والاجتماعي)، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984.

- راضي، علي محمد

105- الأندلس والناصر، بلا. م، دار الكتاب العربي، 1967.

- الرفاعي، انور

106- الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والادبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، دمشق، دار الفكر، 1973.

107- الإنسان العربية والحضارة، دمشق، دار الفكر، 1970.

- ريسلر، جاك. س

108- الحضارة العربية، ترجمة: غنيم عبدون، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

- زامباور

109- معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي،

ترجمة وإخراج: زكي محمد حسن بك وآخرون، بيروت، دار صادر،

1980.

- الزركلي، خير الدين

110- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من

العرب والمستعربين والمستشرقين)، ط4، بيروت، دار العلم للملايين،

د.ت.

- سالم، عبد العزيز

111- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، لبنان، دار المعارف، 1962.

112- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، بيروت، دار النهضة، 1971.

- السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون

113- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، الموصل، دار الكتب

للطباعة والنشر في جامعة الموصل، 1986.

- شاخت، وبوزورت

114- تراث الإسلام، ترجمة: محمد زهير السمهوري وآخرون، تحقيق:

شاكر مصطفى، ط2، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، 1988.

- شافعي، فريد محمود

115- العمارة العربية الإسلامية (ماضيها وحاضرها ومستقبلها)،

الرياض، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، 1982.

- طه، عبد الواحد ذنون

- 116- دراسات في التاريخ الأندلسي، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1987.
- 117- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، بغداد، دار الرشيد، 1982.
- العبادي، احمد مختار
- 118- دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط2، الكويت، منشورات ذات السلاسل، 1986.
- 119- الصقالبة في اسبانيا، مدريد، 1953.
- 120- في التاريخ العباسي والأندلسي، بيروت، دار النهضة، 1971.
- عباس، إحسان
- 121- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ط5، بيروت، دار الثقافة، 1978.
- عبد البديع، لطفي
- 122- الإسلام في اسبانيا، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة، 1969.
- عثمان، محمد عبد الستار.
- 123- المدينة الإسلامية، الكويت، المجلس الوطني للفنون والآداب، 1988.
- العزي، نجلة إسماعيل
- 124- قصر الزهراء في الأندلس، بغداد، مديرية الآثار العامة وزارة الإعلام، 1977.
- علي، سيد أمير

- 125- مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة: رياض رافت، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1938.
- عنان، محمد عبد الله
- 126- الآثار الأندلسية الباقية، ط2، القاهرة، مؤسسة الخانجي، 1961.
- 127- تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1970.
- 128- دولة الإسلام في الأندلس، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988.
- غربال، محمد شفيق
- 129- الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، 1959.
- فكري، أحمد
- 130- قرطبة في العصر الإسلامي، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د. ت.
- الفيلاي، عبد العزيز
- 131- العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، د. ت.
- كونستبل، أوليفاري
- 132- التجارة والتجار في الأندلس، ترجمة: فيصل عبد الله، الرياض، مطبعة العبيكان، 2002.
- الكيالي، سامي
- 133- في الربوع الأندلسية، حلب، مكتبة الشرق، 1963.

- كيب، جوزيف ماك
- 134- مدينة العرب في الاندلس، ترجمة: تقي الدين الدين الهلالي، بغداد، مطبعة العاني، 1950.
- لوبون، غوستاف
- 135- حضارة العرب، ترجمة: عادل زعير، ط3، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، 1956.
- متر، ادم
- 136- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: احمد عبد الهادي ابو ريده، ط3، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957.
- مرزوق، محمد عبد العزيز
- 137- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والاندلس، بيروت، دار الثقافة، د. ت.
- المزروعى، وفاء عبد الله بن سليمان
- 138- الخليفة الحكم المستنصر، السعودية، الدار السعودية للنشر، 1982.
- مصطفى، شاكر
- 139- المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، الكويت، ذات السلاسل للطباعة والنشر، 1988.
- مورينو، مانويل جوميث
- 140- الفن الإسلامي في اسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع، مصر، الهيئة المصرية العامة، 1977.
- مؤنس، حسين

- 141- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1967م.
- 142- رحلة الاندلس حديث الفردوس الموعود، مدريد، الشركة العربية للنشر والطباعة، 1963.
- 143- شيوخ العصر في الأندلس، مصر، الدار المصرية، 1965.
- 144- فجر الأندلس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1959.
- 145- المساجد، الكويت، 1981.
- 146- معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، دار المستقبل، 1980.
- 147- موسوعة تاريخ الأندلس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1995.
- الهاشمي، التهامي الراجي
- 148- الأبواب بالاندلس، الرباط، مطبعة فضالة، 1979.
- هانس، فالتر
- 149- المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، 1970.
- هلال، جودة ومحمد محمود صبحي
- 150- قرطبة في التاريخ الإسلامي، القاهرة، دار القلم، 1962.
- هونكة، زيغريد
- 151- شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال الدسوقي، ط5، بيروت، دار الأفاق، 1981.
- هيكل، احمد

152- الأدب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة، القاهرة، دار المعارف، 1979م.

ثالثا: الدوريات

- بلباس، ليوبولد توريس

153- الأبنية الإسلامية في اسبانيا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ترجمة: علي إبراهيم العناني، عدا، مدريد، 1953.

- الجنحاني، حبيب

154- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الاندلس في عصر عبد الرحمن الناصر (من خلال كتاب المقتبس لابن حيان)، مجلة المناهل، عدد 29، المغرب، 1948.

- خلاف، محمد عبد الوهاب

155- صاحب الشرطة في الاندلس، مجلة الاوراق، عدد3، مدريد، المعهد الأسباني الثقافي، 1980.

156- القضاء في قرطبة الإسلامية، مجلة المناهل، عدد 31، الرباط، وزارة الشؤون الثقافية، 1984.

- سالم، عبد العزيز

157- الاندلسي، دائرة معارف الشعب، عدد 61، القاهرة، 1959.

158- بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، عدد 1-2، مجلد5، مدريد، 1957.

159- العمارة الحربية بالأندلس، دائرة معارف الشعب، عدد 64، القاهرة، 1959.

160- العمارة العربية الإسلامية، مجلة عالم الفكر، عددا، مجلد 8، بلا.م، 1977.

161- العمارة المدنية بالاندلس، دائرة معارف الشعب، عدد 64، مدريد، مطابع الشعب، 1959.

162- قرطبة في العصر الإسلامي، مجلة المؤرخ العربي، عدد 13، بغداد، 1980.

- طه، عبد الواحد ذنون

163- الاندلس من خلال صورة الأرض لأبن حوقل، مجلة المؤرخ العربي، عدد 23، بغداد، 1983.

- عبد العزيز، سحر

164- دار الطراز في عصر دولة بني أمية، مجلة دراسات أندلسية، عدد 13، تونس، 1995.

- الفندي، محمد ثابت وآخرون

165- مادة بلج، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد 4، طهران، د.ت.

166- مادة الصقالبة، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد 14، طهران، د.ت.

رابعا: الرسائل الجامعية

- حسين، حازم غانم

167- الحياة العلمية والثقافية في الاندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1983.

- سلمان، مثنى فلفل

168- الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، بغداد، 1990.

– النقيب، احلام حسن

169- سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1988.

خامسا: المصادر والدوريات الأجنبية

– Arie , Rachel

170- Abdal - Rahman III , emiret califede cadoue , Tome 10, Andlus Magazine , Tunis , 1993.

– Provençal , Leve

171- Histoire - DeL'es Pagne musulmane , Paris , 1967.

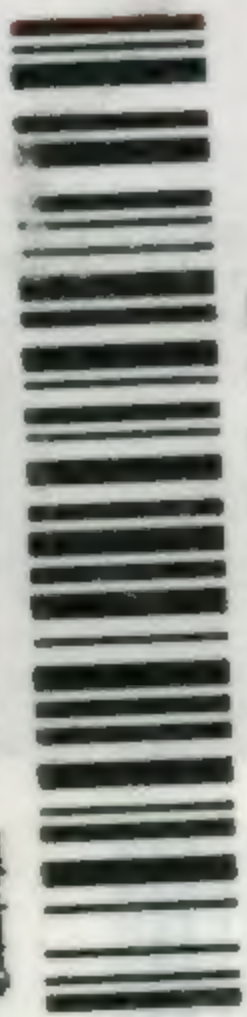
– Provençal & Emilio Gareia comez

172- una Cronica Anomima De Abd al – Rahman III AL Nasir, Madrid , Granada , 1950.

الحركة العمرانية في قرطبة وضواحيها خلال القرن

الرابع المجري / العاشر الميلادي

Bibliotheca Alexandrina



1157235



9 789957 244163

دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية - عمّان - شارع الملك حسين
مجمع الفحيص التجاري - هاتف : +962 6 4611169
تلفاكس : +962 6 4612190 ص ب 922762 عمّان 11192 الأردن
E-mail: safa@darsafa.net www.darsafa.net

